الحركة الإسلامية في مصر

من ١٩٢٨ إلى ١٩٩٣

رؤية من قرب

دكتور محمد مورو

بسم الله الرحمن الرحيم

الحركة الإسلامية فى مصر

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

الناشر

الدار المصرية للنشر والتوزيع

Al dar al-masria publishing & distribution house ltd

Acropolis, P.O.Box 8559 - Fax (003572) 312983

Nicosia - Cyprus

اهداءات ١٩٩٨

مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع

القاهرة

الوكيل فى مصر

الدار المصرية للنشر والإعلام

ص.ب ١٢٩ هيليوبوليس القاهرة

ت وفاكس ٢٦١٥٧٤٤ (٢٠٢)

الحركة الإسلامية فى مصر

من ١٩٢٨ إلى ١٩٩٣

رؤية من قرب

د. محمد مورو

الدار المصرية للنشر والتوزيع
Al dar al-masria publishing & information

تم الجمع التصويرى والإخراج الفنى
بالدار المصرية للنشر والتوزيع بالقاهرة

الحركة الإسلامية في مصر

من ١٩٢٨ إلى ١٩٩٣

رؤية من قرب

د. محمد مورو

الحركة الإسلامية فى مصر

من ١٩٢٨ إلى ١٩٩٣

رؤية من قرب

د. محمد مورو

الفصل الأول

دعوة للتحرر

مكر الليل والنهار ..

لا إكراه فى الدين

الدعوة إلى فقه الإقلاع

الحركة الإسلامية هي طليعة الأمة ، وليست بديلا عنها ، هي محاولة لاستنهاض الأمة في مواجهة التحديات المختلفة من استعمار وصهيونية وتخلف وتبعية واستبداد سياسي وظلم اقتصادي واجتماعي، هي محاولة لوضع الأمة الإسلامية من جديد على طريق الوحدة والجهاد وأداء رسالتها الكبرى في تحرير العالم كله من الظلم والقهر والطغيان .

والحركة الإسلامية تستجيب للتحديات ولا تتجاهلها أو تتعالى عليها ، فما دامت الأمة الإسلامية في حالة تخلف وتبعية وهزيمة حضارية وتجزئة وانتهاك استعماري مباشر وغير مباشر فإن المهمة الأولى لتلك الحركة هو حشد الأمة كل الأمة على صعيد المواجهة الحضارية واستنهاضها وإيقاظها.

الحركة الإسلامية إذن ليست حركة مجموعة من الأمة بل حركة كل الأمة وليست أيضا فرقة دينية جديدة أو قديمة ولا شيء متميز من الأمة في العقائد أو السلوك على حد سواء .

والتأكيد على هذا الأمر يحل الكثير من المشاكل التي تواجهها الحركة من

الداخل أو من الخارج على السواء ويعطيها مساحة واسعة جدا من التأييد الشعبى والجماهيرى ويحصنها من الكثير من المؤامرات والضربات ولايسمح للقوى المعادية بالمزايدة عليها أو حصارها .

ولدينا الآن مثل واضح جدا فى هذا الصدد، فعندما قامت حكومة العدو الصهيونى بإبعاد ٤١٣ فلسطينيا فى أواخر عام ١٩٩٢ إلى المنطقة العازلة بجنوب لبنان ، أراد رئيس وزراء العدو الصهيونى أن يكسب التأييد الدولى والعربى الحكومى لهذا الإجراء فنبه إلى أن هؤلاء المبعدين ينتمون جميعا إلى حركتى حماس والجهاد الفلسطينيتين ، أى هم بلغة الغرب ينتمون إلى الأصولية الإسلامية التى يريد الغرب القضاء عليها وبلغة الحكومات العربية ينتمون إلى الجماعات المتطرفة المستهدفة للضرب والتصفية والملاحقة من هذه الحكومات ، ومع ذلك وبرغم ذلك لم يجرؤ أحد من الحكومات العربية أو الدول الغربية على تأييد هذا الأمر أو مباركة الخطوة الإسرائيلية رغم أنهم فى قرارة أنفسهم يتمنون ذلك، بل أكثر من هذا أن الحكومات العربية اضطرت إلى الاحتجاج على إسرائيل وتأييد قضية المبعدين برغم كونهم متطرفين أو أصوليين، وهذا يرجع إلى أن الحركة الإسلامية فى فلسطين هى بالضرورة حركة مقاومة ضد الصهيونية وحركة لتحرير الأرض والعرض والشرف، لأن أرضها محتلة وشعبها منتهك وبالتالى فيصعب التعامل معها على أنها متطرفة أو أصولية أو غيرها من المصطلحات الملفقة التى تستخدم فى الهجوم على الحركة الإسلامية عموما.

وهكذا فإن التأكيد على جانب التحرر، ومناهضة الاستعمار والصهيونية، وتبنى قضايا الجماهير يجعل من العسير جدا على القوى المعادية أن تناهض الحركة أو تضربها أو تتهمها بالتهم التقليدية كالتطرف والإرهاب.

وإذا لم يكن هناك فائدة أخرى سوى هذه الفائدة المترتبة على إبراز الوجه التحررى والنضالى للحركة الإسلامية لكان هذا كافياً مبررا من الناحية الشرعية والعملية لإبراز هذا الوجه للحركة الإسلامية.

وفى الحقيقة فإن كون الحركة الإسلامية حركة تحرر ومناهضة للاستعمار والصهيونية والتأكيد على الذات والهوية ومواجهة التحديات أمر أصيل فى تلك الحركة ، بل قل إنه عمودها الفقرى انطلاقا من فهم منهج الإسلام أولا وظروف الأمة ثانيا وطبيعة هذه الحركة ثالثاً وليس فقط من أجل الخروج من دائرة الحصار والمزايدات.

فبحكم منهج الإسلام ، وبحكم الرسالة الملقاة على عاتق المسلمين وبحكم ظروف الأمة وبحكم الواقع وبحكم طبيعة التحديات فإن الحركة الإسلامية هى طليعة الأمة من أجل النهوض والتحرر والإقلاع.

الإسلام دعوة للتحرر

الإسلام دين الفطرة، هذه حقيقة يعرفها كل مسلم أيا كان مستواه العلمى أو الفقهى ، والفطرة لكى تعمل بصورة صحيحة يجب ألا يكون هناك موانع من أى نوع- كالقهر والظلم أو غيرهما- تمنعها من العمل المباشر، والقاعدة الشرعية تقول مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب وهكذا فإزالة القهر والظلم

والاستبداد فريضة اسلامية لكى تحقق للفطرة الظروف الملائمة لعملها.

والله تعالى أودع فى الإنسان «معرفة الله تعالى» وأخذ عليه ميثاقا بذلك .

﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾.

«الأعراف ١٧٢ ، ١٧٣»

فالإنسان يعرف الله تعالى قبل أن ينزل على الأرض ، ولكنه يغفل عن هذا، والغفلة هنا تأتى من الشوشرة على التفكير الإنسانى الحر أو منع الإنسان من التأمل الذاتى والاستماع إلى وجدانه بحرية أو تقليد الآباء.

والواجب الإسلامى هنا يقتضى منع الشوشرة ، وتحقيق الظرف الملائم للتأمل الذاتى والاستماع إلى الوجدان وهذا بالطبع لا يتحقق إلا بالقضاء على الظلم والاستبداد والقهر ورفض التقليد الأعمى والتعصب للآباء.

إذن فالإسلام دين الفطرة ، والإنسان يعرف الله من داخله عن طريق الميثاق المودع فيه، ليس هذا فحسب بل إن الله تعالى صمم الكون والإنسان بطريقة فذة تجعل أى انسان يستطيع أن يدرك وجود الله تعالى إذا ما استخدم عقله بحرية وتأمل فى الآفاق أوفى النفس ، وهذا بالطبع يحتاج إلى حرية التفكير والقضاء دون أى عوائق تحول دون الإنسان والتأمل بحرية والتفكر والتدبر فى آيات الله تعالى ، وسواء كان الإنسان بسيطا فى معارفه أو كان غزير

العلم فى أى مجال فإن التدبر فى الآفاق وفى النفس كفيل بأن يقود الإنسان إلى معرفة الله تعالى ، بل وكلما زاد التقدم العلمى فى أى مجال من المجالات كالفلك أو الهندسة أو الطب أو الطبيعة أو الكيمياء أو الأحياء أو الجيولوجيا أو غيرها من العلوم لكان هذا أكثر مدعاة للإيمان ومعرفة الله تعالى.

﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾

« فصلت ٥٣»

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾

«فاطر ٢٧ – ٢٨»

﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾

«آل عمران ١٩٠»

﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا﴾

«فاطر ١١»

﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾

«الواقعة ٧٥ – ٧٦»

﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا ﴾.

«الإسراء ١٢»

﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾

«يونس ٥»

﴿ الذى أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين﴾

«السجدة ٧»

﴿ أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾.

«الروم ٨»

وهكذا فكل شيء فى الكون يثبت – وببساطة شديدة – الإعجاز الإلهى وكلمة الخالق فضلا عن وجوده، بدءاً من تركيب الكون وعلاقات النجوم وإمساك الكواكب والنجوم وتجهيز الأرض وخلق الجنين وهندسة الجسم الإنسانى واختلاف الألسنة والألوان وأسرار الجبال والنبات والتوازن البيولوجى ... الخ أى أن فى كل شيء حكمة تثبت وجود الخالق العظيم وقدرته.

وبالتالى فإن معرفة الله تعالى والإيمان به أمر بسيط جدا، فالفطرة تقود

إليه، والميثاق الداخلى المركوز فى الإنسان يقود إليه، والكون والنفس يقودان إليه وكل شىء يقود إليه، والمطلوب فقط تحقيق الظرف الملائم لعمل الوجدان والفطرة والعقل وحرية التفكير والتأمل وهذا واجب الأمة الإسلامية تجاه البشر .

مكر الليل والنهار

وعلى الجانب الآخر، فإن القوى الشيطانية لا تريد أن يكون هناك تفاعل حر بين الإنسان ونفسه ووجدانه وفطرته ، وبين الإنسان وعقله وآيات الكون من حوله ، وهناك فى هذا الصدد أكثر من طريقة تستخدمها الشياطين وأتباعهم ، فهناك الوسوسة وهذه يتخلص منها الإنسان بالاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم وهناك الأفعال المادية التى يقوم بها أتباع الشيطان للحيلولة دون التعامل الحر بين الإنسان ووجدانه وعقله وآيات الكون من حوله. ومهمة المسلمين هنا القضاء على تلك الوسائل التى تحول دون هذا التفاعل الحر.

القوى الشيطانية تدرك أنه إذا امتنعت الضغوط ، وإذا فكر الإنسان بحرية وإذا تناقش الناس بحرية فإنهم يصلون إلى الله ببساطة ، وهكذا فلابد من الضغط على الإنسان ومنعه من التفكير الحر ومنع الحوار الحر بين البشر وذلك عن طريق الاستبداد السياسى والظلم الاقتصادى والتعصب للأسرة أو الوطن أو القومية أو غيرها من أنواع التعصب.

فعن طريق الاستبداد السياسى تمنع الناس من حرية التفكير وحرية الحوار ولايستمعون إلا إلى رأى واحد يقدمه لهم أتباع الشيطان عن طريق وسائل الإعلام المختلفة انظر إلى فرعون مثلا يقول :

﴿ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾

«غافر ٢٩»

﴿ وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد﴾

«غافر ٢٦»

﴿ قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم ﴾

«الأعراف ١٢٣»

أى أن فرعون وكل القوى الشيطانية تجمع الناس على رأى واحد بالقهر والإعلام المزيف وتمنع حرية التفكير والدعاه الصادقين بالاضطهاد أو الاتهامات المختلفة.

والقوى الشيطانية أيضا تخضع الإنسان لضغوط اقتصادية واجتماعية هائلة عن طريق الحرمان والظلم الطبقى وغيرها وذلك لتحول بين الإنسان وبين الاستماع لوجدانه أو الاستماع لعقله أو وجود فرصة لالتقاط أنفاسه ، أليس فى صراع دائم من أجل توفير لقمة العيش وتلبية حاجاته الاقتصادية التى لا يعمل عقل الإنسان أصلا ولا جسده الا بعد حصوله على الطاقة اللازمة من الغذاء والأمن النفسى بالملبس والمسكن.

والقوى الشيطانية أيضا تزرع فى الإنسان التعصب – حتى لا يفكر بحرية – التعصب للقبيلة ، للأسرة، للآباء، للتقاليد ، للوطن للقومية .. الخ.

وإزاء ذلك فواجب الأمة الإسلامية – بما أنها تحمل منهج الله الحق –

أن تحقق للإنسان حرية الاختيار عن طريق القضاء على الاستبداد السياسى والظلم الاقتصادى والتعصب ثم ترك الناس ليختاروا عقائدهم بحرية .**﴿من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾. ﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾**

وبديهى أن الناس تختار الإيمان والإسلام لأنه دين الفطرة ولأن الوجدان والعقل وآيات الكون تقود إلى هذا ببساطة أى أن مهمة الأمه الإسلامية ليست إكراه الناس على الإسلام وإلا كانت تنفذ مخطط الشيطان دون أن تدرى ، بل مهمتها الجهاد من أجل رفع الطغيان والظلم الاقتصادى والاستبداد السياسى والقضاء على التعصب ، أى رفع كافة القيود والضغوط التى تحول بين الإنسان ووجدانه وفطرته وعقله، والتى تحول بين الإنسان والتفاعل الحر مع الآيات الكونية ، وبكلمة واحدة القضاء على مكر الشيطان وأعوانه.

ولنتأمل معا هذه الآيات القرآنية :

﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا﴾.

«سبأ ٣٣»

لاحظ هنا أن هناك أمر بالكفر ، أى استبداد سياسى وأوامر، ولاحظ أيضا أن مكر الليل والنهار لايكون بمجرد الدعوة إلى الكفر بدون إكراه ، بل استخدام الوسائل المختلفة من قهر استبداد ومؤامرات لتحقيق هذا، وإلا ما هو المكر الذى يستدعى التفكير وحبك الخطط التى تستغرق الليل والنهار، وكلمة المكر نفسها تعنى نوعا من الخطط والحيل.

ولاحظ أيضا أن هذه الآية على لسان المستضعفين ردا على المستكبرين الذين قالوا لهم فى الآية التى قبلها من نفس السورة :

﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾

«سبأ ٣٢»

أى أن المستضعفين يردون على زعم المستكبرين بأنهم اختاروا الكفر بدون ضغوط من المستكبرين، فرد عليهم المستضعفون بل كان هناك ضغوط ومكر بالليل والنهار وأوامر بالكفر ، ولكن هذا طبعاً لايعنى عدم مسئولية المستضعفين فى هذا الصدد فكان الواجب عليهم الرفض والثورة فإما شهادة وإما انتصار.

﴿ إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ﴾

«الأنفال ٣٠»

وهذه الآية توضح وسائل القوى الشيطانية فى الإكراه، فإما الردة عن الدين الحق، وإما القتل، واما التهجير القسرى.

﴿وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ﴾

«الأنعام ١٢٣»

{استكبارًا فى الأرض ومكر السيء}

«فاطر ٤٣»

﴿ قال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلاخسارا

ومكروا مكرا كبارا ﴾

«نوح ٢١، ٢٢»

﴿ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كـــان مكــرهم لتزول منه الجبال ﴾

«إبراهيم ٤٦»

وهكذا فإننا إزاء قوى شيطانية تمكر بالليل والنهار مكرا تزول منه الجبال وعلينا أن نقضى على هذا المكر وأن نناضل لإنقاذ الناس من هذا المكر.

ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب

لنتأمل معا الآيات القرآنية :

﴿قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾

«الأنعام ١١»

﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾.

«يوسف ١٠٩»

﴿أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾

«الحج ٤٦»

﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض﴾

«آل عمران ١٣٧»

﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾

«العنكبوت ٢٠»

وهناك الكثير من الآيات القرآنية تدور حول نفس المعنى مثل الآية (٩) من سورة الروم ، الآية (٤٤) من سورة فاطر الآية (٢١) من سورة غافر، الآية (٨٢) من سورة غافر، الآية (١٠) من سورة محمد ، الآية (٣٦) من سورة النحل ، الآية (٦٩) من سورة النحل، الآية (٤٢) من سورة الروم ، وغيرها وهذه الآيات موجهة للإنسان عموما وتفرض عليه السير فى الأرض والنظر والتدبر فى التاريخ وبدء الخلق وسنن الأمم السابقة واستخلاص العبر ، وهذا يقتضى بالطبع أن تكون حرية التنقل مكفولة لجميع البشر وكذا حرية تداول المعلومات وأيضا حرية التفكير ،لأنه لا يمكن تحقيق هذا الأمر بدون تلك الحريات ، وبالتالى فإن الإسلام يفرض على الأمة الإسلامية أن تعمل جاهدة لتحقيق هذه الحريات لكل البشر وهى حرية التنقل وحرية تداول المعلومات وحرية النظر والتفكير والتدبر واستخلاص العبر، لأن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب كما تقول القاعدة الشرعية المعروفة.

ولنتأمل أيضا الآيات القرآنية :

{إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين

السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون}

«البقرة»

﴿ وهو الذى يحيى ويميت وله الليل والنهار أفلا تعقلون﴾

«المؤمنون»

﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾

«الروم»

﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾

«البقرة»

﴿ لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ﴾

«يوسف»

﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تتفكرون ﴾

«البقرة»

﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ﴾

«آل عمران»

﴿ قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾

«الأنعام»

﴿ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾

«النحل»

{أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق}

«الروم»

﴿أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون﴾

﴿ أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء﴾

«الأعراف»

﴿قل انظروا ماذا فى السموات والأرض﴾

«يونس»

﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم﴾

«سورة ق»

﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾

«الغاشية»

﴿ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون﴾

«البقرة»

وهناك الكثير جداً من الآيات التى تدعو إلى التذكر أو التعقل أو التفكر وغيرها من المعانى التى تؤكد على أن التفكير فريضة إسلامية وأن تحقيق الظروف الملائمة لحرية التفكير فريضة إسلامية أيضا ، والآيات هنا تقول إن معرفة الله تعالى من خلال التفكير فى آياته أمر ميسور ، وإن التفكير ليس ترفا ولا نافلة بل فريضة وبالتالى فإن على الأمة الإسلامية أن تحقق للناس كافة حرية التفكير وذلك بإزالة العوائق التى تحول دون هذه الحرية من ظلم واستبداد وقهر وتعصب.

ولنتأمل أيضا الآيات القرآنية التى تنص على التعصب والتقاليد البالية:

﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾

«البقرة»

﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لوكان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون﴾

«المائدة»

﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾

«الأعراف»

﴿ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾

«الشعراء»

﴿ إنهم ألفوا آباءهم ضالين ،فهم على آثارهم يهرعون﴾

«الصافات»

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان﴾

«التوبة»

﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾

(الزخرف)

وهذه الآيات توضح أن التعصب للآباء أو للعشيرة و قياساً عليها التعصب للأسرة أو للوطن أو للقومية أو غيرها من أنواع التعصب يحول دون الإنسان، وحرية التفكير وبالتالى الوصول إلى الحق، ويترتب على هذا أن الأمة الإسلامية مطالبة بالنضال ورفض كافة أنواع التعصب تحقيقا لتحرير التفكير من أسر التقاليد أو آراء الآباء أو تضييقه من خلال التعصب للوطن أو القومية أو غيرها.

المهمة الخطيرة «لا إكراه فى الدين»

كثيرة هى المهام الملقاة على عاتق أمة الإسلام باعتبارها الأمة التى تحمل رسالة الله تعالى، وأخطر هذه المهام هى الجهاد من أجل تحقيق حرية الاختيار لكل البشر وإزالة كل سلطة طاغوتية مستبدة أو ظالمة تحول دون هذا.

والمسألة كما فصلنا من قبل تأتى انطلاقا من فهم حقيقة أن الإسلام دين

الفطرة، وأن معرفة الله تعالى مركوزة فى الوجدان وأن العقل والتدبر والتفكير فى آيات الله تعالى ومعجزاته فى الكون والإنسان تقود إلى الإيمان.

والمسألة أشبه بطريق واضح المعالم ، وضع الإنسان فى أول هذا الطريق ووجهه إلى الاتجاه الصحيح وهناك الكثير من العلامات الإرشادية على هذا الطريق، ومن الطبيعى والبديهى أن يسير الإنسان فى الطريق الصحيح ، ولكن هناك قوى تريد أن تمنع هذا الإنسان بالقوة والإغراء والإكراه والخداع عن السير فى الاتجاه الصصيح وبالتالى يضل هذا الإنسان ويتوه، ومهمة الأمة الإسلامية هنا هو الضرب على يد هذه القوى الشيطانية التى تفرض على الإنسان وتبعده عن الطريق الصحيح.

المسألة إذن أن الإنسان بوجدانه وفطرته وعقله يصل إلى الطريق الصحيح ولكن القوى الشيطانية عن طريق الاستبداد السياسى أو الظلم الاقتصادى أو التعصب تحول بين الإنسان وتفاعله الحر مع نفسه ووجدانه وفطرته وعقله ، وعلى الأمة الإسلامية أن تزيل هذه العوائق وبالتالى فمن أهم مهماتها النضال والجهاد ضد الاستبداد السياسى والظلم الاقتصادى والتعصب وتحقق للإنسان فى كل مكان وزمان حرية الاختيار وتتركه يختار ما يشاء وبالتالى يحاسبه الله تعالى على اختياره الحر أى إقامة الحجة على الناس بتحقيق ظرف الاختيار الحر أمامهم.

يقول الله تعالى :

﴿قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾

أى قاتلوهم حتى يكفوا عن إكراه الناس على الكفر فإن كفوا عن هذا فلا مشكلة .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ **أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**﴾.

ويقول الله تعالى أيضا : ﴿**ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا**﴾

«النساء ٧٤»

وعمر بن الخطاب يقول﴿**متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا**﴾.

والله تعالى يحذرنا أيضا من اكراه الناس على الإسلام، بل مهمة أمة الإسلام تحقيق حرية الاختيار للآخرين، ولو أكرهنا الناس على الإسلام لكنا ننفذ مخطط الشيطان دون أن ندرى .

﴿**لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى**﴾

(البقرة ٢٥٦)

﴿ **ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**﴾

(يونس ٩٩)

أى أن مهمتك ليست إكراه الناس حتى يكونوا مؤمنين بل تحقيق حرية الاختيار لهم وترك هدايتهم على الله تعالى.

﴿**من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾

والقاعدة الشرعية تقول لاطلاق لمكره ولابيعة لمكره ، بل لا إيمان لمكره على هذا الايمان.

وفي إطار التأكيد على ضرورة الانتصار للمظلومين يقول الحديث القدسى فيما يروى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه:

﴿ وعزتى وجلالى لانتقمن من الظالم فى عاجله أو آجله وأنتقمن ممن رأى مظلوما فقرر أن ينصره فلم يفعل﴾

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

﴿لا يقفن أحدكم موقفا يقتل فيه رجل ظلما فإن اللعنة تتنزل على من حضر حين لم يرفعوا عنه ، ولا يقفن أحدكم موقفاً يضرب فيه رجل ظلما فإن اللعنة تتنزل على من حضره حين لم يرفعوا عنه﴾

﴿ من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل فى عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بقول أو عمل كان على الله أن يدخله مدخله﴾

ويقول الله تعالى **﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، إنه لايحب الظالمين و لمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم}**

إذن فمهمة أمة الإسلام هى القضاء على القهر والظلم والإكراه فى أى مكان وزمان، وكذلك فمن مهمة المسلم داخل المجتمع المسلم أيضا الدفاع عن المظلومين والتصدى للاستبداد السياسى والظلم والقهر وغيرها.

المظلومين والتصدى للاستبداد السياسى والظلم والقهر وغيرها.

★ ★ ★

ومن العوائق التى تستخدمها القوى الشيطانية للحيلولة دون حرية الاختيار وإكراه الناس على الكفر، الظلم الاقتصادى والطبقى وذلك بأنه تكون هناك طبقة مترفة فاسدة تحتكر الثروة وطبقات محرومة لا تنال حقها فى الحياة الكريمة وتلبية ضرورات الحياة ، والطبقة المترفة هنا فضلا عن أنها فاسدة أخلاقيا فإنها تتعمد نشر الفساد الأخلاقى والجهل وإكراه الناس على الكفر ومنعهم من التفكير بحرية وسد الأبواب والنوافذ أمامهم للتحرر والإيمان، والطبقة المترفة تفعل هذا لإدراكها أن الدين الحق يجعل الناس لا تخاف الله ويجعل الناس أكثر قدرة على فهم حقوقها التى أعطاها الله لها والتى اغتصبتها هذه الطبقة المترفة، ومع معرفة الناس لحقوقهم من خلال الدين الحق ومع عدم خوفهم إلا من الله فإن الثورة على الأوضاع الاقتصادية الجائرة أمر حتمى وبالتالى تتهدد ثروات المترفين والبديهى هنا أن الطبقة المترفة ومن أجل الحفاظ على الثروة تكره الناس على عدم الإيمان وتصر على منع التفكير الحر وتحرص على نشر الجهل والخرافة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الإنسان المحروم غير قادر على التفكير الحر والاختيار الحر، لأن ضغط الحاجات الاقتصادية تحول بينه وبين التفاعل الحر مع وجدانه أو عقله أو الكون من حوله، وبالتالى فإن مهمة الأمة الإسلامية هنا هو القضاء على هذا العائق أى الجهاد والنضال من أجل عالم بلا فقراء ولا محرومين وتلبية الحاجات الإنسانية الاقتصادية واستثمار الكون استثمارا صحيحا يحقق الكفاية وتوزيع الثروات بالعدل.

وإذا تأملنا الآية الكريمة :

﴿ الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾

نجد أنها تقرر أن الأمن والشبع ضرورتان إنسانيتان وبدونهما يختل هذا الإنسان فالجائع والخائف لا يستطيع أن يفكر بحرية.

ويدخل فى هذا الأمر - ضرورة التأكيد على أن الله تعالى خلق من الثروات ما يكفى ويزيد لإطعام البشر جميعا .

﴿وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾.

أى أنه ليست هناك مشكلة ندرة فى الموارد كما يتشدق بعض الاقتصاديين، بل هناك وفرة تحتاج إلى حسن استغلالها بعد كفرانها وهذا معنى كفار أى لايحسن استغلال الثروة المتاحة - وتحتاج إلى حسن توزيعها وهذا معنى ظلوم أى سوء توزيع الثروة المتاحة، والجدير بالذكر هنا أنه من خلال العلوم المتاحة حالياً فإن الأرض تكفى لإطعام ٢٠٠ مليار نسمة أى أربعين ضعف ما هو موجود بها حاليا والأمر مفتوح لأكثر من هذا بالطبع مع التقدم العلمى ، والمجاعات التى تحدث حاليا جاءت بسبب سوء استخدام الدول المتقدمة للخامات وسوء توزيع الثروات وعمليات النهب التى تمارسها تلك الدول على ثروات العالم بأسره. والمفاهيم الإسلامية تدعونا إلى النضال ضد الظلم الاقتصادى وتدعو إلى العدل الاجتماعى ﴿ كى لا تكون دولة بين الأغنياء ليس منا من يأت شبعانا وجاره جائع » والجار هنا قد يكون فرداً أو أسرة أو مدينة أو دولة أو قارة أو حتى كوكب .. وهكذا «إذا جاع الناس فلا مال لأحد » «لأخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء» «ما متع غنى إلابما حرم منه فقير» «من كان عنده فضل مال فليعد به على من لامال له ..

من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له..

..وهكذا .

وحقوق الناس فى الشريعة الإسلامية هى حق الحياة، وحق العمل وحق المسكن وحق الملبس وحق المأكل وحق الدابة، وحق الحرية .. وهكذا كما فصلها الفقه الإسلامى.

ومن العوائق التى تحول دون حرية التفكير والاختيار أيضا الجهل، وأمة الإسلام مدعوة لنشر العلم ونبذ الجهل والخرافة ، فنشر العلم وتحصيله وتداوله فريضة وحجب العلم جريمة ، ومداد العلماء يوزن يوم القيامة بدماء الشهداء . طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وكذا مناهضة السلطات أو الدول التى تحجب العلم أو تنشر الجهل والخرافة فريضة أيضا، ولاشك أن نشر العلم يؤدى إلى امتلاك الوسائل لترقية أحوال الإنسان وتلبية حاجاته وهى أيضا تحقق للإنسان المزيد من القدرة على معرفة آيات الله فى الكون وفى نفسه وبالتالى سهولة وصوله إلى الإيمان بالله وبالإسلام .

★★★

ومن العوائق أيضا التى تحول دون الإنسان وحرية الاختيار والتفكير والتعصب والعنصرية ، والقوى الشيطانية تسعى إلى نشر التعصب للآباء والاجداد أو للأسرة أو للقبيلة أو للوطن أو للقومية أو للون أو جنس ليصبح هذا التعصب حائلا دون حرية التفكير وبالتالى حرية الاختيار وبالتالى أيضا سهولة الوصول إلى الحق.

والأمة الإسلامية مطالبة بالنضال ومناهضة التعصب فى كافة صوره ومطالبة بالنضال ومناهضة العنصرية

﴿ لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ﴾ ﴿كلكم لآدم وآدم من تراب ﴾

﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾

﴿إن الله لا ينظر إلى صوركم وألوانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم﴾.

★ ★ ★

وهكذا فإن المهمة الأخطر لدى أمة الإسلام هى إزالة كل صور الاستبداد السياسى والظلم الاقتصادى والتعصب والجهل والعنصرية من كل مكان وفى كل زمان من أجل تحقيق الظروف الصحيحة لحرية التفكير وحرية الاختيار لدى البشر ، وبعد ذلك فليختار الإنسان ما شاء دون ضغط أو إكراه أو خوف أو جوع أو تعصب أو جهل أو عنصرية.

من العام إلى الخاص «خصوصية الزمان والمكان»

قامت أمة الإسلام – منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولمدة طويلة– بأداء مهمتها التى حددنا معالمها فيما سبق ، ولحكمة لا يعلمها إلا الله

أصبحت الأمة الإسلامية الآن فى حالة من التخلف والتراجع الحضارى والهزيمة الحضارية والتبعية والاختراق والاستلاب والتجزئة لاتسمح لها بالقيام برسالتها. ولن تستطيع هذه الأمة استعادة دورها الرسالى مالم تنفض عنها غبار الجهل والتخلف والهزيمة والتبعية وتستعيد عافيتها الحضارية، وعلينا أن نسأل كيف يمكن تحقيق ذلك، ومن يقوم بهذا الدور؟ وكيف وصل الحال بهذه الأمة إلى هذا المستوى؟ وما هى التحديات التى تواجهها .

بدأ المنحنى الحضارى الإسلامى منذ الرسول صلى الله عليه وسلم فى الصعود ولبث هذا المنحنى فى حالة الصعود فترة ثم فى حالة ثبات بعد ذلك لفترة أخرى تم بدأ فى النزول واستطاعت الأمة الإسلامية أن تصل إلى حالة من السيادة الحضارية تجاه الآخرين بحيث يمكن لها أن تؤدى رسالتها وخاضت فى هذا الصدد صراعا ناجحا ضد العديد من القوى وانتصرت عليها وحققت بالتالى تحرير الإنسان وحرية الاختيار وقدمت أيضا إبداعها الحضارى المتميز كما ونوعا، وتميزت هذه الفترة بإعلاء قيم الوحدة والجهاد، ثم بدأ المنحنى الحضارى فى النزول ، ولم تعد الأمة قادرة على أداء رسالتها وعلينا هنا أن حدد الأولويات، فنحن أمام ظرف خاص، وهو ظرف الهزيمة الحضارية ونزول المنحنى الحضارى، وبالتالى فالمهمة الأولى أمامنا هى أولا تقليل سرعة النزول فى المنحنى ثم تثبيت هذا المنحنى ثم إحداث انقلاب فى هذا المنحنى تمهيدا للصعود ، ثم الصعود مرة أخرى إن شاء الله ثم الوصول بالمنحنى الصاعد الجديد إلى حالة التعادل الحضارى مع الآخرين أو السيادة الحضارية عليهم وبالتالى القدرة على أداء رسالتنا التحريرية من جديد وإنقاذ العالم من القهر والظلم والنهب.

والبداية الصحيحة فى هذا الصدد أن نفهم ماذا حدث وما هى القوى الحضارية التى تناوئنا أو التى نحن فى حالة هزيمة أمامها، والواقع أننا بصدد هزيمة حضارية أمام الحضارة الغربية وعلينا أن نعرف طبيعة هذه الحضارة وقيمها التى تهددنا، الحضارة الأوروبية هى حضارة وثنية أغريقية ذات قشرة مسيحية، وعصر النهضة الأوروبية المعاصرة بدأ فى القرن السادس عشر بالتأكيد على القيم الاغريقية الوثنية وبعث الفنون الاغريقية والتقاليد الرومانية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وقد أفرزت الحضارة الغربية العديد من المنظومات الفكرية والسياسية كالقومية والوطنية والرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية والشيوعية والفاشية والنازية، وكلها إفرازات لنفس الأرضية الثقافية والقيمية للحضارة الأوروبية، وبالتالى فهى تعكس نفس القيم الثابتة للحضارة الغربية من قهر وعنف ووثنية ونهب وعنصرية وازدواج معايير ومنفعة لا أخلاقية يستوى فى هذا الرأسمالى والاشتراكى والنازى والفاشى والشيوعى والديمقراطى.

وفى مسيرة الإسلام الطويلة، خاضت أمة الإسلام صراعا مريرا مع الحضارة الغربية الأوروبية استمر فى الزمان والمكان، ففى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم هناك أربعة مواقع من الصراع مع الحضارة الأوروبية ممثلة فى الدولة البيزنطية أو حلفائها وهى موقعة مؤتة وغزوة تبوك، ودومة الجندل ، وبعث أسامة بن زيد الذى بدأه الرسول صلى الله عليه وسلم وأكمله خليفته الصديق رضى الله عنه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلينا أن نلتقط هنا تلك الإشارة النبوية فى الاهتمام بالصراع مع الحضارة الأوروبية وإصراره مثلا على إنفاذ بعث أسامة فكان صلى الله عليه وسلم كلما أفاق من مرض الموت أوصى بإنفاذ بعث أسامة، وكأنه ينبهنا إلى خطورة هذا الصراع وأثره الممتد على أمة

الإسلام.

واستمر الصراع بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى يومنا هذا وفى البداية نجح المسلمون فى تحرير الشام وشمال أفريقيا ووصلوا إلى الأندلس وجنوب فرنسا غربا ، وفى هذه البقعة من العالم أى المغرب العربى والاندلس استمر الصراع بلا توقف منذ الفتح وحتى اليوم ، الصراع فى المغرب العربى قبل فتح الأندلس وأثناء الحكم الإسلامى للأندلس وبعد سقوط الأندلس وحتى احتلال المغرب العربى فرنسيا، وحتى بعد رحيل فرنسا وإلى اليوم.

وفى البحر المتوسط نجح المسلمون فى تحرير العديد من الجزر وأصبح المتوسط بحيرة عربية ووصلت سفنهم وجيوشهم إلى إيطاليا وهددوا روما أكثر من مرة.

وفى الشرق تم تحرير الشام وتهديد الدولة البيزنطية إلى أن تم تحرير القسطنطينية على يد محمد الفاتح ١٤٥٣ ، بل ونجحت الدولة العثمانية فى توحيد المسلمين وإدخال الإسلام إلى قلب أوروبا والوصول إلى فيينا وروما.

ومن ناحية أخرى قامت أوروبا بحملة صليبية استمرت ٢٠٠ عام من ١٠٩٨ : ١٢٩٥ واندحرت هذه الحملة ، ولكن أوروبا اكتشفت أن الصدام المباشر مع المسلمين لن يجدى وعليها محاصرة المسلمين بحريا ، فلجأت إلى الكشوف الجغرافية وكانت هذه خطة لويس التاسع ملك فرنسا التى وضعها أثناء أسره فى دار ابن لقمان بالمنصورة، وشاء الله تعالى أن يتم اكتشاف أمريكا، وتصبح أمريكا جزءا لا يتجزأ من الحضارة الغربية فتجدد شباب تلك الحضارة ولكنها تحمل نفس القيم المنحطة للحضارة الغربية وهى الوثنية والقهر والعنف

والمنفعة اللا أخلاقية والعنصرية وازدواج المعايير، بل لعلها أسوأ أشكال تلك الحضارة حيث قامت أساسا من خلال جريمة إبادة شعب تلك البلاد وهم الهنودالحمر أى أنها نشأت من خلال جريمة وكان سكانها الأوروبيون المهاجرون هم حثالة أوروبا أى أسوأ ما فيها من مغامرين وأفاقين فأضافت سوءات خاصة إلى السوءات العامة للحضارة الأوربية، وأضافت أيضا أنها ترعرعت وازدهرت على يد السود من خلال تسخير العبيد السود وممارسة التفرقة العنصرية، وهكذا فهى تمثل أسوأ تطورات الحضارة الأوروبية التى هى سيئة أصلا.

وعودة إلى الصراع الممتد فى الزمان والمكان بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، فعندما تم فتح القسطنطينية وعندما نجحت الخلافة العثمانية فى إدخال الإسلام بكثافة إلى قلب أوروبا وهددت فيينا وروما شعرت أوروبا بالخوف والهلع لأن قيم الإسلام من القوة والصحة والنظافة ما يكفل لها الانتصار السلمى ودخول الآوربيين فى هذا الدين وعندئذ تحركت القوى الشيطانية فى أوروبا وأفرزت حركة الاستشراق بهدف معرفة الإسلام وأصله من أجل تشويهه فى عقول الأوروبيين حتى لا ينتشر بينهم، ثم تطورت حركة الاستشراق إلى دراسة أحوال الإسلام والمسلمين والبحث أو زرع نقط الضعف فى الجسد الإسلامى ونقل العلوم العربية والإسلامية إلى أوروبا تمهيدا للنهضة الأوروبية ، ثم تطور الأمر إلى محاولة زرع القيم الغربية فى الجسم الإسلامى حتى تصاب الحضارة الإسلامية بالسوس فى داخلها وكذلك التركيز على كل ما يضعف ويمزق المسلمين من قضايا خلافية ثم جاء التبشير والاستعمار وتم احتلال البلاد الإسلامية واحدة بعد الأخرى، ولم يكن الاحتلال بالجيوش

العسكرية فقط بل وبالعلماء والمستشرقين والأفاقين والمرابين بهدف زرع ثقافة الغرب وقيمه وإفقاد الأمة الإسلامية تميزها الحضارى والثقافى وربطها برباط التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية بأوروبا، وتم بناء مؤسسات وأحزاب وأفراد من بنى جلدتنا للقيام بهذا الدور، وهكذا نشأت المؤسسات العلمانية والتغريبية وكذا الصحف والمدارس الفكرية والمذاهب السياسية من يمين ويسار ديمقراطى واشتراكى وشيوعى ورأسمالى وليبرالى وقومى ووطنى ، وكلها تعكس حالة الاستلاب الثقافى وتقوم بمهمة الطابور الخامس فى داخل الجسد الإسلامى.

ولكن الجسد الإسلامى قاوم واستطاع مجاهدون من أمثال عبد القادر الجزائرى، عبد الكريم الخطابى، علال الفاسى، عمر المختار، عمر مكرم، الأفغانى، النديم، مصطفى كامل، محمد فريد، حسن البنا، عز الدين القسام، المهدى، آية الله الشيرازى ، وغيرهم إشعال الكفاح الإسلامى وتنظيم المقاومة الشعبية الإسلامية وكان دور هؤلاء تقليل سرعة الانحدار والوصول إلى الهاوية، إذ رغم عدم انتصار هؤلاء أمام قوات الاستعمار إلا أن المقاومة التى فجروها نجحت فى إشعال فتيل الحضارة الإسلامية فى الوجدان وزيادة التمسك الشعبى بهذا الفتيل وتقليل سرعة الانحدار، ولولاهم لوصل المنحنى الحضارى الإسلامى إلى النقطة الحرجة أى النقطة التى يستحيل بعدها إحداث انقلاب فى المنحنى وبدء عملية الصعود.

على أى حال كانت نتيجة تلك المرحلة ، أو الحملة الصليبية الثانية أنه تم تجزئة العالم الإسلامى، وانهيار الخلافة الإسلامية وزرع مدارس التغريب والثقافة الغربية فى الجسد الإسلامى ولكن ذلك كله لم ينجح فى إطفاء شعلة الحضارة

الإسلامية التى بقيت متقدة فى القلوب وتحت الرماد، ومع تصاعد النضال الجماهيرى الإسلامى ودخول أوروبا فى صراع مع بعضها فى حربين عالميتين طاحنتين رحل الاستعمار عسكريا ولكنه سلم السلطة إلى عملائه من علمانيين وخونة، وكان على الأمة أن تواصل نضالها من أجل التأكيد على الذات والهوية والقضاء على التبعية الثقافية والاقتصادية وتحقيق الاستقلال بمعناه الحضارى الشامل .

ودخل الصراع فى مرحلته الثالثة التى مازلنا نعيش فيها والتى نطلق عليها الحملة الصليبية الثالثة ، على أساس أن الحملة الأولى بدأت فى ١٠٩٨ - ١٢٩٦ والثانية فى ١٧٩٨ ثم احتلال الدول الإسلامية واحدة بعد الأخرى، والثالثة التى نحن بصددها بدأت بحرب الخليج ودخول القوات الأمريكية، إلى الصومال وانهيار الشيوعية والتفرغ الأوروبى والأمريكى بالتالى للمسلمين على أساس أنهم العدو الأساسى، وكذلك التطهير العرقى للمسلمين فى أكثر من مكان وخاصة فى البوسنة والهرسك وارتفاع نبرة اليمين الأوروبى ضد المهاجرين العرب والمسلمين فى أوروبا.

وهناك حالة - لعلها الأهم - بدأت فى نهاية الحملة الثانية واستمرت وتصاعدت فى الحملة الثالثة وهى قيام إسرائيل ١٩٤٨ والاستعداد لتوسعها لتحقيق امبراطورية اليهود من النيل إلى الفرات التى بدأت ملامحها فى عام ١٩٦٧ وما بعدها، وهذه الحالة هى إحدى وأخطر مواقع الصراع، ذلك أن الصراع الطويل بين الإسلام وأوروبا يتجسد الآن فى إسرائيل، وعلينا أن نلاحظ أن هناك تحالفا استراتيجيا وليس تكتيكيا بين الحضارة الأوروبية واليهود بدأ منذ

القرن الماضى فقط كحالة جديدة وتمخض عن قيام إسرائيل وحصولها على الدعم الغربى الكامل فرنسا ثم انجلترا ثم أمريكا ، وإذا كان اليهود قد تعرضوا للاضطهاد طويلا فى أوروبا فإن أوروبا أرادت أن تتخلص منهم كحثالة بشرية فى أوروبا والكيد بهم للإسلام والمسلمين فى نفس الوقت، واستغل اليهود هذا الأمر وتحرك فيهم حقدهم القديم على الإسلام ونفذوا المهمة بحماس رغم أنهم يعرفون مدى الاضطهاد الذى لا قوه فى أوروبا والتسامح الذى عاشوه فى ظل حضارة الإسلام وعلى كل حال فإن النبوءة القرآنية قد تحققت ونقصد بها الصعود الإسرائيلى، ونقصد بها أيضا التحالف بين النصارى واليهود الذى لم يحدث إلا فى هذه الفترة، فالآية القرآنية تقول:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدى القوم الظالمين﴾.

«المائدة ٥١»

وكان المفسرون يحتارون فى تفسير هذه الآية، ويلجأون إلى تفسيرها فى إطار أن الكفر ملة واحدة أى تفسيرا جماليا دون ذكر تفاصيل محددة لهذه الموالاة ، بل العكس كان موجوداً فحتى ١٩٤٤ كان اليهود يتعرضون للاضطهاد والإبادة على يد الألمان مثلا، أما الآن فقد تحققت النبوءة القرآنية، فالتحالف الاستراتيجى بين الغرب وإسرائيل واضح جدا سواء فى ازدواج المعايير الدولية فيما يخص إسرائيل أو فى الدعم الهائل الذى تلقته إسرائيل من الغرب لدى قيامها وحتى الآن وانتهاء بظهور ما يسمى بالأصولية الإنجيلية التى تجعل دعم قيام إسرائيل الكبرى واجب مسيحى على أساس أن ذلك شرط لظهور

المسيح ووقوع معركة مجدون كما يرى دعاة هذا التفسير المزيف للإنجيل المحرف وكذلك وصل الأمر إلى حد تبرئة الكنيسة الكاثوليكية لليهود من دم المسيح وحتى بابا الفاتيكان يعلن أنه لا يمانع فى الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل بشرط حرية الأماكن المقدسة ، وحتى أسبانيا التى طردت اليهود مع المسلمين منذ ٥٠٠ عام اعتذرت رسميا عن ذلك لليهود فقط ولم تعتذر للمسلمين بالطبع.

إذن فالتحديات أمامنا تتمثل فى تحالف أوروبى إسرائيلى، تواجد عسكرى أمريكى فى أكثر من مكان ، توحد الغرب بعد سقوط الشيوعية على أساس أن العدو هو المسلمون ، التبشير بما يسمى بالنظام العالمى الجديد والذى يعنى الخضوع طوعا أو قهرا لقيم الحضارة الغربية ، الأمر الذى يهدد الوجود الحضارى الإسلامى برمته ، نواجه أيضا الاستبداد السياسى لأنظمة حكم تابعة للغرب ، نواجه اختراقا سياسيا وعسكريا واقتصادياً وثقافيا، نواجه حالة من التخلف والتمزق والتجزئة، نواجه محاولة إسرائيلية مستمرة للتوسع ومحاولة غربية مستمرة لإدماج إسرائيل فى المنطقة فى إطار الخضوع الكامل منا ومنها للحضارة الغربية فى صورتها الأمريكية، نواجه مكرا إسرائيليا متقلبا يقدم اليوم نفسه إلى الغرب كمغرزة متقدمة لضرب الأصولية الإسلامية، أى ضرب أى محاولة للنهوض الإسلامى والصحوة الإسلامية أو أى محاولة للإنعتاق من أسر التبعية الغربية سياسياً أو اقتصاديا أو عسكريا أو ثقافيا، نواجه تطهيراً عرقياً ومذابح للمسلمين فى كل مكان وآخرها البوسنة والهرسك، وبكلمة واحدة نحن نواجه الآن محاولة إبادة حضارية كاملة تستهدف وجودنا الحضارى ذاته.

حاجتنا إلى فقه الاقلاع

نحن الآن فى خطر ماحق، نواجه كافة الإبادة الحضارية أو الذوبان الحضارى ، أو الضياع، أو الإلحاق الحضارى أو حتى الابادة الشاملة لكل ما هو مسلم حتى ولو استسلم لقيم الحضارة الغربية، الخطر يمس كل مسلم، فالبعض يعدوننا جهارا نهارا بالقتل والإلقاء فى المزيلة لأن المسلمين فى نظرهم هم زبالة العالم على حد قول بعضهم فى الشبكة التليفزيونية الأمريكية C.N.N ونحن أيضا فى حالة تجزئة واختراق، وبالتالى فنحن فى حالة لا يصح معها إلا المواجهة أو الموت، الاستسلام يعنى الموت، والمواجهة أيضا قد تعنى الموت ولكنها قد تعنى الحياة أيضا ، ونحن نثق فى قدرتنا على الصمود والمواجهة ، والله تعالى بشرنا بذلك فى القرآن الكريم:

«وقضينا إلى بنى إسرائيل لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلُن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علو تتبيرا».

وهذا النصر على إسرائيل هو بالضرورة جزء من النصر على الغرب وحسم الصراع الحضارى لصالحنا فلا داعى لليأس، البعض يقول لا داعى للمواجهة نحن أضعف من أن نواجه، أمريكا قوية والغرب قوى ، هناك عدم تكافؤ هائل

فى السلاح والإمكانيات وإلى هؤلاء تقدم الآية القرآنية التى تخص حالتنا والتى تتحدث عن الحالة التى نحن بصددها وهى حالة التحالف الذى حدث لأول مرة فى التاريخ بين اليهود والنصارى تقول الآية القرآنية :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين ، فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين﴾

الآية إذن تتحدث عن الحالة التى نحن بصددها، وهى الموالاة والتحالف بين اليهود والنصارى ، وتقول لنا ألا نتخذهم أولياء ، أما الذين فى قلوبهم مرض، وهم هنا دعاة السلام مع إسرائيل ودعاة عدم مواجهة الغرب الذين يقولون لانقدر على إسرائيل لا نقدر على الغرب، سيدمروننا بأسلحتهم ، فالله تعالى يقول لهم بل عليكم أن تثقوا فى الله تعالى مالك الكون كله، فهو قادر رغم عدم التكافؤ فى السلاح والإمكانيات على أن ينصرنا بإرادته المباشرة على هؤلاء.

وهكذا فإن الموقف الصحيح هو المواجهة ، والمواجهة تكون طبعا برفض الاندماج فى حضارة الغرب ، والتأكيد على الذات والهوية الحضارية لأمتنا، ومقاتلة إسرائيل ، وحشد الأمة كل الأمة لمناهضة الاستعمار والصهيونية ، وتحقيق الوحدة وإعلاء قيم الجهاد، ونحن نرى أن الحركة الإسلامية هى خميرة النهضة فى جسد الأمة، وعليها بالتالى أن تؤدى دورها فى إنهاض الأمة، وبعث

قيم الجهاد والوحدة، وحشد كل الطاقات لمناهضة الاستعمار والصهيونية والاختراق السياسى والثقافى والاجتماعى والعسكرى والتبعية الاقتصادية، أى التصرف بمنطق وفقه الاقلاع، وكلمة فقه الاقلاع هنا ليست من قبيل الفذلكة اللفظية ولا محاولة لاستخدام مصطلح جديد أو طريف بل هو يمثل حاجة ضرورية.

وإذا أدركنا أن الاجتهادات الإسلامية تستند أساسا على نصوص القرآن والسنة وهذه النصوص ثابتة، وكذلك تدرس الواقع الموضوعى من خلال تلك النصوص فتقدم الاجتهاد المكافىء لهذا الواقع من خلال تلك النصوص التى يتم التعامل معها بمنطق المنهج وليس مجرد نصوصا ممزقة بلا رابط، فالفقه لا يعمل فى الفراغ، وتغير الاحكام والاجتهادات بتغير الزمان والمكان أمر يعرفه كل الفقهاء ، فالإمام الشافعى مثلا غير الاحكام والاجتهادات فى مصر عنها فى العراق مثلا، والفقه الاسلامى المعروف والذى أبدعته اجتهادات العلماء تم كله إما فى حالة الصعود الحضارى والسيادة الحضارية أو فى حالة التعادل الحضارى ، وكان هذا الفقه عظيما ومناسبا ومستجيبا ومدركا لظرف السيادة الحضارية الإسلامية التى ظهر فى إطارها، أما اليوم فنحن فى ظرف مختلف زمانيا ومختلف نوعيا، نحن لسنا فى حالة سيادة حضارية أو حتى تعادل حضارى، بل فى حالة هزيمة حضارية وعلينا الاعتراف بهذا أولا وألانتجاهله ، نحن فى حالة اختراق سياسى وثقافى وعسكرى واقتصادى ، نحن أمام تحديات تهدد وجودنا برمته، نحن أمام كيان إسرائيلى يريد التوسع على حسابنا، وأمام تحالف بين الغرب واسرائيل وأمام أمة تعانى من كثير من الأمراض، وعلينا أن نراعى هذا كله فى تقديم اجتهاد مكافىء لهذا الظرف وأخذاً له فى الاعتبار

ونحن نطلق عليه اسم فقه الاقلاع.

نحن نريد إيقاف الانحدار فى المنحنى، ونحن نريد إحداث انقلاب فى هذا المنحنى باتجاه الصعود، ومن المعروف علميا أن الطاقة اللازمة لإحداث انقلاب فى أى منحنى أكبر كثيرا جدا من الطاقة اللازمة لرفع هذا المنحنى من نقطة الصفر أو البداية، وعلى ذلك نحن نريد اجتهادات تكافىء كما ونوعا هذه الحالة، اجتهادات تحقق الاقلاع الحضارى .. نحن فى حالة لم تمر علينا من قبل لا فى حالة الصعود ولا فى حالة الثبات الحضارى ولا حتى فى حالة النزول الحضارى، نحن فى حالة إقلاع تقتضى فقها جديرا بالاقلاع ومكافئا لإحداث الانقلاب فى المنحنى الحضارى.

وإذا تأملنا الآية الكريمة :

﴿إن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾.

لفهمناه فى إطار ما نحن فيه على أن الأمة الجديدة تختلف ليس فى السلوك وحده عن الأمة السابقة بل فى الوسائل والأساليب وأدوات البحث وبالتالى فى أسلوبها وفقهها وأولوياتها.

★★★

قلنا إن الحركة الإسلامية هى خميرة النهضة فى جسد الأمة وقلنا إننا فى حالة جد مختلفة لم تمر بالأمة من قبل ، وبالتالى فلو تصرفت تلك الحركة بمنطق الفرقة الدينية أو حركة الإصلاح الاجتماعى أو الوعظ الأخلاقى، أو

تصورت نفسها بديلا عن الأمة أو شيئاً مختلفاً أو منفصلاً عنها لكان هذا تكريسا للتخلف ونذيرا بانهيار الأمة والحركة معاً، الحركة الإسلامية إذن هى خميرة فى جسد يريد الاقلاع، عليها استنهاض طاقات هذا الجسد كله بلا استثناء وحشد كل قوى الأمة فى المواجهة واستبعاد وتأجيل كل ما يبعث على التفرق والتشرذم والتجزئة، أو التركيز على قضايا جانبية مهما كانت مهمة، نحن أمام تحديات الاقلاع نحن أمام حالة تريد اجتثاث حضارتنا ووجودنا من الجذور وأولويات الاقلاع هنا هى التأكيد على الثقافة الذاتية والهوية الحضارية ورفض الالحاق الحضارى ومواجهة الاستعمار والصهيونية والتخلف والتجزئة والتبعية الاقتصادية والتأكيد على قيم الجهاد والحرية والوحدة، واعتبار القضية الفلسطينية هى القضية المركزية للأمة الإسلامية، والتصرف بمنطق الطليعة وليس الفرقة وعدم إثارة قضايا من أمثال جاهلية المجتمع أو فتح الخلافات حول العقائد أو الاحكام الفقهية فيما يخص هذه الحالة الجزئية أو تلك، لأن الأمر لايحتمل هذا الترف ، فإذا كانت الأمة الإسلامية قد تحملت ظهور الفرق الإسلامية فيما سبق فذلك كان أيام صعودها، أما الآن ونحن فيما نحن فيه من تحديات تهدد وجودنا، لابد أن نقدر أن ظروفنا لاتحتمل ظهور فرقة جديدة أو بعث الخلافات حول الفرقة القديمة أو التعامل مع المجتمع بمعزل عنه أو التعالى عليه أو اتهام هذا المجتمع أوذاك .. هذا الفرد أو ذاك بالجاهلية أو غيرها، لسبب بسيط هو أن هناك أولويات وضرورات، ولسبب آخر أن هذا الفرد وذاك المجتمع فى حالة الهزيمة الحضارية لا يتصرف بصورة مستقلة تماما عن التحديات وبالتالى فهو ليس فى حالة الاختيار الحر وهى شرط ضرورى لإطلاق الحكم وإصدار الفتاوى على هذا الفرد أو ذاك المجتمع، عندما نصل إلى حالة السيادة

الحضارية، عندما تنتهى التحديات التى نواجهها أى عندما نكون فى حالة الاختيار الحر، عندها فقط يمكن أن نطبق الأحكام بشأن جاهلية المجتمع أو عدم جاهليته، لأن المجتمع هنا يختار بحرية أما ونحن ومجتمعاتنا فى حالة هزيمة حضارية أمام الغرب، ونحن ومجتمعاتنا خاضعون شئنا أم أبينا لإرادة الغرب السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بل والعسكرية، فالأولى بنا أن نعمل للانعتاق من هذا الخضوع والتبعية بدلا من أن ننشغل بتوصيف الحكم الشرعى لهذه المجتمعات استناداً إلى اجتهادات ظهرت فى حالة مختلفة كميا ونوعيا عن حالتنا، أى ظهرت فى حالة السيادة الحضارية الإسلامية.

حالة الاقلاع تقتضى حشد كل القوى وأيا كانت درجة تقواها لمواجهة الاستعمار والصهيونية والتبعية وتحقيق الانعتاق الحضارى وإحداث الانقلاب فى المنحنى وتأمين صعوده، وعلى رأس هذه الأولويات تأتى قضية فلسطين باعتبارها التجسيد الأخطر للتحدى الغربى وباعتبارها القضية المركزية للأمة الإسلامية وباعتبار أن الجهاد والكفاح والنضال فى سبيلها أولى شروط الاقلاع الحضارى وحسم التحديات الكبرى التى نواجهها الآن لصالحنا.

من العام إلى الخاص إلى الأخص «الحركة الإسلامية فى مصر»

نحن إذن من حيث العموم أمة ذات رسالة تحريرية، ولكننا الآن فى ظرف خاص يقتضى اجتهادا خاصا، ومن العام إلى الخاص نصل الآن إلى حالة مصر.

ومن خلال فهم وإدراك رسالتنا كأمة، ومن خلال فهم ما وصلنا إليه الآن وحالة أمتنا فى هذه اللحظة يمكننا أن نقيم الحركة الإسلامية فى مصر كجزء من حالة الصحوة الإسلامية ومع إدراك أن الظرف الز مانى والمكانى يجعل لكل حركة فى أى بلد خصوصية أخص.

★★★

فى إطار الصراع المستمر بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية وفى إطار الحملة الصليبية الثانية تعرضت مصر لغزو فرنسى فى عام ١٧٩٨ ، وكانت البنية السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية فى مصر فى ذلك الوقت تسمح بالمقاومة، فلم يكن التغريب قد فعل فعله القبيح فينا وبالتالى كان الشعب يقاوم الحملة الكافرة ببساطة وإيجابية، وكان هناك علاقة صحيحة بين علماء الإسلام فى الأزهر وبين الجماهير، فقام العلماء بدور التحريض وقيادة الثورة، وهذا شرط لازم لنجاح أى مقاومة لأن الأمة لا تتحرك إلا من خلال

وجدانها الدينى وبقيادة علمائها الشرفاء وبالفعل نجحت المقاومة الشعبية فى هزيمة الفرنسيين ورحيلهم عن مصر سنة ١٨٠١، وكانت هذه المقاومة من السعة والقوة والانتشار والايجابية بحيث أنها غطت كل مصر، القاهرة والاسكندرية، والوجهين البحرى والقبلى، وقد شارك فيها الرجال والنساء وحتى الأطفال، شارك فيها الفلاحون والحرفيون وأبناء البلد وعلماء الدين، بل والتجار، أكثر من هذا أن الثوار نجحوا فى تصنيع المدافع والبارود إبان ثورة القاهرة الثانية سنة ١٨٠٠.

وتصاعدت الحركة من مقاومة للاحتلال الأجنبى إلى رفض استبداد الولاة، فاندلعت ثورة كبرى سنه ١٨٠٥ نجحت فى إزاحة الوالى والحصول على وثيقة تؤكد إرادة الشعب ، وعدم إصدار أى قرار من الولاة إلا بالرجوع إلى زعماء الشعب وأعيان البلد ورؤساء الحرف المهنية وعلماء الدين أى برلمان الشعب ونجحت هذه الحركة أيضا فى هزيمة الحملة الانجليزية بقيادة فريزر سنة ١٨٠٧.

ومعنى هذا أننا أمام صحوة شعبية إسلامية هائلة نجحت فى صد غزوتين استعماريتين فى أقل من عشر سنوات، ونجحت فى تفجير ثورة شعبية ضد استبداد الولاة وحصلت على وثيقة تؤكد على الشورى والحكم الجماهيرى ورفض الديكتاتورية، وكان من الممكن من خلال هذه الصحوة أن تحدث حركة النهضة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ونلاحظ هنا أن الثوار الذين نجحوا فى صناعة المدافع والبارود أكدوا بذلك على أن التقدم الصناعى والثورة الصناعية يمكن أن تحدث فى مصر، فمن الناحية العلمية فإن نجاح الثوار فى صناعة المدافع والبارود يعنى أن العلم موجود والخبرات موجودة لهذه النهضة

الصناعية بل إن التمويل كان موجودا أيضا حيث شارك فى الثورة كبار التجار من أمثال السيد أحمد المحروقى كبير تجار مصر فى ذلك الوقت.

ولكن محمد على نجح فى إجهاض هذه الثورة ونجح فى القضاء على البنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى أفرزتها، فمن ناحية قلص دور الأزهر والعلماء فأفسد الشرط الأساسى للمقاومة وهو العلاقة بين الجماهير والعلماء، ومن ناحية ثانية قضى على زعماء الشعب من أمثال السيد عمر مكرم، ومن ناحية ثالثة احتكر الصناعة والزراعة والتجارة، وبرغم أنه حقق إنجازات صناعية كبيرة، إلا أنه ربطها بشخصه وبجيشه فلما انهار محمد على سنة ١٨٤٠ انهار معه المشروع الصناعى وبذلك امتص محمد على الطاقات المهنية والعلمية والاقتصادية فى مشروعه وأجهضها مع هزيمة سنة ١٨٤٠، ولوتركها للتفاعل الحر بعيدا عن شخصه لتطورت بشكل يصعب ضربه أو القضاء عليه.

أكثر من هذا أن محمد على استخدم موارد مصر الهائلة فى الصدام مع الخلافة العثمانية فأضعفها وأضعف معها مصر وبذلك قلص دور الخلافة العثمانية فى التصدى للدول الأوروبية داخل أوربا ومهد لإسقاطها فيما بعد، وحرم مصر من مواردها وإمكانياتها التى ضاعت فى الصدام مع الخلافة العثمانية وبالتالى حرمها من التطور ومهد الطريق لسقوطها ومعها الشمال الأفريقى بل كل أفريقيا فيما بعد فى قبضة الاستعمار الأوروبى.

ولو أن محمد على تجنب الصدام مع الخلافة العثمانية واستفاد بموارد مصر وجيشها فى فتح أفريقيا لكان قد حقق عدة أهداف فى وقت واحد، كان

قد حقق النهضة الصناعية فى مصر وأفريقيا بإمكانيات مصر العلمية والبشرية وبموارد أفريقيا الهائلة، ولكانت تلك القارة قد أصبحت أعظم القارات تقدما، ولكانت أفريقيا المسلمة هى الناهضة الآن وليس أوروبا، ولاننسى فى هذا الصدد أن النهضة الأوروبية الحديثة قامت بثروات أفريقيا وبسواعد العبيد الأفريقية أيضا.

ولكان قد ترك الخلافة العثمانية قوية تستطيع مواجهة أوروبا ومنعها من السيطرة على العالم وافريقيا، وربما كانت انتصرت على أوروبا وأنهت النهضة الأوروبية من جذورها، وفى أقل الأحوال كانت الخلافة العثمانية قبل أن يضعفها محمد على قادرة على إلهاء أوروبا وشغلها ومنعها من عرقلة مشروع محمد على الأفريقى.

ولكن شاء الله تعالى أن يخطىء محمد على الخطأ القاتل فيضيع موارد مصر ويفتح الطريق أمام أوروبا إلى مصر وأفريقيا، وأن يتسبب فى إضعاف الخلافة العثمانية فيجعلها لا تصمد أمام أوروبا وتسقط فى النهاية وتفتح الطريق بالتالى أمام الاستعمار الأوروبى لاحتلال العالم الإسلامى وتجزئته ونهبه.

مع عام ١٨٤٠ ومع سقوط مشروع محمد على انفتحت مصر أمام النفوذ الثقافى والاقتصادى الأوروبى، وجاء المرابون وأصحاب البنوك والأفاقون والمغامرون من كل حدب وصوب إلى مصر فأغرقوها فى الديون، وسيطروا على كل القطاعات الاقتصادية والتجارية فيها، ولم يسمحوا للمصريين إلا بالعمل فى القطاع الزراعى على أساس تكوين أرستقراطية زراعية تحقق لهم زراعة المحاصيل التصديرية «الخامات» اللازمة لعجلة الصناعة الأوروبية، وفى نفس الوقت تمتص تلك الارستقراطية الزراعية فوائض الأموال المصرية فتنفقها فى

الترف أو فى المضاربات العقارية وبذلك لا تصل إلى القطاع الصناعى ولا تساهم فى نموه ولاتتحول إلى برجوازية صناعية.

وفى مواجهة ذلك اندلعت حركة إسلامية بقيادة الأفغانى والنديم لمواجهة النفوذ الأجنبى والاستبداد الخديوى، الأمر الذى أدى إلى ظهور الثورة العرابية، وقد حاول برلمان تلك الثورة أن يستقل بالسوق المصرية ويدعم الصناعة الوطنية فقرر تقليل المساحات المنزرعة بالسلع التصديرية كالقطن وزيادة المساحات المزروعة بالغلال، وكذا وجه النظر إلى ضرورة فرض حماية جمركية وتشجيع الصناعة الوطنية ،وعلينا أن نلاحظ أيضا أن التمويل كان جاهزا لأن كبار التجار ساهموا فى تلك الثورة من أمثال السيد حسن موسى العقاد والسيد حسن الشمسى وغيرهما، بل كان هؤلاء من قيادات الثورة وصدرت ضدهم أحكام إبان محاكمة زعماء الثورة.

ومع انهيار الثورة العرابية ودخول الإنجليز مصر سنة ١٨٨٢ انهار مرة أخرى المشروع النهضوى المصرى، وكرست سلطات الاحتلال الإنجليزى سياسة منع قيام الصناعة المصرية ومنع ظهور طبقة متوسطة مصرية تحمل أعباء التحول الصناعى وفرضت رسوما باهظة على أى صناعة مصرية فى حين أنها ألغت أى قيود جمركية على استيراد السلع الصناعية من أوروبا، وكذلك فرضت ضريبة على الحرفيين المصريين تسمى «ضريبة الباطنطا» للحيلولة دون تحول الحرفيين المصريين إلى نواة للصناعة المصرية وفي نفس الوقت احتمت سلطات الاحتلال بزيادة الرقعة الزراعية المصرية ومشروعات الرى ودعمت الارستقراطية الزراعية المصرية بهدف امتصاص فوائض الأموال المصرية بعيدا عن القطاع الصناعى،

وفى نفس الوقت الحصول على الخامات الزراعية اللازمة للمصانع الإنجليزية.

ومرة أخرى تندلع حركة النضال الوطنى بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد وتناهض المشروع الاستعمارى وتدعو إلى الصناعة الوطنية وإنشاء المدارس الصناعية والحرفية، ونجحت فى إنشاء النقابات العمالية وروابط الخريجين، بل واهتمت بالتعاونيات، وكان عمر باشا لطفى أحد زعماء الحزب الوطنى هو رائد حركة التعاون المصرية فى ذلك الوقت، وقد نجح الحزب الوطنى كذلك فى بعث روح المقاومة واليقظة فى الأمة، ووصلت خلايا الحزب إلى كل مكان فى مصر فى ١٩١٠ ، وتم التمهيد لاندلاع الثورة، ولكن الانجليز نجحوا فى إبعاد محمد فريد عن مصر، وعندما اندلعت الثورة التى جهز لها الحزب الوطنى وبكوادر الحزب سنه ١٩١٩ نجحت المؤامرة الانجليزية فى فرض زعامة تابعة لها على تلك الثورة وهى سعد زغلول، فأضاع الثورة وسار بها فى مسارات جانبية.

ومع فشل ثورة ١٩١٩ ، وسقوط الخلافة سنة ١٩٢٤ ، وتعرض مصر لحالة من الاختراق السياسى والثقافى والاقتصادى والعسكرى ظهرت عدة حركات للنهضة هى حركة الجمعية الشرعية، التى دعت إلى مقاطعة البضائع الأجنبية وحاولت إقامة صناعة نسيج وطنية وكذلك شاركت فى ثورة ١٩١٩ وإضرابات العمال بعد الثورة وكذلك كان من أعضائها قيادات عمالية وكذا عناصر نشيطة فى اغتيال الجنود الانجليز فى شوارع القاهرة وخاصة اغتيال السردار الانجليزى، واهتمت هذه الحركة أيضا بالتضامن مع الشعب الفلسطينى الذى أصبح يواجه فى ذلك الوقت الهجرة اليهودية والتآمر الانجليزى والدولى بهدف قيام إسرائيل وظهرت أيضا حركة مصر الفتاة بقيادة أحمد حسين التى ركزت

على مناهضة الاستعمار ومناصرة الفقراء والمستضعفين والدعوة إلى مشروع القرش لتجميع المدخرات الوطنية اللازمة لتحقيق صناعة وطنية، وظهرت أيضا سنة ١٩٢٨ حركة الإخوان المسلمين بقيادة الإمام الشهيد حسن البنا، وكانت حركة قوية وإيجابية ونشيطة فى مناهضة الاستعمار والصهيونية ونشر التعليم وتحرير المرأة بصورة صحيحة وتفجير الانتفاضات العمالية والفلاحية والتأكيد على الثقافة الإسلامية فى مواجهة التغريب، ونظمت تلك الحركة نضالا يوميا واسعا ضد الانجليز انتهى باندلاع العمل المسلح ضد الانجليز فى شوارع مصر واغتيال جنود الاحتلال، وكذلك انتهى بحركة كفاح مسلح واسعة ضد الانجليز فى سنة ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ على ضفاف القناة، وكذلك نظمت الحركة تضامنا شعبياً واسعا مع قضايا العالم الإسلامى فى مواجهة الاستعمار والتجزئة والتخلف ، واهتمت اهتماما فذا بالتضامن مع الشعب الفلسطينى على مستوى المظاهرات والمهرجانات والصحافة وتقديم الدعم للشعب الفلسطينى وتوجت هذا العمل العظيم بإرسال المتطوعين الى فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وقام هؤلاء بالعديد من الأعمال البطولية والفدائية أشاد بها الجميع بما فيهم قيادات الجيش المصرى فى ذلك الوقت ، وكذلك نظمت الحركة المطالب الشعبية لحقوق العمال والفلاحين والفقراء عموما واندلعت الإضرابات العمالية والانتفاضات الفلاحية وخاصة فى قرى بهوت وكفور نجم وميت فضالة.

ومن ناحية أخرى ظهر طلعت حرب، الذى جمع المدخرات الوطنية وأقام العديد من الصناعات المصرية، وبالطبع تعرض الرجل للحرب من الإنجليز وعلمائهم، ولكن جاءت الحرب العالمية الثانية لتقدم نوعا من الحماية الجمركية

غير المقصودة للصناعات المصرية ، بسبب النشاط البحرى الحربى للمتحاربين والذى منع عملية الاستيراد ووصول البضائع الصناعية إلى مصر من أوروبا، بل أكثر من هذا اضطرت إنجلترا لشراء المنتجات الصناعية المصرية لتلبية حاجات جيوشها ، وخرجت الصناعة المصرية بعد الحرب العالمية الثانية قوية وقادرة على التطور والنهضة.

وهكذا ومع بداية الخمسينات، كان النظام السياسى المصرى قد وصل إلى ذروة الأزمة سياسياً واجتماعيا، وكانت الحركة الشعبية ممثلة فى الإخوان المسلمين ومصر الفتاة قد حركت الجماهير فى كل مكان ووصل الأمر إلى عشرات الإضرابات العمالية والانتفاضات الفلاحية وامتلكت هذه الحركات القدرة والسلاح والتدريب من خلال المشاركة فى حرب فلسطين أو تنظيم الاغتيالات لجنود الاحتلال فى شوارع القاهرة أو تنظيم الكفاح المسلح فى القناة سنة ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ، وكان معنى هذا أننا بصدد ثورة شعبية إسلامية حقيقية يمكن أن تضع مصر على طريق النهضة، ولكن القوى الشيطانية دبرت أمرها بليل ، فاغتالت الامام الشهيد حسن البنا، وأجهضت الثورة الحقيقية بثورة مزيفة هى حركة عبد الناصر سنة ١٩٥٢ ، وقامت هذه الحركة بالقضاء على الوعى الشعبى تماما، وقتلت أوسجنت أو اضطهدت كل القوى الشعبية ، وحرمت الجماهير من المشاركة الشعبية تماما، وفصلت السودان عن مصر حتى تفقد مصر عمقها الاستراتيجى وتصبح حياتها ممثلة فى منابع النيل تحت رحمة القوى الأخرى، كما أنها أجهضت الصناعة المصرية عن طريق ربط كل الصناعات والنشاط الاقتصادى بالنظام وسلمت تلك القطاعات الاقتصادية إلى مجموعة من المديرين الفاسدين ، الذين سرقوا ونهبوا هذه القطاعات الصناعية

والتجارية، وانتهى الأمر بإجهاض المشروع برمته مع انهيار النظام سنة ١٩٦٧ ، وبعد ذلك جاء دور الانفتاح فأكمل المسلسل وتم تصفية كل الصناعات الوطنية تقريبا فى السبعينات والثمانينات ، بل وصل الأمر إلى حد ضرب الزراعة المصرية اللازمة لغذاء الشعب مثل الغلال والقصب لصالح مزروعات مثل الفراولة والكنتالوب، أى ربط مصر صناعيا وزراعيا بالسوق العالمى وفتح السوق المصرى تماما أمام التجارة الدولية ، وبديهى أن الخضوع لآليات السوق العالمية محفوف بالمخاطر ويعرض البلاد لضياع إرادتها السياسية فضلا عن الخسائر الاقتصادية المتوقعة بسبب تحكم الكبار فى آليات هذا السوق لصالحهم وعلى حساب الشعوب الفقيرة .

★★★

فى مواجهة هذا، ناضلت الحركة الإسلامية المصرية ضد عبد الناصر فى ١٩٥٤ ، ١٩٦٥ ، وظهرت حركة الجهاد الاسلامى سنة ١٩٥٨ ونجحت فى الاختفاء عن أعين النظام لمدة طويلة ، وشاركت عناصر هذه الحركة فى القتال ضد إسرائيل فى منطقة الثغرة سنة ١٩٧٣ كما نظمت جمعية شباب محمد بقيادة الشيخ حافظ سلامة عملية الصمود المذهل فى مدينة السويس أثناء حصارها فى اكتوبر ١٩٧٣.

ومع ظهور كامب ديفيد وسياسة التصالح والتطبيع مع الكيان الصهيونى أظهرت الحركة الإسلامية ممثلة فى الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية والجهاد رفضا واسعا لتلك العملية وأكدت على ثوابتها الخاصة بضرورة استمرار الكفاح ضد اسرائيل وتحرير كل فلسطين وعدم القبول بسياسة الأمر الواقع وأن

القضية الفلسطينية هى القضية المركزية للأمة الإسلامية، وقامت عناصر من تنظيم الجهاد باغتيال السادات سنة ١٩٨١ بسبب تصالحه مع إسرائيل وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد كما نظمت النقابات التابعة للإخوان المسلمين مثل نقابة المهندسين والأطباء والصيادلة وغيرهم العديد من المؤتمرات والمهرجانات وإصدار البيانات تضامنا مع الشعب الفلسطينى ورفضا للتطبيع مع الكيان الصهيونى،بل وأصدرت تلك النقابات قراراً حرمت فيه على أعضائها زيارة إسرائيل أو التعامل معها الأمر الذى قلل كثيرا من سلبيات التطبيع وحجم هذا التطبيع،كما قدمت هذه النقابات العديد من أشكال الدعم للانتفاضة الفلسطينية،وكذلك قامت صحف الإخوان أو صحف التحالف الاسلامى بإبراز مساوىء التطبيع وكشف الاساليب الاسرائيلية فى اختراق المجتمع المصرى ونشر الإيدز والمخدرات والدعارة وإفساد الزراعة المصرية والبيئة المصرية وقام التحالف الإسلامى بين العمل والإخوان أى بين الامتدادات الصحيحة لمصر الفتاة «عادل حسين ومجدى حسين» وبين الإخوان باتخاذ العديد من المواقف السياسية للتأكيد على التضامن مع الشعب الفلسطينى ورفض مؤتمر السلام فى مدريد ، ومناهضة التطبيع مع الكيان الصهيونى، وابراز أن القضية الفلسطينية هى القضية المركزية للأمة الاسلامية، وأنه لاسبيل هناك إلا الكفاح المسلح لتحرير فلسطين من النهر إلى البحر ومن الجنوب إلى الجنوب.

كما قامت الجماعة الاسلامية بالعديد من المظاهرات تأييداً للشعب الفلسطينى خاصة فى جامعات الصعيد التى تسطير عليها، ونظمت هذه الجماعة العديد من المؤتمرات الشعبية تأييدا ودعما للانتفاضة الفلسطينية ووزعت الجماعة الكثير من البيانات والمنشورات بهذا الصدد رغم أنها تتعرض

لملاحقات أمنية قاسية.

وأفرزت الحركة الاسلامية فى مصر العديد من المجاهدين أمثال سليمان خاطر، سيد نصير، أيمن محمد حسن الذين وجهوا الرصاص إلى صدور اليهود فى سيناء أوداخل الأرض المحتلة أو حتى فى أمريكا.

الصاعدون والهابطون

إذا أدركنا أننا الآن أمام منحنى تاريخى، وأن أمامنا تحديات ضخمة من استعمار وصهيونية وتبعية اقتصادية وتخلف وتجزئة .

وأن كياننا الحضارى ووجودنا ذاته فى خطر ، لكان علينا أن نقدم اجتهادا وسلوكا مكافئاً لهذا الظرف، ولاشك أن كل من الإخوان المسلمين، وحزب العمل، والجماعة الاسلامية والجهاد تعى بصورة أو بأخرى بطريقة أو بأخرى هذا الظرف، وتعمل فى هذا الإطار من خلال مساحة واسعة من حركتها وتختلف هذه المساحة من حركة لأخرى إلا أن تلك القوى فى مجملها أو فى الجزء الرئيسى من حركتها تعمل فى هذا الإطار وبالتالى يمكن أن نضعها تحت خانة الصاعدون وهناك على الجانب الآخر، حركات وجماعات صغيرة ومتناثرة وهى فى طريقها إلى الزوال أو زال بعضها بالفعل لا تدرك هذا الظرف ولا تأخذه فى اعتبارها مثل جماعة التكفير والهجرة، القطبيين، جماعات الشيعة التى ظهرت مؤخرا، وكل من جماعة التكفير والهجرة والقطبيين يطرحون قضايا لاتلائم الظرف مثل جاهلية المجتمع، تكفير الناس، العزلة

الشعورية، المفاصلة، وبصرف النظر عن الجدل الفقهى حول هذه القضايا والذى لن نساهم فيه، فإن النتيجة الحتمية لمثل هذه الأفكار هو تحول الحركة الاسلامية إلى فرقة دينية ذات عقائد وسلوك مختلف عن عموم الأمة، وهذا يجعل الأمة والحركة فى حالة جدل بلا طائل فى وقت نتعرض فيه للإبادة الحضارية ونتعرض فية لتحديات كبرى، وإذا كانت الأمة الاسلامية قد تعرضت لظهور الفرق أيام صعودها الحضارى واحتمل بنيانها الاجتماعى هذه الفرق لأنها كانت صاعدة وسائدة حضاريا فإن واقعنا الآن لا يحتمل ظهور فرقةجديدة، ولايحتمل أيضا بعث خلافات الفرق القديمة، وخطأ هؤلاء أنهم لم يدركوا الظرف الذى نعيشه ولم يدركوا أن الأحكام الفقهية لاتعمل فى الفراغ وليست مطلقة بل هى نتاج فهم النصوص كمنهج وتطبيقها على واقع محدد، والواقع الذى أفرز هذه الأحكام كان واقعا مختلفا كما ونوعا عن واقعنا وبالتالى فهذه القضايا ليست قضايانا وواقعنا لايحتملها ولا يبررها.

وصحيح أن البعض قام مشكوراً بمناقشة هذه الأفكار ودحضها مثل المرحوم المستشار حسن الهضيبى فى كتابه دعاة لاقضاة إلا أن الصحيح والعملى أن نقول لهؤلاء نحن لا دعاة ولاقضاة ولكن حركة اقلاع حضارى ومواجهة تحديات.

أما بخصوص ظهور بعض الداعين إلى التشيع فى المجتمع المصرى وهم قلة قليلة فهؤلاء فى الحقيقة دعاة فتنة يسيئون إلى السنة والشيعة وإلى الحركة الاسلامية فى مصر وإلى الثورة الاسلامية فى ايران أيضا، وبصرف النظر أيضا عن الخلافات المعروفة بين السنة والشيعة، فإن الموقف الصحيح أن نعترف بوجود

خلافات وأن نتعاون رغم هذه الخلافات لأن التحديات التى تواجهنا لا تفرق بين سنى وشيعى، وأن ندرك أن هذا الظرف ليس ظرف نشر هذا المذهب أو ذاك، فالداعون إلى التشيع فى المجتمع المصرى لن يحققوا نجاحا أولا ، وسوف يستفزون الناس تجاه الشيعة ثانيا، ويضيعون وقت الناس وطاقتهم فى مناقشة الخلافات، ثم هم يجعلون الناس فى حالة عداء مع الثورة الاسلامية فى ايران نتيجة للاستفزاز تجاه الدعوة إلى التشيع، وأظن أنه لا الثورة الاسلامية فى ايران ولا أى مخلص للاسلام السنى أو الشيعى يريد حدوث فتنة من هذا النوع فى بلد مثل مصر فى ذلك الوقت، وأن أعداء الأمة هم المستفيدون وحدهم من أمثال تلك الدعوة فى هذا الظرف.

الفصل الثانى

حسن البنا

١٩٢٨ - ١٩٤٨

النهضة والإقلاع .. الدعوة إلى الإسلام والعمل

حركة تجمع ولا تفرق

كانت الخلافة العثمانية الاسلامية قد سقطت رسميا سنة ١٩٢٤ بعد أن عانت طويلا من الضعف والتفكك، وكان معنى هذا أن المنحنى الاسلامى قد هبط بشدة بعد أن فقدت الأمة آخر أشكال الوحدة، وكان لهذا الأمر أثره الكبير على المسلمين كمياً ونوعيا، وكانت معظم أفكار العالم الاسلامى قد باتت مجزأة وخاضعة للاستعمار وتتعرض لعملية اختراق سياسى واقتصادى وثقافى تستهدف القضاء على ثوابت الاسلام وملامح الحضارة الاسلامية، وكان الاستعمار قد نجح فى زرع العديد من المؤسسات العلمانية التى راحت تبشر بقيم الاستعمار وتدعو إلى التخلى عن المبادىء الاسلامية فى السياسة والاقتصاد والاجتماع، بل وتدعو إلى ترك الكفاح ضد هذا الاستعمار بالاضافة إلى تواجد مكاتب المؤسسات التبشيرية التى راحت تبشر بقيمة الحضارة الغربية تحت اسم التبشير بالمسيح مستخدمة فى ذلك أحط الوسائل التى تعتمد على حاجة الناس للدواء والمساعدة أو تحت ستار التعليم والعمل الاجتماعى ووصل الأمر إلى حد أن الأمور المعلومة من الإسلام بالضرورة كالخلافة والجهاد أصبحت بدورها هدفا لحملات التشكيك فأصدر على عبد الرازق كتابه «الاسلام وأصول

الحكم» الذى زعم فيه أن الاسلام لايعرف نظاما للحكم وأن الاسلام دين وليس دين ودولة وبدأ بدعة أنه لا سياسة فى الاسلام» .

وكان الحزب الوطنى الذى حمل راية الكفاح ضد الاستعمار والذى خاض المعارك من أجل التأكيد على القيم الاسلامية كالحجاب مثلا، حيث دخلت صحيفة اللواء الناطقة بلسان الحزب الوطنى هذه المعركة ضد قاسم أمين وصحافة حزب الأمة التابع للاستعمار الانجليزى، بل وكان مصطفى كامل نفسه طرفاً فى هذه المعركة الثقافية حيث دافع عن الحجاب باعتباره أحد قواعد الاسلام وأحد قواعد التميز فى الهوية والانتماء ورفض السلوك الغربى والقيم الغربية، كان الحزب الوطنى والذى فجر فى الحقيقة ثورة ١٩١٩ وتم سرقة هذه الثورة لصالح زعامة علمانية معروفة بعلاقاتها الحسنة بسلطات الاحتلال الانجليزية وهو سعد زغلول، كان هذا الحزب الوطنى قد وصل إلى حالة من الضعف بحيث أن الأمر كان يستدعى أن تظهر قوة شابة وصاعدة تحمل الراية وتكمل مسيرة مصطفى كامل ومحمد فريد، وتواجه التحديات من استعمار وصهيونية بدأت تظهر ملامحها فى فلسطين وتواجه أعباء التخلف والجهل والتبعية والاختراق السياسى والثقافى والاقتصادى الأوروبى للعالم الاسلامى عموما ولمصر خصوصا، وهكذا ظهرت حركة الاخوان المسلمين سنة ١٩٢٨، وحركة مصر الفتاة سنة ١٩٣٣، فأما حركة الاخوان المسلمين فقد نشأت على يد الإمام الشهيد حسن البنا سنة ١٩٢٨ وخاضت معاركها ضد الاستعمار والصهيونية والجهل والتبعية والانحياز إلى الفقراء والمستضعفين وناضلت ضد الاستبداد السياسى وحققت الحركة انتشارا واسعا فى صفوف الجماهير ووصل عدد المنتمين إليها إلى ٢ مليون عضو فى الأربعينات وقد

اعتمدت الحركة على أسلوب التربية لبناء الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، وكانت بحق بمثابة خميرة النهضة فى جسد مصر والأمة الاسلامية ومازالت هذه الحركة حتى اليوم تقوم بأعباء النهضة والاقلاع ومواجهة التحديات التى تطورت فأصبحت اختراقا أمريكيا واستبداداً حكوميا وتوسعا اسرائيليا.

وأما حركة مصر الفتاة التى نشأت على يد مؤسسها وزعيمها المرحوم أحمد حسين فإنها ركزت على العمل السياسى المباشر، وناهضت الاستعمار والاستبداد وانحازت إلى الفقراء ودافعت عن حقوق الشعب، ولكنها لم تصل فى قوتها وانتشارها إلى المدى الذى وصلت اليه حركة الاخوان المسلمين ، كما أن فكرتها الاسلامية لم تكن خالية من الشوائب، وعلى أى حال فإن مصر الفتاة وأحمد حسين قد أديا ما استطاعا من الواجب، ويمكن اعتبار مصر الفتاة بكل امتداداتها أحد روافد الحركة الاسلامية الصاعدة، وجدير بالذكر أن تلك الحركة قد امتدت حتى الآن متمثلة فى عادل حسين، مجدى حسين اللذين قادا مسيرة حزب العمل فى الاتجاه الاسلامى ونجحا فى النهاية فى تحقيق التحالف مع الاخوان المسلمين منذ عام ١٩٨٧ .

حسن البنا حلقة من حلقات الكفاح

حركة الاخوان المسلمين التى ظهرت سنة ١٩٢٨ هى امتداد طبيعى وعضوى لحركة الكفاح الاسلامى المصرى استطاعت أن تدرك المتغيرات وأن تستجيب لظروف الزمان والمكان وأن تلتقط الراية من الحزب الوطنى قبل أن تسقط فهى إذن حلقة من حلقات الكفاح المصرى الذى بدأ فى مواجهة

الحملة الفرنسية ١٧٩٨ والحملة الانجليزية ١٨٠٧ بقيادة عمر مكرم ثم فى مواجهة النفوذ الاجنبى بقيادة جمال الدين الأفغاني وعبد الله النديم الأمر الذى أدى لاندلاع الثورة العرابية ١٨٨١ ، ثم فى الكفاح ضد الاستعمار الانجليزى على يد مصطفى كامل ومحمد فريد ثم ثورة ١٩١٩ ، وهى الثورة التى شارك فيها حسن البنا بنفسه رغم صغر سنه فى ذلك الوقت حيث يذكر الإمام الشهيد فى كتابه مذكرات الدعوة والداعية، أنه شارك فى المظاهرات الطلابية التى اندلعت إبان ثورة ١٩١٩ عندما كان طالبا بمدرسة المحمودية الاعدادية، وكذلك عندما انتقل إلى مدرسة المعلمين بدمنهور كان من قيادات حركة الإضراب والمظاهرات والاشتباك مع البوليس، يقول الإمام الشهيد فى مذكرات الدعوة والداعية «كنت بحسب العقيدة أعتقد أن الخدمة الوطنية جهاد مفروض لامناص منه وكنت بحسب وصفى بين الطلاب ملزماً بأن أقوم بدور بارز فى هذه الحركات وكذلك كان»(١) .

ويقول «ولست أنسى أستاذنا الشيخ الدسوقى موسى ناظر المدرسة الذى كان يخشى هذه التبعات كثيراً، وقد أخذ بيدنا إلى مدير البحيرة أنذاك محمود باشا عبد الرازق، وألقى مسئولية إضراب الطلاب علينا وقال إن هؤلاء الطلاب هم الذين يستطيعون أن يقنعوا زملاءهم بالعدول عن الإضراب، وعبثا حاول محمود باشا أن يقنعنا بالوعد والوعيد والنصح ثم صرفنا على أن نتدبر الأمر ، فكان تدبيرنا أن أو عزنا إلى الطلاب جميعا بالتفرق فى الحقول المجاورة طول اليوم، وكان هذا يوم ١٨ ديسمبر ذكرى الحماية البريطانية»(٢) .

ويقول أيضا «ولست أنسى يوم أضرب الطلاب فى يوم من الأيام الثائرة

وأصبحت اللجنة الطلابية فى مسكننا وداهم البوليس المجتمعين فخرجت إلى الضابط وناقشته بحماس، وقلت له إن واجبه الوطنى يفرض عليه أن يكون معنا، لا أن يعطل عملنا ويقبض علينا، فاستجاب الضابط لهذا القول فخرج وصرف عساكره وانصرف معهم بعد أن طمأننا» (٣).

ويذكر حسن البنا أنه قد ألف ديوانا من الشعر الوطنى تأثرا بثورة ١٩١٩ إلا أن ذلك الديوان قد ضاع بعد ذلك، وقد ذكر حسن البنا جزءاً من قصيدة كان قد كتبها فى محمد فريد يقول فيها :

أفريد بالأمن والايمان.. أفريد لا تجزع على الأوطان

أفريد تفديك البلاد بأسرها ....(٤).

وفى الحقيقة فإن حركة الاخوان نفسها اعتبرت نفسها فى ذلك الوقت امتداداً لحركة الكفاح الاسلامى فى مصر من أجل النهضة وفى مواجهة الاستعمار مع إدراك ضرورة ربط مصر بالعالم الاسلامى وفهم المتغيرات على الساحة التى طرأت فى ذلك الوقت، فمن ناحية فقد حرصت الجماعة على الاحتفال بذكرى مصطفى كامل واعتبرته المجاهد الاسلامى الذى فهم أن الاسلام أمة واحدة وحرص على الدعوة للجامعة الاسلامية، وباعتباره مجاهدا عن حقوق مصر باعتبارها جزءا من الوطن الاسلامى الاكبر (٥).

ويقول حسن البنا «كان مصطفى كامل ورجاله يريدون إعداد الأمة لكفاح طويل تتحرر فيه نفوسها وأخلاقها فلا يلين لها قناة، وتعلم مكان الخداع والكيد فلا تقع فى مهواة الردى» (٦).

«وكان جمال الدين ومحمد عبده والكواكبى يسيرون بالناس دينيا وخلقيا إلى ناحية مثمرة» (٧) .

ويقول الأستاذ محمود عبد الحليم وهو المؤرخ المعتمد لدى جماعة الاخوان المسلمين عن السيد جمال الدين الأفغانى « هو رائد الدعاة فى هذا القرن وأحد أفذاذ العلماء وأئمة الدعاة ، نشأ فى القطاع غير العربى من العالم الاسلامى وحمل لواء الفكرة الاسلامية الى كثير من الأقطار الاسلامية وغير الاسلامية» (٨) .

ويقول محمود عبد الحليم عن مصطفى كامل «أنشأ مصطفى كامل الحزب الوطنى الذى تقوم فكرته الأصلية على أساس الفكرة الاسلامية وقد عاش مصطفى كامل، ماعاش ملتزماً بتلك الفكرة» (٩) .

وهكذا فإن جماعة الاخوان المسلمين كانت امتداداً عضويا للحركة الاسلامية المناهضة للاستعمار فى مصر، ولكنها أضافت عليها وطورتها حسب مقتضيات الزمان والمكان واستجابت للخدمات المستجدة على الساحة، ويجب على الاخوان المسلمين حديثاً أن يدركوا هذا الأمر، فيدركون التغيرات على الساحتين الدولية والمحلية والتى حدثت بعد وفاة الامام الشهيد حسن البنا والتى حدثت بعد ذلك وحتى الآن وأن يطوروا الوسائل والأساليب ويستجيبوا للتحديات المستجدة على الساحة أيضا ولو كان الامام الشهيد حيا لفعل الشىء نفسه ولطور نفسه أيضا وأدرك المستجدات فى إطار الثوابت.

ويلخص الأستاذ محمود عبد الحليم هذا الأمر قائلا «إن حسن البنا عاش بعض هذه الحركات فى صغره وقرأ عن البعض الآخر، ودرس هذه وتلك دراسة

عميقة واعية ، بعقلية الداعية الموهوب فعرف مواطن القوة فى كل منها، وألم بمواطن الضعف ، وأخذ بعد ذلك فى تحديد خطته مستلهماً توجيه القرآن الكريم وخطوات النبى صلى الله عليه وسلم، غير متجاهل الأوضاع العالمية وواقع الشعب الذى يعيش فيه ، فتجنب فى خطته التى رسمها مواطن الضعف فى تلك الدعوات وأخذ بنواحى القوة فيها » [١٠].

★★★

ويصل الأمر فى هذا الصدد إلى أن الإمام الشهيد حسن البنا يصرح بأن «العمل فى الاخوان المسلمين كالعمل فى الحزب الوطنى» [١١]، كما اتخذ حسن البنا من مكتب رئيس اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى مركزا يستقبل فيه أنصاره بعد قرار حل الاخوان المسلمين سنة ١٩٤٨ » [١٢].

ويرى الدكتور زكريا سليمان بيومى أن الحزب الوطنى هو الحزب السياسى الوحيد الذى دعا إلى الخلافة الاسلامية، وظل يدعو لها حتى بعد إلغائها، كما دعى إلى الحفاظ على التقاليد المتوارثة والتصدى لموجة الإلحاد والإباحية والدعوة لتحرر المرأة وتصدى لتيارى الخلافة العربية والقومية المصرية وهذا ما دعا إليه الاخوان المسلمون ، ويضيف د. زكريا بيومى أن الحزب الوطنى عارض اسلوب المفاوضات واعتبرها سبيلا مضيعاً للجهود، ولا يحقق الكسب إلا للاحتلال وأصر على شعار لا مفاوضة إلا بعد الجلاء، وأنه الحزب الوحيد الذى رفض معاهدة ١٩٣٦ وهذا هو عين موقف الاخوان المسلمين، وأن عددا من كبار أعضاء الحزب الوطنى هم الذين أسسوا جماعة لشباب المسلمين التى كان

حسن البنا عضوا فيها وبقى مشتركا فيها حتى وفاته(١٣).

وهذا كله يطرح قضية لماذا لم يدخل حسن البنا الحزب الوطنى ويستغل قدراته الهائلة فى التنظيم والحشد لتقوية هذا الحزب ، والصحيح أن البنا لوفعل هذا لكان مخطأ فى التكتيك السياسى، لأن الحزب الوطنى الذى قاد الكفاح ضد الاستعمار فى ظلال الخلافة العثمانية الاسلامية وبأساليب تتفق مع بدايات القرن العشرين، كان من الطبيعى أن يسير إلى الضعف الشديد مع انهيار الخلافة سنة ١٩٢٤ ، وكان من الطبيعى والضرورى فى مثل هذه الحالة أن يظهر

تجمع جديد يستجيب لهذا المتغير النوعى الخطير ويكتشف آساليب ووسائل جديدة فى الكفاح تقتضيها ظروف المرحلة، وهكذا ظهرت جماعة الاخوان المسلمين، وهكذا استطاع حسن البنا أن يحمل الراية بعد الحزب الوطنى الذى استمر ولكن بعد ضعف شديد، وأحسن البنا فى ذلك إذ أنفق جهده فى بناء حركة جديدة تستجيب من حيث الوسائل والمضامين لظروف المرحلة، بدلا من إنفاق هذا الجهد فى تقوية وترميم بناء كان لابد سائرا إلى الانهيار بعد أن انهار العمود الفقرى لحركته وهو الخلافة العثمانية الاسلامية، كانت اللحظة تقتضى جيلا جديدا يحمل أعباء البعث والنهضة بناء على روح إسلامية واضحة المعالم لأن ظرف سقوط الخلافة يقتضى التركيز على اسلامية الحركة، والحزب الوطنى الذى كان يعمل فى ظل الخلافة لم يكن ملزما بالتركيز على هذا الجانب لأنه بديهى ولم تكن قد حدثت الاستقطابات الحادة باتجاه العلمانية والتغريب بعد سقوط الخلافة. وهكذا فالموقف الصحيح هو ما فعله حسن البنا وهو الاستجابة الواعية لظروف ذلك الزمان وتغير التحديات بطريقة حادة بعد

سقوط الخلافة، الأمر الذى استدعى التأكيد على ما كان بديهياً من قبل.

حركة للنهضة والإيقاظ والاقلاع وليست فرقة دينية أو مذهبية

أكد حسن البنا منذ اللحظة الأولى لحركته، أنها حركة للنهضة ومحاولة لإيقاظ الأمة ومواجهة تحدياتها وأنها لا تمثل فرقة دينية قديمة أو جديدة ولا تنقد لرأى أو مذهب فهذا ليس شأنها ، وأنما شأنها العام والخاص هو محاولة التصدى للسلبية والتخلف والتجزئة والفرقة والاستعمار والصهيونية والجهل ، أى محاولة لإنهاض الأمة من جديد وحرص حسن البنا سواء فى أقواله أو أفعاله أو سلوك الحركة ومواقفها وأعمالها على التأكيد على هذا الأمر تماما، فكان لابد والحالة هذه ترك كل المسائل الخلافية ، وحشد الأمة جميعها لمواجهة التحديات، ودراسة الواقع المحلى والعالمى حتى يمكن معرفة أسباب انحطاط الأمة وتخلفها لتجاوز هذا الانحطاط والسير فى طريق النهضة ، ولو كانت حركة الاخوان فرقة دينية أو مذهبية لكانت قد حرصت على عقائد خاصة وفقهاً خاصا ولاهتمت بالمسائل النظرية الفكرية على حساب المسائل العلمية، ولكن العكس كان صحيحا تماما فيمكن أن تجد داخل الحركة السلفى والصوفى، الشافعى والحنبلى والمالكى والحنفى والظاهرى دون أن يحدث هذا أى معضلات أو حساسيات داخل الحركة ، لأنها كما ذكرنا حركة نهضة تريد إيقاظ الأمة ومواجهة التحديات وبالتالى تريد استنهاض كل أبناء الأمة لهذا الأمر بما فيهم السلفى والصوفى، الشافعى والحنفى، والحنبلى والظاهرى ، العامل والفلاح والموظف، عالم الدين والرجل البسيط، المثقف وغير المثقف، الجامعى وغير الجامعى، الرجل والمرأة على حد سواء ولكل دوره فى عملية

النهضة بالطبع.

يقول حسن البنا « هذا الخور أو النسيان أو الغفلة هو الذى جعلنا نحاول أن نوقظ قومنا المحبوبين» [14].

لاحظ هنا أن الهدف هو «أن نوقظ» ونوقظ من ؟ قومنا المحبوبين ، أى أنه يثق فى الأمة واسلامها وحسن استجابتها ويقول حسن البنا« إننا نعمل على جمع كلمة الناس على غرة الاسلام والعمل على إعادة مجده» [15].

ويقول «أعتقد أن من واجب المسلم إحياء مجد الاسلام بإنهاض شعوبه وإعادة تشريعه وأن راية الاسلام يجب أن تسود البشر» [16].

ويقول « فليجتهد الشرق فى العودة إلى الاسلام والتمسك بتعاليمه فذلك هو السبيل الوحيد للنهوض الصحيح» [17].

ويقول « اعلموا أيها الاخوان أن الاسلام والوطن الاسلامى العام يدعوكم لإنقاذه» [18].

ويقول «الاخوان المسلمون يخلصون لكل الهيئات الاسلامية ويعتقدون أن الحب بين المسلمين هو أصلح أساس لإيقاظهم» [19].

ويقول مخاطباً الاخوان « هل أنتم مستعدون لتموتوا وتحيا أمتكم وهل أعددتم أنفسكم بحق لتكونوا القربان الذى يرفع الله به هذه الأمة إلى مكانتها» [20].

ويقول « إنكم دعاة تربية وعماد انتصاركم إفهام هذا الشعب وإقناعه وإيقاظ شعوره من كل نواحيه على قواعد الاسلام وتعاليم الاسلام ومبادىء

الاسلام [٢١].

ويقول «ونحب كذلك أن يعلم قومنا أنهم أحب إلينا من أنفسنا وأنه حبيب إلى هذه النفوس أن تذهب فداء لعزتهم إن كان فيها الفداء أفضل وأن تزهق ثمنا لمجدهم وكرامتهم ودينهم وآمالهم إن كان فيها الفناء ، وما أوقفنا هذا الموقف منهم إلا هذه العاطفة التى استبدت بقلوبنا وملكت علينا مشاعرنا ، فأقضت مضاجعنا وأسالت مدامعنا ، وأنه لعزيز علينا جد عزيز أن نرى ما يحيط بقومنا ثم نستسلم للذل أو نرضى بالهوان أو نستكين لليأس فنحن نعمل للناس فى سبيل الله أكثر مما نعمل لأنفسنا، فنحن لكم أيها الأحباب ، ولن نكون عليكم يوما من الأيام» [٢٢].

وإذا حللنا النصوص السابقة من أقوال الامام الشهيد نجد أنه يحدد النهضة واليقظة والتحرر وغيرها من المترادفات كهدف ، ويرى أن الناس جميعا فى بلادنا هم المدعوون للقيام بتلك اليقظة والنهضة والتحرر وأن الاخوان المسلمين هنا هم بمثابة الخميرة أو القربان من أجل هذه اليقظة ، وهم ليسوا بديلا عن الناس بل هم مجرد خميرة للنهضة أو قربان أو وسيلة لإيقاظ المسلمين من غفلتهم وتشيع أيضا من كلمات الامام حسن البنا رابطة الحب لجماهير الأمة والثقة فيها فى نفس الوقت يقول حسن البنا «كل ما حولنا يبشر بالأمل رغم تشاؤم المتشائمين» [٢٣].

ويقول حسن البنا فى إطار حوار مع الشيخ يوسف الدجوى «الشعب معكم فى الحقيقة لو واجهتموه لأنه شعب مسلم وقد عرفته فى القهاوى وفى المساجد وفى الشوارع فرأيته يفيض إيمانا» [٢٤].

ويقول « ياالله ما أطيب قلوب هذا الشعب ، وما أعظم مبادرته إلى الخير متى وجد الداعية المخلص البرىء» [٢٥].

ويقول « إننى لا أريد أن تكون الحركة محصورة فى نفر من المسلمين ولا فى ناحية واحدة من نواحى الإصلاح الاسلامى» (٢٦).

وتأتى تسمية الحركة باسم الاخوان المسلمين لتؤكد على هذا المعنى حيث التسمية نشأت من الإقرار «بأننا أخوة فى خدمة الاسلام فنحن إذن الاخوان المسلمون» (٢٧).

ولعل إدراك حسن البنا لهذا الأمر جعله يتوجه بخطابه إلى رواد المقاهى قبل رواد المساجد ، وأن تضم حركته جميع قطاعات الشعب على حد سواء من طلاب، خريجى جامعات ، موظفين وعمال وفلاحين.

وجنود وضباط، وعلماء دين ... الخ، وكذلك استخدام أسهل وأبسط الأساليب فى خطبه وأحاديثه لتصل إلى قلوب وعقول أكبر عدد ممكن من أبناء الشعب.

يقول حسن البنا « أشار على الرجل أن ألقى درسا فى المسجد أو مصلى على البحر يجتمع فيه الناس فاخترت أن ألقى الدرس فى القهوة وقد كان» (٢٨).

ويقول حسن البنا « من أجل هذا يجب أن تعد البلاد التى تود النهضة مدرسة طلبتها كل المواطنين» (٢٩).

إذن فعماد النهضة هو كل المواطنين فى رأى حسن البنا، وليس الاخوان المسلمين وحدهم بل هم بمثابة خميرة للنهضة أو طليعة لها.

أكثر من هذا يحكى حسن البنا أنه تقبل نصيحة من الشيخ سعيد العرفى

وهو مجاهد إسلامى من سوريا تقول النصيحة « كان يقول لى دائما اسمع لاتتحرج أبداً من أن تضم إلى الدعوة المقصرين فى الطاعات المقبلين على بعض المعاصى الخسيسة مادمت تعرف منهم خوف الله واحترام النظام وحسن الطاعة فإن هؤلاء سيتوبون من قريب إن الدعوة مستشفى فيه الطبيب للدواء» [٣٠] .

وطالما كانت الحركة حركة لليقظة والنهوض ومواجهة التحديات، فكل من لديه عاطفة اسلامية ويريد المشاركة فى إنهاض الأمة أو مواجهة التحديات فهو جندى فى تلك الحركة ، بل إن جهاده من أجل أمته وفى مواجهة أعدائها هو طريقه إلى التوبة إن كان عاصيا « والذين جاهدوا فينا لتهدينهم سبلنا وهو درس بليغ، لأن خوض معارك الأمة لا يكون قاصرا على الملتزمين فقط، بل إن الطريق الصحيح للهداية والالتزام هو دفع الناس للجهاد ضد أعداد الأمة ومادامت الحركة الاسلامية هى مجرد طليعة للأمة من أجل نهضتها أو هى خميرة لتلك النهضة فالطبيعى أن تكون العلاقة بين الحركة «الخميرة» والأمة «جسم النهضة» علاقة حميمة وعضوية، وقد رأينا كيف أن حسن البنا يؤكد على علاقة الحب بين الحركة والأمة وعلى الثقة التى كان يضعها فى الشعب ومدى تفاؤله بالمستقبل ومن الطبيعى أن يكون المطلوب من عضو الحركة أو أحد أفراد الطليعة أو الخميرة أن يكون سبيلا إلى إسعاد أسرته وأقاربه وأصدقائه[٣١] وأن يعمل على مساعدة الفقراء والمحتاجين والسعى فى الصلح بين المتخاصمين وبث روح الحب والتعاون بين الجميع [٣٢] وأن يعمل كل مافيه سعادة ومصلحة مجتمعهم وأن يفهموا هذا المجتمع جيدا وأن يكون «عظيم النشاط مدربا على الخدمات العامة تشعر بالسعادة والسرور إذا استطعت أن تقدم

خدمة لغيرك من الناس، فتقود المريض وتساعد المحتاج وتواسى المنكوب وتبادر دائما إلى الخيرات» (٣٣)، وأن تكون «رحيم القلب كريماً سمحا تعفو وتصفح وتلين وتحلم وترفق بالإنسان والحيوان جميل المعاملة حسن السلوك مع الناس جميعا، محافظا على الآداب الإسلامية الاجتماعية، فترحم الصغير وتوقر الكبير وتفسح فى المجلس ولاتتجسس ولاتغتاب ولاتصخب وتستأذن فى الدخول والانصراف .. الخ »(٣٤).

ويقول حسن البنا أيضا « هؤلاء هم قومنا الأقربون الذين نحن إليهم ونعمل فى سبيلهم ونفتديهم بالنفس والمال» (٣٥).

وهكذا تكون العلاقة بين الحركة والأمة، الخميرة والجسد وإذا كان حسن البنا يؤكد على أن الاخوان المسلمين هم حركة البعث والإنقاذ والنهضة لدرجة أنه يضع هذا العنوان« دعوتنا دعوة البعث والإنقاذ(٣٦) فى إطار رسالة «بين الأمس واليوم» ، وفى الحقيقة فإن وضوح هذا الأمر كان وضوحا شديدا فكان من الطبيعى أن يؤكده كل من انتمى لحركة الاخوان المسلمين، فهاهو مؤرخ الحركة الأستاذ محمود عبد الحليم يقول « ولما كان الاخوان المسلمون هم الفئة التى قامت لتوقظ المسلمين من نومهم وتنبههم من خدرهم وتكمل صورة الاسلام الحى القوى الشامل أمام عيونهم» (٣٧).

وهكذا فالاستاذ محمود عبد الحليم يؤكد على أن الاخوان المسلمين حركة للإيقاظ والتنبيه، ثم هو يؤكد على أن تلك الحركة مجرد طليعة للأمة أو خميرة للنهضة قائلا « الاخوان المسلمون ليسوا المجتمع الاسلامى الوحيد، ولكن المجتمع الاسلامى العام يتسع لمئات من المجتمعات كلها مجتمعات

اسلامية بدرجات متفاوتة ومطلوب من الاخوان المسلمين وغيرهم من المجتمعات الاسلامية التفاعل مع المجتمع الاسلامى العام تفاعل المحبة والود وتقوية الوشائج والأواصر، أما انطواء المجتمع الاخوانى على نفسه، وتفاعله تفاعلا داخليا فحسب وانعزاله عن المجتمع العام فهو فهم يتنافى مع طبيعة الاخوان »(٣٨).

والأستاذ محمود عبد الحليم هنا يصر على أن الاخوان المسلمين أو الحركة الاسلامية هى طليعة الأمة أو خميرة النهضة لاتعمل بمعزل عن الأمة ولابديلا لها، بل أكثر من هذا نرى الأستاذ محمود عبد الحليم يؤكد على الثقة فى الأمة قائلاً «إن شعوبنا شعوب فطرت على التدين ، قد ترى الرجل منهم يقصر فى أداء عباداته، وقد تغلبه شهوة فينحرف ولكنه مع ذلك يحمل فى أعماق وجدانه شعورا ملتهبا لا يخبو أبداً ينطلق هذا الشعور الملتهب دون إرادته شواظا من نار إذا أحس بأن إنسانا مس دينه » (٣٩).

ويضيف الأستاذ محمود عبد الحليم « هذه الطبيعة هى التى كان على الاخوان إيقاظها، وهذه الطبيعة إذا استيقظت لن يقف أمامها شيء» (٤٠).

إذن فالاستاذ محمود عبد الحليم يحدد دور الاخوان أو الخميرة فى الإيقاظ، وأن الذى سيقوم بالمواجهة هى الأمة كلها وليس الاخوان وحدهم لأنه إذا استيقظت هذه الأمة فلن يقف أمامها شيء على حد قول الأستاذ محمود عبد الحليم.

أما الأستاذ صالح عشماوى فيقول «إن دعوة الاخوان ترمى إلى تجديد الاسلام فى القرن الرابع عشر، وترمى إلى تحرير كل شبر فيه نفس يردد لا إله إلا الله محمد رسول الله وأخيرا نشر الاسلام ورفع راية القرآن فى كل مكان

حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله»[٤٢] أى أن مهمة الاخوان هى تحرير العالم الاسلامى أولا، ليقوم هذا العالم الاسلامى أو الأمة الاسلامية بدورها الطبيعى فى الجهاد وإنقاذ العالم كله من القهر والشرك والكفر والوثنية .

ونفس الرأى يقرره الأستاذ مصطفى مشهور فى مقدمة كتابه رسائل الامام الشهيد حسن البنا حيث يقول« إن حركة الاخوان المسلمين أوقدت جذوة الاسلام فى النفوس من جديد».

★★★

الدعوة إلى الاسلام والدعوة إلى العمل من أجل إيقاظ وإنهاض أمة الاسلام

الدعوة إلى الاسلام واجب شرعى بمختلف الوسائل، والأصل أن يقوم بهذه الدعوة أمة الاسلام، ولا مانع من أن يقوم فرد أو جماعة بهذا الأمر، وبديهى أن الدعوة إلى الاسلام توجه لغير المسلمين وهذه نقطة مهمة يجب إدراكها، فأما الدعوة بين المسلمين فتكون إلى العمل بالاسلام أو إلى إيقاظ النفوس وشحذ الهمم من أجل النهضة ومواجهة التحديات والتخلى عن السلبية ويجب عدم الخلط بين الأمرين، لأن الخلط يصيب الحركة فى مقتل ويفتح بابا واسعا للخلاف والاختلاف، ويجعل الحركة غامضة لدى الناس، ويبرر للمتربصين بها اتهامها بشتى الاتهامات.

وإذا أدركنا أن أمتنا فى حالة هزيمة حضارية وتفكك وسلبية وتجزئة واختراق سياسى واقتصادى واجتماعى، لكان من الطبيعى أن يكون الهدف

الأول هو إيقاظ تلك الأمة ومواجهة تحدياتها وبعد ذلك يمكنها أن تقوم بمهمتها فى الجهاد والدعوة.

ونحن فى حالتنا هذه من الهزيمة والتجزئة والاستعمار والتبعية لا نمانع فى أن يقوم فرد أو جماعة بالدعوة إلى الاسلام لغير المسلمين ولكن يظل الهدف الأولى إيقاظ الأمة حتى تضطلع بالواجب وهو تحرير العالم كله والدعوة إلى الاسلام فى كل مكان، نحن نريد أن نفرق بين الأمرين، وألا نخلط بينهما فالدعوة إلى الاسلام تكون لغير المسلمين والدعوة داخل الأمة الاسلامية تكون باتجاه الإيقاظ والإنهاض ومواجهة التحديات، لأن الأمة الاسلامية مؤمنة بالاسلام وغيره الناس على الاسلام قوية جدا على حد قول الإمام حسن البنا والاستاذ محمود عبدالحليم وهو أيضا رأينا بل ونرى أن هذا هو الواقع الحقيقى للأمة ، فالاسلام مازال قويا فى النفوس وحالتنا تقتضى بعث العاطفة وترشيد الجهود من أجل النهضة والاقلاع ومواجهة التحديات.

والامام حسن البنا كان مدركا لهذا الأمر أيما إدراك حيث قال «إن الاخوان المسلمين يرون الناس بالنسبة إليهم قسمين قسم اعتقد ما اعتقدوه من دين الله وكتابه وآمن ببعثه ورسوله وما جاء به أى المسلمون ، وهؤلاء تربطنا بهم أقدس الروابط ، رابطة العقيدة وهى عندنا أقدس من رابطة الدم ورابطة الأرض ، فهؤلاء هم قومنا الأقربون الذين نحن إليهم ونعمل فى سبيلهم ونذود عن حماهم ونفتديهم بالنفس والمال ،فى أى أرض كانوا ومن أى سلالة انحدروا، وقوم ليسوا مسلمين ولم نرتبط معهم بعد بهذا الرباط ، فهؤلاء نساعهم ما ساعونا ونحب لهم الخير ماكفوا عدوانهم عنا، ونعتقد أن بيننا

وبينهم رابطة هى رابطة الدعوة ، علينا أن ندعوهم إلى ما نحن عليه «الاسلام» لأنه خير الانسانية كلها، وأن نسلك إلى نجاح هذه الدعوة ما حدد لها الدين نفسه من سبل ووسائل (٤٣) .

وهكذا وبتقسيم واضح جدا جعل حسن البنا الدعوة تكون لغير المسلمين وأن الرباط الذى يربطنا بالكفار هو رباط الدعوة إلى الاسلام بوسائل الدعوة المقررة شرعاً، أما مايربطنا بالمسلمين فليس رباط الدعوة، بل رباط العقيدة ، وهم قومنا الأقربون الذين نحن إليهم ونعمل فى سبيلهم ونذود عن حماهم ونفتديهم بالنفس والمال ولو أدرك أبناء الحركة الاسلامية هذا الأمر بتلك الصورة الناصعة التى حددها حسن البنا، لكفوا أنفسهم وغيرهم وحركتهم وأمتهم الكثير من الأخطاء بل والخطايا!

وحسن البنا المعروف بدقته الشديدة عاد وقسم المسلمين أنفسهم إلى أقسام حسب العمل للاسلام دون أن يتهم أحدا بالكفر أو يصفه به ، فحسن البنا أولا يقول إن الاسلام فى نفوس الناس بخير وإنهم شديدو الاستجابة لمن يدعوهم إلى العمل لنهضة الاسلام وأن كل من نطق بالشهادتين فهو مسلم بشرط ألا يقول كلمة الكفر أو ينكر معلوماً من الدين بالضرورة أو يكذب صريح القرآن أو يفسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال أو عمل عملا لايحتمل تأويلا غير الكفر ، وأنه يجب ألانكفر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض برأى أو معصية » (٤٤) .

وتحت عنوان أصناف أربعة ، يصنف حسن البنا الناس تصنيفا عمليا فهم إما عامل للاسلام أو متردد « وعلينا أن نزيل أسباب تردده» أو نفعى أى يقدم

منفعته الشخصية على منفعة أمته وعلينا أن نقنعه بضرورة تقديم منفعة الأمة على منفعته الشخصية ، أو متحامل وعلينا أن نحاول إزالة أسباب تحامله ونظل نرجو له الرشد وهكذا فإن حسن البنا ينطلق من أن الاسلام مازال حياً فى النفوس وأن على الحركة تحويل تلك العاطفة إلى عمل، ولم يتطرق حسن البنا إلى تكفير الناس أو التوقف فى الحكم عليهم أو غيرها من المصطلحات التى أدخلها البعض بغباء وجهل فى قاموس الحركة الاسلامية.

وبالطبع هذا لايمنع من وجود بعض المنافقين فى أمتنا، وهؤلاء نأخذ بظاهرهم ونترك حسابهم على الله ونحترس ونحذر منهم طبعا.

حركة تجمع ولا تفرق

وانطلاقا من إدراك حسن البنا لمهمته ومهمة حركته فى الإيقاظ والإنهاض ومواجهة التحديات، وأن الحركة الاسلامية مجرد طليعة للأمة وليست بديلا عنها وهى ليست شعب الله المختار، ولاتتصور نفسها هى وحدها على الصواب وغيرها على الخطأ، وكذا أنها تعمل فى ظرف لايحتمل الخوض فى الخلافات والتحزب للفرق أو الآراء أو هذا الاجتهاد أوذاك، بل العمل من خلال الثوابت المتفق عليها واتساعها واتساع العمل أمام الجميع برغم خلافاتهم الفقهية أو المذهبية، وخشية من حسن البنا أن تنزلق الحركة إلى هذه الأمور وتفقد بالتالى دورها الاساسى كحركة للنهضة والبعث ومواجهة التحديات فإنه اهتم أيما اهتمام بالتأكيد من خلال القول والعمل على ضرورة التجميع ونبذ الفرقة يقول حسن البنا «إن دعوة الاخوان المسلمين دعوة عامة لاتنتسب إلى طائفة خاصة، ولاتنحاز إلى رأى عرف عند الناس بلون خاص ومستلزمات وتوابع

خاصة، وهى تتوجه إلى صميم الدين ولبه، ونود أن تتوحد وجهة الانظار والهمم حتى يكون العمل أجدى والانتاج أعظم وأكبر، فدعوة الاخوان دعوة بيضاء نقية غير ملونة بلون، وهى مع الحق أينما كان تحب الإجماع وتكره الشذوذ، وإن أعظم ما منى به المسلمون الفرقة والخلاف وأساس ما انتصروا به الحب والوحدة ولن يصلح آخر هذه الأمة إلابما صلح به أولها، هذه قاعدة أساسية وهدف معلوم لكل أخ مسلم، وعقيدة راسخة فى نفوسنا تصدر عنها وندعو إليها ، ونحن مع هذا نعتقد أن الخلاف فى فروع الدين أمر لابد منه ضرورة ، ولايمكن أن نتحد فى هذه الفروع والمذاهب لأسباب عدة منها اختلاف العقول فى قوة الاستنباط أوضعفه وإدراك الدلائل والجهل بها والوقوف على أعماق المعانى وارتباط الحقائق بعضها ببعض، والدين آيات وأحاديث ونصوص يفسرها العقل والرأى فى حدود اللغة وقوانينها، والناس فى ذلك جد متفاوتين فلابد من خلاف، ومنها سعة العلم وضيقه، وأن هذا بلغه مالم يبلغ ذاك والآخر شأنه كذلك، وقد قال مالك لأبى جعفر، إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا فى الأمصار وعندكل قوم علم، فإذا حملتهم على رأى واحد تكون فتنة، ومنها اختلاف البيئات حتى أن التطبيق ليختلف باختلاف كل بيئة، وإنك لترى الامام الشافعى رضى الله عنه يفتى بالقديم فى العراق ويفتى بالجديد فى مصر، وهو فى كليهما أخذ بما أستبان له وما اتضح عنده لايعدو أن يتحرى الحق فى كليهما، ومنها اختلاف الاطمئنان القلبى إلى الرواية عند التلقين لها فبينا نجد هذا الراوى ثقة عند هذا الامام تطمئن إليه نفسه وتطيب بالأخذ عنه نراه مجروحا عند غيره لما علم عن حاله ومنها اختلاف تقدير الدلالات فهذا يعتبر عمل الناس مقدما على خبر الآحاد

وذلك لايقول معه به وهكذا، كل هذا جعلنا نعتقد أن الإجماع على أمر واحد في فروع الدين مطلب مستحيل بل هو يتنافى مع طبيعة الدين وإنما يريد الله لهذا الدين أن يبقى ويخلد ويساير العصور ويماشي الأزمان، وهو لهذا سهل مرن هين لين لا جمود فيه ولاتشديد، نعتقد هذا فنلتمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا في بعض الفرعيات ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبدا حائلا دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير، وأن يشملنا وإياهم معنى الاسلام السابغ بأفضل حدوده وأوسع مشتملاته، ألسنا مسلمين وهم كذلك، ألسنا نحب أن ننزل على حكم اطمئنان نفوسنا وهم يحبون ذلك، وألسنا مطالبين بأن نحب لإخواننا ما نحب لأنفسنا؟ ففيم الخلاف إذن ولماذا لا يكون رأينا مجالا للنظر عندهم كرأيهم عندنا؟ولماذا لانتفاهم في جو الصفاء والحب إذا كان هناك ما يدعو إلى التفاهم، هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخالف بعضهم بعضا في الإفتاء، فهل أوقع ذلك اختلافا بينهم في القلوب؟ وهل فرق وحدتهم أو فرق رابطتهم، اللهم لا، وما حديث صلاة العصر في قريظة ببعيد، وإن كان هؤلاء اختلفوا وهم أقرب الناس عهدا بالنبوة وأعرفهم بقرائن الاحكام، فما بالنا نتناحر في خلافات تافهة لاخطر لها، وإن كان الأئمة وهم أعلم الناس بكتاب الله وسنة رسوله قد اختلف بعضهم مع بعض وناظر بعضهم بعضا فلم لايسعنا ماوسعهم، وإن كان الخلاف قد وقع في أشهر المسائل الفرعية وأوضحها كالآذان الذي ينادى به خمس مرات في اليوم الواحد ووردت به النصوص والآثار فما بالك في دقائق المسائل التي مرجعها إلى الرأي والاستنباط، وثم أمر آخر جدير بالنظر، إن الناس كانوا إذا اختلفوا رجعوا إلى الخليفة وشرطه الإمامة فيقضي بينهم ويرفع حكم الخلاف ، فأما الآن فأين

الخليفة، وإذا كان الأمر كذلك فأولى بالمسلمين أن يبحثوا عن القاضى ثم يعرضوا قضيتهم عليه، فإن اختلافهم من غير مرجع لا يردهم إلا إلى خلاف آخر، يعلم الاخوان المسلمون كل هذه الحيثيات، فهم لهذا أوسع الناس صدرا مع مخالفيهم ويرون أن مع كل قوم علما، وفى كل دعوة حقا وباطلا، فهم يتحرون الحق ويأخذون به ويحاولون فى هوادة ورفق إقناع المخالفين بوجهة نظرهم، فإن اقتنعوا فذاك، وإن لم يقتنعوا فإخوان فى الدين نسأل الله لنا ولهم الهداية، ذلك منهاج الاخوان المسلمين أمام مخالفيهم فى المسائل الفرعية فى دين الله يمكن أن أجمله لك فى أن الاخوان يجيزون الخلاف ويكرهون التعصب للرأى ويحاولون الوصول إلى الحق، ويحملون الناس على ذلك بألطف وسائل اللين والحب»(٤٦) .

ويقول حسن البنا أيضا «وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم» (٤٧) .

ويقول «الخلاف الفقهى فى الفروع لايكون سبباً للتفرق فى الدين ولايؤدى إلى خصومة ولابغضاء ولكل مجتهد أجره »(٤٨) ، ويقول «وكل مسألة لاينبنى عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذى نهينا عنه شرعا» (٤٩) .

ويقول أيضاً «أهم ما يجب أن تتوجه إليه همم المسلمين الآن توحيد الصفوف وجمع الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا والله حسبنا ونعم الوكيل»(٥٠) .

ويقول أيضا «إن اجتماع الكلمة على خلاف رأينا أفضل من اختلافها وافتراقها وتشتتها»(٥١) .

ويقول حسن البنا« المسائل الخلافية اختلف فيها المسلمون مئات السنين ولازالوا مختلفين والله تبارك وتعالى يرضى منا بالحب والوحدة ويكره منا الخلاف والفرقة فأرجو أن تعاهدوا الله أن تدعوا هذه الأمور الآن وتجتهدوا فى أن نتعلم أصول الدين وقواعده ونعمل بأخلاقه وفضائله العامة وإرشاداته المجمع عليها، ونؤدى الفرائض والسنن وندع التكلف والتعمق حتى تصفو النفوس ويكون غرضنا جميعا معرفة الحق لا مجرد الانتصار للرأى وحينئذ نتدارس هذه الشئون كلها معا فى ظل الحب والثقة والوحدة والاخلاص وأن تكون وجهتنا التعاون وخدمة الاسلام الحنيف والعمل له يدا واحدة وطرح معانى الخلاف واحتفاظ كل برأيه حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا» (٥٢).

★★★

وانطلاقا من فهم حسن البنا لدور حركته فى النهضة، وأنها ليست فرقة دينية، وأن العصمة هى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وأن الخلاف فى الرأى لايحول دون التعاون فإنه أهاب بالناس أن ينقدوه إذا أخطأ وأن يقوموا أخطاء الحركة إذا ما وجدت قائلا للغيورين من أبناء الاسلام «إن وجدتم فينا صالحا شجعوه وإن وجدتم اعوجاجا قوموه» (٥٣) ويقول«ولقد أعجبنى من صديق دعوته إلى جماعتنا أنه كان يراجعنى فى كل كلمة ويقف أمام كل عبارة ويناقش كل وسيلة » (٥٤).

ويقول « والاخوان المسلمون يفرحون بكل من يأخذ بفكرتهم إلى وسائل العمل الصحيح» (٥٥) ويقول « وإن لم يجدها كذلك حملها بوضوح شخصيته وقوة تأثيره على ما يجب من وسائل العمل» (٥٦).

ولأن حسن البنا كان يدرك أن جماعة الاخوان المسلمين ليست شعب الله المختار وليست فرقة دينية بل هى حركة للنهضة فإنه كان يدعم ويشجع أى حركة أو جماعة أو جماعة أخرى تعمل من أجل نهضة أمة الاسلام عموما ومصر خصوصا، فهو يشيد بذكر من سبق من دعاة النهضة أمثال الأفغانى ومصطفى كامل ومحمد فريد (٥٧) وهو يشيد بطلعت حرب قائلا «وكم كنا نحتاج ونعرى لو لم يلهم الله طلعت حرب - عليه الرضوان - أن يتقدم بمشروعاته الناقصة »(٥٨)، وقد اشترك حسن البنا بنفسه فى جماعة الشبان المسلمين التى أنشأها بعض رجال الحزب الوطنى وظل عضوا بها حتى وفاته، وكان يلقى الخطب فى مقرها العام ويشجع على الانتماء إليها (٥٩)، وكانت جماعة الاخوان المسلمين قريبة من الحزب الوطنى، وكان حسن البنا يرى أن العمل بجامعة الاخوان المسلمين كالعمل بالحزب الوطنى»(٦٠) .

كما أن الجماعة شاركت الحزب الوطنى فى حركة مقاومة عامة ضد البريطانيين»(٦١) .

وكان عزيز المصرى على علاقة طيبة بالإخوان المسلمين كما كان أعضاء الحزب الوطنى يشتركون فى المظاهرات التى كانت تدعوا إليها الجماعة، وعندما أصدر النقراشى قرار حل جماعة الاخوان المسلمين أعلن الحزب الوطنى القديم وكذلك اللجنة العليا لشباب الحزب احتجاجهم على هذا القرار، كما اتخذ حسن البنا من مكتب رئيس اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى مركزا يستقبل فيه أنصاره بعد إغلاق مركز الاخوان فى أعقاب حل الجماعة» (٦٢) .

كما اعتبرت صحف الاخوان أن ممارسات مصر الفتاه محمودة وقالت

صحيفة النذير» أنها تحمد لأحمد حسين موقفه وتتمنى أن يتابع السير فى هذه الطريق التى اختطها لنفسه، وطالبت الصحيفة أن توجه لها نفس التهم التى وجهت لأحمد حسين عندما استدعته النيابة للتحقيق معه بتهمة محاولة قلب نظام الحكم عندما كتب عدة مقالات دعا فيها الناس إلى التمسك بالدين والقرآن وإلى جعل نظام الحكم فى مصر مرتكزا على الإسلام (٦٣).

وعندما قام بعض شباب مصر الفتاة بتحطيم حانات الخمر أيدت جماعة الاخوان العمل ولكنها اعتبرت أن الوقت ليس ملائما لذلك.

ويقول الامام الشهيد عن مصر الفتاة أنه يؤخذ عليها بعض الأشياء ولكنه «ليسرنا أن يوفق كل عامل إلى الخير وللخير، وأن فى ميدان الجهاد متسع للجميع» (٦٤).

★★★

وإذ كنا قد تحدثنا عن أن حسن البنا ظل عضوا بالشبان المسلمين حتى وفاته، فإنه أيضا حدثت الكثير من أشكال التعاون بين جماعة الاخوان المسلمين وجماعة الشبان المسلمين مثل لجنة إعانة منكوبى فلسطين، ويرى حسن البنا «أن الاخوان والشبان وبخاصة فى القاهرة لايشعرون بأنهم فى ميدان منافسة ولكن فى ميدان تعاون وثيق، وأن كثيرا من القضايا الاسلامية العامة يظهر فيها الأخوان والشبان شيئا واحدا وجماعة واحدة إذ أن الغاية العامة مشتركة وهى العمل لمافيه إعزاز وإسعاد المسلمين (٦٥).

الفصل الثالث

الحركة الإسلامية في مواجهة أمريكا وإسرائيل

١٩٤٩ - ١٩٩٠

الحركات الفلاحية.. الاختراق الصهيونى

الفتنة الطائفية

الحركات الفلاحية فى قرى مصر

فى نهاية الأربعينات كانت الحركة الإسلامية قد بدأت فى دخول الصراع السافر ضد القوى الاستعمارية وذلك بعد أن استطاعت تلك الحركة أن تبنى كوادرها وتنظيماتها بشكل جيد وبعد أن حققت إعلاما إسلاميا جيدا على مستوى الجماهير وبدا كأن المستقبل بالكامل لها. بدأت تلك الحركة ونظراً لتطورها تدرك أهمية تحرير الجماهير المسلمة وغير المسلمة من كافة أشكال التسلط والقهر مدركة أن تحرر الجماهير من تلك القيود السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو سبل أكيد من سبيل إقامة المجتمع المسلم لأن الجماهير الحرة المنصوفة اقتصاديا تختار الاسلام ببساطة شديدة وأن القوى الشيطانية فى سبيل تغيب الإسلام فإنها تقوم بتكبيل الجماهير وقهرها سياسيا واستعماريا ومن ثم فإن النضال السياسى والاجتماعى جزء لا يتجزأ من الدعوة الإسلامية وهكذا فإن الحركة الإسلامية تحركت فى تلك الفترة على عدة مستويات .

–التصدى المسلح للاستعمار فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ والعمليات الفدائية فى القناة والتل الكبير ضد معسكرات الجيش الانجليزى .

– النضال السياسى فى الداخل من أجل انتزاع الحريات السياسية للجماهير

بالهجوم المستمر على الملك باعتباره حليفا للاستعمار وأحد أوجه الهجمة الاستعمارية.

-التصفية الفدائية لعدد من رؤوس أحزاب الأقلية (النقراشى مثلا إثارة الانتفاضات الفلاحية ضد الرأسمالية الزراعية .

وهكذا فإن الحركة الاسلامية لم تقتصر على التحريض النظرى بل تعدته إلى إثارة الانتفاضات الفلاحية فى قرى الريف المصرى فى سخا وكفور نجم وبهوت وميت فضاله ومحلة موسى وقرية أبو الغيط وغيرها، من قرى الريف المصرى(٦٦) .

وهكذا أدركت الحركة الاسلامية ذلك الارتباط العضوى بين الظلم الاجتماعى سواء للعامل أو الفلاح أو كل الجماهير المطحونه أو تقييد حرياتها وارهابها واعتقالها وخيانة النظام سواء بالنسبة الى المحتل الاجنبى أو تجاه الغزوة الصهيونية على فلسطين.

ولقد كانت الثورات تبدأ دائما بتقدم الفلاحين بمطالب محددة ضد الإقطاعيين الذين كانوا يردون على ذلك باستدعاء قوات البوليس التى لا تتورع عن إطلاق الرصاص على الفلاحين الآمنين ولقد أدى ذلك إلى استشهاد عدد كبير من الفلاحين مثل الشيخ عنانى عواد وكيل شعبة الاخوان فى كفور نجم والذى كان قائدا للثورة الفلاحية فى كفور نجم والذى صعد المنبر فى يوم الجمعة ليعلن أمام الفلاحين أن الأرض ملك لله وبالتالى فهى لهم وليست للأمراء وأسرة الملك. ولقد كانت قيادة الاسلاميين للفلاحين فى تلك الثورات ووقوفهم إلى جانبهم فى ثورتهم ضد الإقطاع سببا من الأسباب التى أبداها عبد الرحمن عمار كمبرر لحل هيئة الاخوان المسلمين ولقد جاء فى المادة (١١)

من مذكرته عن هذا الموضوع ما نصه « وفى ٢٦ أبريل سنه ١٩٤٨ حرض الاخوان المسلمون عمال تفتيش زراعة محلة موسى التابع لوزارة الزراعة على التوقف عن العمل مطالبين بتملك أراضى هذا التفتيش الأمر الذى سجلته تحقيقات القضية المذكورة سنة ١٩٤٨ مركز كفر الشيخ.»

إن ظهور تلك الانتفاضات الفلاحية على امتداد قرى الريف المصرى بهذا العدد والكيفية يعطى للوهلة الأولى تلك الدلالات الآتية .

– لم تكن تلك الانتفاضات انتفاضات عفوية، بمعنى أنها لم تكن رد فعل عضوى بدليل انتشارها على وجه الريف المصرى كله.. وظهور قيادات اسلامية خلف الانتفاضات.

– كما أنها لم تكن تلقائية، بمعنى أنها رد فعل منظم بقدر ما كانت حركات مخططة من قبل الإسلاميين وذلك لتصعيد الحملة ضد القوى الاستعمارية الذى يمثل الإقطاع جزءا هاما منها.

إن فهمنا لطبيعة الصراع التاريخى بين الجماهير المسلمة والقوى الاستعماريا فى تلك الفترة يثبت تلك الدلالات.

فلقد كانت هناك عدة عوامل أسهمت بشكل أساسى فى تصاعد تلك الانتفاضات .

أولا : أزمة نظام طاحنة : بمعنى أن النظام فى مصر كان يمر بأزمة طاحنا على كل المستويات .

أزمة سياسية :

فلقد اكتشفت الجماهير خيانة النطام لها وضرب كوادرها المقاتلة فى سنة

١٩٤٨ داخل أرض فلسطين وهكذا ربطت الجماهير بين الخيانة الوطنية والظلم الاجتماعى.

كما أن أحزاب الأقلية من سعديين وأحرار وغيرها قد فشلت فشلا ذريعا فى لجم حركة الجماهير وتصفيتها عبر السجون والمعتقلات والأحكام العرفية وانتهت بسقوط تلك الحكومات ولجأ المعسكر الاستعمارى إلى الوفد كحل أخير على أن الوفد برغم أنه نجح كثيراً فى استيعاب حركة الجماهير ومصادرتها وتسريبها فى غير مجالها الصحيح عبر قنواته وبالتالى نجح كثيرا فى تشتيت الهم الجماهيرى المندفع ضد الانجليز والإقطاع والملك والرأسمالية.

على أنه فى تلك المرة لم ينجح وذلك بسبب أن التحرك الجماهيرى الواسع هذه المرة كان ذو أصول إسلامية لاينجح معها التشتيت العلمانى كما أن حركة المد الجماهيرى كانت أوسع من أن يستوعبها وهكذا فشل الوفد برغم كل تراثه فى أن يكون مقاولا للجماهير .. لقد اكتشفت الجماهير أن الوفد فى النهاية بتوجهاته العلمانية وطبيعته غير الاسلامية ليس فى النهاية إلا آخر أوجه المعسكر الاستعمارى وبالتالى فقد انحاز الوفد فى النهاية ضد الجماهير بعد أن فشل فى أن يعمل مقاولا لها ظهر ذلك الانحياز عبر وصول قيادة رجعية (فؤاد سراج الدين) إلى منصب سكرتير عام الوفد وهو فى النهاية أحد كبار ملاك الأراضى وترتبط أسرته بعلاقات مصاهرة ونسب بكبار العائلات الاقطاعية مثل عائلات البدراوى وغيرها ويرتبط هو شخصيا بكثير من الرأسماليين والاحتكاريين كأحمد عبود وهكذا تحول الوفد الى منظمة سياسية لكبار ملاك الأرض ورجال المال.

- انحياز الوفد إلى الملك فى صراع الجماهير ضده فلقد دافع فؤاد سراج الدين عن حاشية الملك فى قضية الأسلحة الفاسدة فذكر فؤاد سراج الدين باسم

الحكومة الوفدية .. أن الوزارة قامت بالتحقيق فى قضية الاسلحة والذخائر الفاسدة فثبت لها انتفاء مسئولية كل من كان له يد فيها..

بل أن الوزارة الوفدية تأمر بحفظ التحقيق بالنسبة لرجال الحاشية.

كما حاولت تلك الوزارة الوفدية أن تقوم بإلغاء مجلس الدولة لولا معارضة بعض الوزراء من الوفديين المحافظين على بعض تراث الوفد مثل الدكتور محمد صلاح الدين - ابراهيم فرج- وعبد الفتاح اسماعيل.

- محاولة إصدار سلسلة من التشريعات تقيد الحريات مثل قانون الجمعيات وقانون المشبوهين السياسيين والذى يطلق أيدى الإدارة فى تعقب العناصر السياسية النشطة وقانون يحظر نشر أخبار القصر فى الصحف إلا بعد الموافقة عليها من جهات الإدارة ولكن فشلت تلك المحاولة أيضا بعد ضغط شعبى هائل.

- انحياز الوفد إلى الانجليز: - بوصول القيادات الرجعية الممثلة لطبقة كبار الملاك والرأسمالية الى قيادة الوفد حزبا وحكومة - لم يجد هذا الاتجاه خيرا من التحالف مع الانجليز وذلك خوفا من الجماهير على مصالحه الاقتصادية .

وهكذا انحاز الوفد نهائيا الى المعسكر المعادى للجماهير وفقد بالتالى تدريبه على تخدير تلك الجماهير وتسريب ضغطها الى قنوات فرعية فكان على الجماهير أن تعمل وتحت قياداتها الاسلامية المفروزة من أبنائها.

أزمة النظام الاجتماعية والاقتصادية

وصلت الأمور الاقتصادية والاجتماعية الى مستوى خطير من الفساد والإنحراف فلقد كان ٥و٪ من ملاك الأراضى يملكون ٢٤,٢ ٪ من المساحة المزروعة فى مقابل ٧٢٪ من الملاك يملكون ١٣,١ ٪ فقط فضلا عن وجود

١١ مليون معدم في الريف – وكانت زمامات قرى بأسرها مملوكة لفرد أو لأسرة واحدة مثل عائلة البدراوى عاشور وعائلة سراج الدين فى الدلتا وعائلتى سلطان ويصا فى الصعيد وغيرهم. وكان الملك من اكبر ملاك الأراضى الزراعية فقد ورث عن أبيه ١٥ الف فدان زادها الى ٤٨ الف فدان وسيطر على نحو ٤٥ الف فدان من أراضى الأوقاف بل أن ٢٧ من الأسرة المالكة استولوا على ١٤٣ الف فدان غير آلاف الأفدنة الاخرى من الأوقاف.

– كما أن نظام الاستغلال الزراعى الذى كان شائعا هو إيجار الأراضى الزراعية للفلاحين وهو نظام يعطى المالك إيجارا للفدان يزيد عن دخل الأرض فيما لوزرعه المالك ذاته فلقد وصل ايجار الفدان فى بعض الأحيان إلى ٧٠ جنيها وهو مبلغ باهظ جدا فى تلك الفترة .

ولقد ارتفعت الأسعار فى تلك الفترة ارتفاعا هائلا مما خلق عبئا ضخما على كاهل الجماهير وكانت الحكومة بتصرفاتها فى مسألة الضرائب تزيد حدة الفوارق الطبقية .

وهكذا فإن هذا الوضع الاقتصادى والاجتماعى فضلا عن انتشار أخبار فضائح الملك وأسرته وكبار الوزراء كان قد وصل إلى مستوى غير طبيعى.

وهكذا فإن الوضع كان عبارة عن أزمة اقتصادية واجتماعية وسياسية محتدمة مع خصوصية تتمثل هذه المرة فى عدم قدرة الأحزاب الاستعمارية على احتواء حركة الجماهير الصاعدة .

ثانيا تصاعد المد الجماهيرى :

ولقد تصاعد المد الجماهيرى فى تلك الفترة تصاعدا هائلا– المظاهرات الكاسحة ضد المفاوضات – اضرابات العمال متخطية كل الأطر الحزبية

القديمة وفارزة قيادتها الخاصة بها. ولأول مرة فلقد وقع سنة ١٩٥٠ نحو ٤٩ إضرابا وسجلت الصحف عام ١٩٥١ أخباراً عن اضرابات عمال البيبسى كولا –عمال الشركة المتحدة للغزل والنسيج– شركة شل – مصانع شبرا الخيمة – عمال العنابر– عمال الترسانه والسكة الحديد – المطبعة الاميرية سائقو وعمال السيارات إذ أضربوا فقررت ٤٢ نقابة تمثل جميع عمال النقل المشترك التضامن معهم، كما قرر اتحاد جميع نقابات عمال الحكومة الإضراب فى الفترة ذاتها. وأضرب خريجوا المدارس الصناعية بالسكة الحديد. والكونستبلات وأضرب المعلمون والأطباء وغير ذلك الكثير كإضرابات طلبة الجامعات وتمزيق صور الملك وإضراب ضباط البوليس وهكذا فإن الحركة الشعبية الجماهيرية قد تخطت كل الأطر القديمة ووقفت وجها لوجه أمام المعسكر الاستعمارى تنادى بالكفاح المسلح وبالتأميم وبالجمهورية وبإسقاط النظام الإقطاعى.

وهكذا فلم يعد فى مقدور النظام استعمال العصا الغليظة عبر أحزاب الأقلية من سجن واعتقال وتشرد أو استعمال المخدر المستمر فى تسريب حركة الجماهير عبر مسارات جانبية على طريقة الوفد .

وهكذا فقد وجدت الحركة الاسلامية نفسها فى ظرف تاريخى خاص يدفعها دفعا إلى الانتفاض .

فلقد كان الظلم الاجتماعى والأزمة الاقتصادية والاخلاقية رهيبةوكانت قوى المد الجماهيرى فى تصاعد مستمر مما يعطى الحركة الاسلامية سنداً هاماً فى العمل.

وهذان الشرطان قد ساعدا مع وجود عامل آخر هام جدا وهو ازدياد وعى الحركة الاسلامية وتوجهاتها السياسية والاقتصادية.

وللحقيقة فإن موضوع بحثنا يتصل بالحركة الفلاحية وبالتالى فعلينا أن ندرك طبيعة العلاقات الاجتماعية فى مصر عامة والريف خاصة وفى إطار ذلك نستطيع أن نحدد لماذا كانت الحركة الاسلامية هى طليعة الجماهير فى مواجهة الإقطاع.

١- فى تلك الحقبة كانت الحركة الاسلامية قد تطورت كثيرا باتجاه النضال من أجل حقوق الجماهير سياسيا واقتصاديا واجتماعيا بمعنى أنها طورت من مفهوم الدعوة البسيط الى كليات الإسلام إلى إفراز مواقف يومية سياسيا واجتماعيا مع حركة الجماهير وكطليعة لها.

٢- أن الحركة الاسلامية بما تملكه من قدرة على مواجهة التركيبة الاستعمارية: انجليز - ملك - إقطاع - أحزاب عميلة الخ كانت أقدر على قيادة الجماهير. فالحركة الاسلامية وحدها بما أنها ليست إفراز غربى وبما أنها إفراز الواقع ١٠٠٪ وليس لها أى توجهات غربية فهى وحدها القادرة على مواجهة الهجمة الاستعمارية أما فى الاحزاب من وفد وأحزاب أقلية وقيادات ماركسية فليست فى النهاية إلا وجه من أوجه الغزوة الاستعمارية فالتيار القومى أو الوطنى المصرى أو اليسارى ليس فى النهاية إلافكراً غربياً فكيف ننهض ضد الغزاة .

بجمعنا كله وكيف نتحرر ونستقل على المستوى السياسى والاقتصادى والاجتماعى بغير أن يتوفر لنا أقصى شعور بالهوية والانتماء للتكوين الحضارى والتاريخى الممتد فينا، كيف نقاوم غازيا يصفى هويتنا وتميزنا عنه؟ كيف نقاوم ونحن لانتميز عمن نقاومه - بل أن نرضى بالتبعية الفكرية والحضارية له؟

٣- أن الحوادث المتتابعة قد أثبتت للجماهير من الذى يتصدى للحركة الصهيونية ويقدم الشهداء على أرض فلسطين. من الذى يقوم بأعمال الكفاح

المسلح ضد الانجليز- من الذى يقدم أطروحة مستقلة تماما عن الفكر الغربى فى النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى- من ليس جزء من الهجمة الغربية ومن فى النهاية جزء منها.

وهكذا باتت الجماهير تدرك أن الوفد خدعها طويلا وهو فى النهاية ينحاز للملك والانجليز ضدها وأن قوى اليسار الماركسى قد استخدمت بشكل بشع من قبل يهود جاءوا على رأس كل تنظيماتها تقريبا لأداء مهمتين أساسيتين: لخدمة التحرك الصهيونى فى المنطقة العربية تمهيدا لإقامة دولة اسرائيل.. وتوجه ذلك النشاط الماركسى لضرب التيارات الاسلامية بدعوى الفاشية أو غيرها مع عدم إسهام ذلك التيار الماركسى أى مساهمة فعالة فى حركة الجماهير اليومية أو الكفاح المسلح ضد الانجليز أضف إلى ذلك أن هذا التيار كان محصوراً بين طبقة المثقفين وليس له أى امتداد فى الريف المصرى.

ولقد كان التوجه الاجنبى فى الحركة الشيوعية المصرية بمناسبتين كما يقول الاستاذ طارق البشرى فى كتابه «الحركة السياسية فى مصر (٤٥-١٩٥٢) الطبعة الثانية صـ١٨.

الأولى: هى النشاط الصهيونى فى فلسطين خاصة والبلاد العربية عامة منذ العشرينات ثم ثورة فلسطين ١٩٣٦، وفى الاربعينات، والمناسبة.

الثانية: هى استعداد مصر للهيمنة الكاملة على سيادتها التشريعية والقضائية مع الغاء الامتيازات الاجنبية سنة ١٩٣٧، الأمر الذى جعل الأجانب المقيمين فى مصر يتوجسون الحذر من الأنشطة المصرية بسائر فصائلها على وجودهم وامتيازاتهم الاقتصادية والاجتماعية. ويسعون إلى أن يكون لهم دوراما فى الحركة السياسية المصرية، وحسبهم من الحركة الشيوعية أن تكون ركيزة شعبية وفكرية

لمقاومة التيارين الاسلامى والقومى وهما تياران شعبيان وأن تكون بوتقة لتذويب الشعور المصرى والقومى بالتميز والاختلاف عن الاجنبى والغربى.

هذا مع ملاحظة أن جزءا من الصراع السياسى داخل الحركة الشيوعية، كان مصدره فيما يبدو سعى الأجانب لاستبقاء سيطرتهم عليها.

وهكذا كانت الحركة الشيوعية محصورة بين الأجانب والمثقفين المصريين ولم تضرب عمقا فى التربة المصرية وبالتالى لم تكن قادرة على التوجه إلى الفلاحين فضلا عن قيادتهم [٦٧].

٤- أن انحياز الوفد للملك والانجليز وفشله فى أداء دوره كمقاول للجماهير . وعدم قدرة الحركة الشيوعية على الوصول إلى الفلاحين نظرا لظروفها السابقة جعل الحركة الاسلامية هى وحدها القادرة على تحريك الفلاحين. وفضلا عن زيادة الوعى لدى الفلاحين وتلك التراكمات الطويلة التى تركها الاسلاميون فى وجدانهم عن حقوقهم وواجبهم تجاه قضيتهم وربط الاقطاع بالاستعمار، والدأب المستمر من قبل الاسلاميين على محو الأمية فى الريف وإنشاء التجمعات الفلاحية وانتشار شعب الحركة الاسلامية فى كل قرى الريف المصرى تقريبا، وقيام تلك الشعب ببث الوعى السياسى والاجتماعى. كل ذلك جعل حركة الفلاحين فى اتجاه الانتفاض أمراً طبيعيا وهكذا غطت وجه الريف المصرى فى تلك الفترة انتفاضات الفلاحين المستمرة ضد الإقطاع.

انتفاضة الفلاحين فى كفر البرامون

وهكذا بات على الجماهير المسلمة أن تتصدى للإقطاع، انتفض الفلاحون فى كفر البرامون وزمام كفر البرامون، ٧٥٠ فدانا يملكها جميعا

الأجانب ما عدا ١٢٠ فدانا يمتلكها ٣٠٠٠ فلاح .

وكان الأجانب يسيمون الفلاحين أسوأ أنواع الظلم، لايقبلون إلا بأن يعمل الفلاحون عندهم كأجراء يبيعون لهم قوت عملهم مقابل ثمن بخس ومستغلين الإدارة والعمدة فى إرغام الفلاحين على العمل لدى الاجانب بشروطهم وعلى إثر ذلك الاضطهاد والظروف السيئة التى لا قاها الفلاحون قاموا بمظاهرة تهتف- ضد العمدة والأجانب- هتافات عدائية فاستنجد العمدة برجال البوليس وحضرت قوات البوليس وأطلقت النيران على الفلاحين فقتل اثنان منهم.

كفور نجم

وكفور نجم قرية مصرية من قرى الشرقية ويرجع اسمها الى أحد المجاهدين المسلمين التى تسمت القرية على اسمه حينما نزل بها أثناء بعض المعارك فى فتح مصر.

وهكذا فإن القرية التى يرتبط حتى اسمها بالاسلام الذى عرفنا فيما سبق رأيه فى مسألة الملكية الزراعية والعلاقة الاقتصادية الخاصة بالأرض.

وهكذا نشأ فى القرية كما نشأ فى كل القرى شعب للاخوان المسلمين وكان وكيل شعبة الاخوان فى كفور نجم هو الشهيد عنانى عواد، وعنانى عواد، فضلا عن كونه وكيل شعبة الاخوان فى كفور نجم فقد اشترك ضمن كتائب الاخوان فى حرب ١٩٤٨ فى فلسطين وكان أيضا على علاقة شخصية بأحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاه ذى التوجهات الاسلامية.

وهكذا فإن عنانى عواد أدرك بوعيه الاسلامى وبخوضه الحرب المقدسة ضد اليهود ذلك الارتباط الذى لاينفصم بين الجهاد فى فلسطين والوقوف ضد الانجليز وكان الشهيد عنانى عواد يجمع السلاح ويشتريه لصالح الاخوان تمهيدا

للكفاح المسلح ضد الانجليز والجهاد ضد الاقطاع وهكذا بدأ الشهيد فى بث روح الوعى الاسلامى عامه ومقاومة الظلم كفريضة إسلامية خاصة مستشهدا بآيات من كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتكونت حول الشهيد مجموعة بدأت تخطط لرفض الإقطاع فى كفور نجم وبدأ الفلاحون يرفضون تسديد الإيجارات الزراعية للأمير محمد على الذى كان يملك ٧٠٠٠ فدان فى كفور نجم وكان الفلاحون يرددون بأن الأرض لمن يزرعها وهذا هو رأى الإسلام وأن هذه الأرض أرضهم لأن تلك الأرض صارت بالفتح الاسلامى ملكية عامة وكل ما طرأ عليها بعد ذلك هو عمل استعمارى باطل شرعا وليس لأحد غيرهم حق فى هذه الأرض.

واستفز الأمير ورجاله ذلك الوعى من الرجال فأمر البوليس بمهاجمة منازل الأهالى والاعتداء عليهم وعلى ما يملكون وقام رجال الأمير بمنع الفلاحين من أخذ قمحهم الذى زرعوه وتم تخزين كل القمح فى مخازن الأمير.

وكان رد الشيخ عنانى عواد أنه قاد الفلاحين وتم استرداد القمح المسروق منهم ولما اتهمه الأمير بالسرقة رد بأنه أى الأمير هو الذى يسرق الفلاحين ويسرق قوتهم، وأن يسترد حقوق هؤلاء.

وقام الشيخ عنانى بعمل بارع جدا فى ضرب صميم العمل الاقطاعى، إذ قام بحرق المحاصيل فى الأجران وسرقة السواقى وتعطيلها وهكذا فقد أفسد الاداة الاقطاعية مطالبا فى كل ذلك بتخفيض الايجارات الزراعية.

وهكذا فإن الشهيد الشيخ عنانى عواد قد أسهم فى إثراء العمل الثورى الجماهيرى ليس فقط على مستوى مصر ولكن– فى رأيى– مستوى العالم أجمع وأضاف إضافة خطيرة إلى التجارب الثورية فى العالم.

ولم يجد الأمير محمد على والادارة عموما أمام هذا الثائر الفذ إلا إعتقاله وتيسير مصرعة ساعة الافراج عنه بأن يقوم بالاعتداء عليه مجموعة من عملائهم.

وهكذا سقط الشهيد ليحفر بدمه طريقا خاصا فى العمل الاسلامى الثورى ضد الاقطاع.

ملاحظة : كان الشهيد يستعمل المسجد فى ادارة صراعه ضد الاقطاع وكان يقوم فى خطب الجمعة بتوعية جماهير الفلاحين!!! وهكذا فإن القوى الاستعمارية حين رأت خطورة ربط الثورة بالاسلام وفهم الاسلام على هذا المستوى الفذ فقدكان لابد من تصفية ذلك الشهيد جسديا.

«بهوت» ثورة ضد الاقطاع

لعل أهمية ثورة بهوت تأتى فى كونها تمثل امتدادا شعبيا راسيا، فالقرية كبيرة وزمام العائلة الاقطاعية حوالى ٣٠ الف فدان وعدد سكان القرية يزيد على ١٠ ألاف نسمة فى وقتها والأهمية تأتى أيضا من كون هذه القرية بالتحديد تمتلكها أكبر العائلات الاقطاعية فى الدلتا. ثم تأتى أهمية تلك الثورة فى النهاية فى أحداثها وما صاحب تلك الأحداث من نتائج.

أسرة البدراوى تمتلك فى القرية وما حولها حوالى ٣٠ الف فدان يقع منها فى القرية ١٥ الف فدان.

فى ٢٢ يونيو سنه ١٩٥١ وكنتيجة طبيعية لزيادة وعى الجماهير المسلمة نحو قضاياها نظراً للنشاط الاسلامى الواسع فى تلك اللحظات ونظراً للحد

الجماهيرى عموما ونظرا لوقوع النظام فى أزمة حالكة. وكان أهالى بهوت جزء من هذا كله كان أهالى بهوت يتدارسون حقوقهم داخل المساجد وما عليهم أن يفعلوه فى مواجهة الاقطاع كله وخاصة أيام الجمع حيث يجتمعون للصلاة. وفى ٢٢ يونيو سنه ١٩٥١ كان الأهالى كالعادة يجلسون فى مسجدهم لأداء صلاة الجمعة ومناقشة مشاكلهم -كما يفرض الاسلام فى صلاة الجمعة- وأثناء ذلك يصل خبر اعتداء عبد المجيد بك البدراوى على الفلاحين ضربا بالكرباج.

وأصدر المصلون قرارهم لماذا لاننتفض اليس هذا واجبنا؟ اليست دعوة ديننا من قتل دون مظلمته فهو شهيد.وهكذا أرتفعت الدعوات للانتفاضة؟

وخرجت الجماهير المسلمة الثائرة من المسجد مباشرة إلى قصر البدراوى. وأطلق عبد العزيز بك البدراوى النار على الجماهير المسلمة فسقط وكيل شيخ الخفراء شهيدا كما سقط عشرات المصابين.

وهاجت الجماهير وتدافعت الى القصر الذى مثل ظلم حقبة طويلة من انتهاك الأعراض والظلم البشع ومص الاقوات . هاجت وتدافعت فى اتجاه رد الظلم .

يلاحظ تضامن الخفراء مع الجماهير لأنهم فى النهاية جزء منها ويقع عليهم الظلم مثلها. واضرموا النيران فى أجران القمح.

وجاء البوليس يكمل حلقة الحصار على الجماهير المسلمة وعمل فيها قتلا وذبحا. جاء البوليس ليحمى من يدفعون له متناسيا أن هذا الذى يدفع له هو من عرق الفلاحين الذين يوجه اليهم بنادقه.

ولكن الجماهير بما اختزنته من ثوريتها واسلامها كانت أقوى من البوليس مما

أضطر مأمور مركز طلخا الغربى الذى كان يشرف بنفسه على المجزره أن يختفى خلال المعركة فى دورة المياة.

وهكذا ظلت أسرة البدراوى محاصرة داخل البدروم وبينهم كريمة معالى فؤاد باشا حتى انتهت المعركة وتم تهريبهم.

ويهدء الحال بدأ القبح الاقطاعي والقول السخيف يظهر مرة أخرى، يظهر على يد رجال البوليس الذين جاءوا للتفتيش ثم التحقيق، واستخدم التفتيش وسيلة لتاديب عشرات الفلاحين غير المرغوب فيهم وبالغ البوليس فى تحطيم أثاثاتهم وأفساد تموينهم وتمزيق ثيابهم فى خلال التفتيش.

وقبض على آل القتلى والجرحى حتى بلغ المعتقلين ٥٠ فلاحا بخلاف أثنين أفرجت عنهم النيابة بالضمان المالى.

بل ان إحدى النسوه قد قبض عليها وحبست فى سراى آل البدراوى للضغط على زوجها لتسليم نفسه لهم وقد كانت حاملا فى الشهر التاسع ووضعت مولودها فى السراى فأسمته «الحادث» لعله عندما يكبر يعرف كم قاسى الأهل من ظلم الاقطاع.

وبالطبع قام البوليس بمحاصرة بهوت ومنع الدخول اليها ومنع الصحافة من الوصول اليها. وتم شراء الصحافة لتضليل الرأى العام. واستعملت أسرة البدراوى نفوذها وأموالها فى التأثير على القضاء.

فكان أن تم نقل نظر المعارضة من مركز طلخا الذى تقع فيه بهوت الى المنصورة وذلك لمنع جماهير طلخا من إظهار تضامنها مع المعتقلين بالتظاهر أمام المحكمة.

وقامت عائلة البدراوى عن طريق البوليس والهجانة بطرد ١٢ أسرة من بهوت نهائيا وهذه الأسر هى عائلات محمد حامد البهوتى ومحمد أبو النجار ونصر الهلالى وعبد القادر عبد الغفار وعبد اللطيف سلامة ومحمد على النجار وعبد العزيز اسماعيل وقد تم ترحيلهم بالقوة وتحت ارهاب قوات البوليس والهجانه.

وهكذا فإن انتفاضة الفلاحين فى بهوت تقودنا إلى النتائج الاتية:

- أن الحركة خرجت من مسجد القرية فى يوم الجمعة مما يشير إلى ارتباط الانتفاضة بوعى الجماهير الاسلامى .

- أن عائلة البدراوى فى الحقيقة تمثل النظام كله، بما لها من نفوذ وارتباطات بالبوليس والوزراء والملك، وهكذا فإن الانتفاضة موجهة إلى النظام بالكامل.

- أن الوحشية التى عومل بها الأهالى على يد البوليس توضح إلى اى مدى كان النظام بنهارا.

- أن الجماهير خارج بهوت تجاوبت تجاوبا واضحا مع الانتفاضة عن طريق الصحف الشريفة ومحاولة أهل طوخ التظاهر تضامنا مع المسجونين من أهل بهوت.

الانتفاضة الفلاحية فى قرية أبو الغيط.

كانت الأوقاف فى تلك القرية تؤجر أرضها إلى صغار الفلاحين، ثم قررت أن تطرد ٥٠٠ منهم من الأرض لتؤجرها الى صهر وزير التموين. فتصدى الفلاحين للأمر. وكالعادة اتصل صهر الوزير بالبوليس فنشبت معركة بين الفلاحين وبين البوليس قتل فيها ١٢ فلاحا.

الانتفاضة الفلاحية في ميت فضالة

فى ٥ سبتمبر سنه ١٩٥١ نشرت مجلة الدعوة حادثه ميت فضالة مطالبه بالقضاء على الاقطاع وتابعيه بميت فضالة بكفور نجم وبهوت. محذرة بزوال دولة الظلم.

ولقد بدأت انتفاضة ميت فضالة فى ١٧ سبتمبر سنه ١٩٥١ حيث أمر طلعت باشا الذى يمتلك ٧٠٠ فدان فى ميت فضالة- وهو عبد اللطيف باشا طلعت كبير أمناء اللك- أمر بأن يجعل ثلاثة قناطير عن كل فدان قطن وحيث إن الأرض لم تغل هذا القدر فقد أمتنع الفلاحون عن جنى المحصول.

ولما أضرب الفلاحون عن جنى القطن هدد مأمور مركز أجا الذى جاء على رأس قوة ليجبر الفلاحين على جنى المحصول وأعتقل منهم بالفعل البعض، فالقى القبض على تسعه هم طه ابراهيم السيسى والسيد غنيم وإبراهيم السيسى واسماعيل محمد ومحمد عطية واسماعيل عاشور والمرغنى محمد نعاسه وأحمد المناوى وحافظ النجار.

وفى مركز أجا كان الكونستابل رمزى مسيحه يباشر تعذيب المعتقلين ويمنع الطعام والماء عنهم بكل دقة.

ولما أحس البوليس بعدم استجابة الأهالى للارهاب ورفضهم المستمر للقيام بجنى المحصول جرد حملة عليهم بقيادة الملازم أول محمد عبد المنعم جبر بطل حوادث كفور نجم.

وتصل سيارة الطاغية إلى التفتيش ثم يذاع أن البوليس سيقبض على كل من يرفض جمع القطن.

وتجمهر الفلاحون وتظاهروا ضد الادارة والسراى، فبادر الضابط محمد عبد المنعم فأطلق الرصاص عليهم، وفى ثورة مجنونة كان الفلاحون يهجمون على مبنى التفتيش هاتفين بسقوط دولة البوليس، وهاجم الاهالى القصر واشتد ضغطهم على البوليس.مما جعل هذا الضابط الهمام يبكى متوسلا إلى ناظر الزراعة لكى يمكنه من الخروج هو ورجاله من البلده. وفى ملابس فلاحين كان الضابط ورجاله يهربون ليتصلوا بالمركز طالبين النجدة وبعد ساعة بدت قرية ميت فضالة كميدان قتال.

وبدأت نجدات البوليس تتدفق من المنصورة وميت غمر والسنبلاوين وكان ٧٠٠ جندى يقودهم البكباشى فريد عبد البديع فى طريقهم لتأديب الفلاحين الكلاب.

وبدأت طلقات البنادق والمسدسات تنهال من بنادق الجنود والضباط بينما راحت قوة تقبض على كل من يحاول الهرب من نهر الموت الرهيب.

وفى الصباح كان فى كل بيت مأساة، وفى كل شارع جريمة وبدأ الاستاذ نهيدة أبو زهرة وكيل النيابة التحقيق فأفرج عن جميع المعتقلين دون أن يوجه اليهم اتهاما بعد أن ذاقوا فى السجن شتى أنواع العذاب مدة ٣٦ ساعة دون أمر من النيابة.

ولما لم يجد مأمور مركز أجا مايتهم به الفلاحين ولإرضاء سيادة طلعت باشا كبير أمناء الملك أوغر إلى التفتيش بأن يبلغ النيابه بأن على غنام وذكى محمد غنام وأحمد النجار وشحاته النجار وطه العزونى وبدير محمد غنام وابراهيم عثمان القعلة ومحمود عثمان القعلة قاموا بالسطو المسلح على سراى التفتيش والقى البوليس القبض عليهم وعاشت ميت فضاله تحت رحمة قوة البوليس عدة أيام .

وهكذا فإن وجه مصر قد غطاه سنه ١٩٥١ الانتفاضات الفلاحية فى الريف، وهكذا أنضم الفلاحون لحركة الشعب المسلم ضد الملك والاستعمار والاقطاع والرأسمالية.

البرنامج الزراعى للحركة الاسلامية

تدرك الحركة الاسلامية بمالها من وعى تاريخى وأيديولوجى أن المسألة الزراعية من أخطر القضايا على الاطلاق ليس لكونها فى مصر تمثل قطاعا ضخما هو قطاع الفلاحين فحسب ولكن لأن أبعاد الاستعمار الاقتصادى تصبح غير ذات قيمة لو أننا ما رسنا سياسة زراعية مستنيرة. وهكذا فإن برنامجا زراعيا مستنيرا هاما جدا فى اطار الاستقلال الوطنى.

أن الحركة الاسلامية وبما أنها تدعو الى نمط تنمية غير مرتبط بالغرب وغير معتمد على وسائله التكنيكية حتى تستطيع تحقيق الاستقلال الحقيقى فانها تدرك أن المجال الزراعى هو المجال الاكثر خصبا لتحقيق ذلك الاستقلال. وتحقيق نمط مخالف للنمط الغربى وهكذا فإن الحركة الاسلامية تدعو الى:

١ – حق من قام بالزراعة وفلاحة الأرض بالانتفاع بثمرتها فى اطار الملكية العامة للأرض. **راجع فصل ملكية الأرض فى الاسلام**

٢ – اسقاط قانون الايجارات الزراعية بمعنى أن المستأجر هو صاحب الحق فى الغلة وحده وبما أن المالك قد امتلك تلك الأرض أصلا بشكل غير شرعى طبقا للشريعة الاسلامية التى تمنع بيع وشراء وأمتلاك وتوريث الأرض بما أنها ملكية عامة.

٣- إذا ترتب على حق الفلاحين فى الانتفاع بالارض دون منازع « وأقصد بالفلاحين الذين يعملون بأيديهم» بعض المآسى الاجتماعية التى أنشأها التراكم الطويل لعدم تطبيق الاسلام بمعنى أن بعض الملاك من الأرامل الأيتام والذين لا يستطيعون العمل وخلافة فيمكن للقوانين الاجتماعية مراعاة ذلك.

٤- الاهتمام بالفلاحين اجتماعيا وثقافيا ومحو أمية قطاع الفلاحين والاهتمام باشراكهم فى العمل السياسى.

٥- التركيز على زراعة الغلات الغذائية لتحقيق استقلال اقتصادى حقيقى تجاه الغرب وعدم زراعة الغلات التى تصدر لنستورد بها شمبانيا وأثاث فاخر وأدوات تجميل.

٦- اقراض الفلاحين من قبل بنوك التسليف بدون فوائد بما أن هذه الفوائد تمثل عبئا على الفلاحين فهى أيضا عمل لا أخلاقى تجاههم.

مواجهة التحديات :

وسعى الاخوان المسلمون دائما إلى تقوية الأزهر ودفعه باتجاه أداء دوره التاريخي فى قيادة الأمة نحو النهضة والتحرر ومواجهة التحديات فمجلة النذير تكتب « أن الاخوان لايرون أنفسهم ولارسالتهم شيئا غير الأزهر ورسالة الأزهر»(٦٨) وحسن البنا يقول «الأزهر بطبيعته معقل الدعوة الإسلامية وموئل الإسلام» (٦٩).

★★★

وحتى الصحافة الاسلامية غير الاخوانية كانت تحظى بالدعم والإشادة من الاخوان المسلمين ومن حسن البنا الذى يصف مجلة المنار بقوله «كانت مجلة المنار مرجعا من المراجع الاسلامية العالمية، وكان صاحبها السيد رشيد رضا رحمه الله رجلا عالما غيورا مخلصا للاسلام وقف حياته لخدمة دينه والأمم الاسلامية وكان شجاعا فى الحق لايهاب أحداً ولايجامل ولايحابى»(٧٠) وعندما توقفت المنار اعتبر حسن البنا« أنه يعز على الاخوان المسلمين أن يخبو ضوء هذا السراج المشرق بالعلم والمعرفة وأنها أنجبت الكثير من رجال النهضة الاسلامية الحديثة»(٧١) واعتزم أن يتعاون مع ورثة المرحوم السيد رشيد رضا على إصدار المنار من جديد»(٧٢).

★★★

ويلخص حسن البنا موقفه وموقف جماعته من دعم كل عمل اسلامى ودعم كل الشخصيات والهيئات والصحف والجماعات التى تعمل للاسلام قائلا «الاخوان المسلمون يرون هذه الهيئات على اختلاف ميادينها تعمل لنصره الاسلام وهم يتمنون لها جميعا النجاح» (٧٣).

ولا مانع طبعا أن يكون هناك خلاف فى الأسلوب أو التكتيك أو الاهتمامات وأن يكون هناك بعض الأخطاء ولامانع من نقدها فى إطار الوحدة والتعاون وروح الإخاء.

ظروف الزمان والمكان والأحوال

كان حسن البنا يدرك أن اختلاف الزمان والمكان يقتضيان اختلاف الاجتهاد الملائم لهذا الزمان والمكان وأن هذا من دواعى سعة الاسلام ورحمته وصلاحيته لكل زمان ومكان، يقول حسن البنا «إن تاريخ التشريع الاسلامى يحدثنا أن ابن عمر رضى الله عنه كان يفتى فى القضية فى الموسم برأى ، ثم تعرض عليه فى الموسم التالى من العام القابل فيفتى برأى آخر، فيقال له فى ذلك، فيقول ذاك على ما علمنا وهذا على ما نعلم أو كلام هذا نحوه، كما يحدثنا أن الشافعى رضى الله عنه وضع بالعراق مذهبه القديم، فلما تمصر وضع مذهبه الجديد نزولا على حكم البيئة وتمشياً مع مظاهر الحياة الجديدة من غير أن يخل ذلك بسلامة التطبيق على مقتضى القواعد الاسلامية الكلية الاولى ، وأصبحنا نسمع

قال الشافعى فى القديم وقال الشافعى فى الجديد، ونرى تغير رأى الرجل الواحد فى القضية الواحدة بحسب الزمان تارة كما فعل ابن عمر وبحسب المكان تارة أخرى كما فعل الشافعى ، أو بحسبهما معا، كما سمعنا أن عمر رضى الله عنه أمر بعدم القطع فى السرقة عام المجاعة»[٧٤] .

وانطلاقا من هذا الفهم وتلك الرؤية التى تعكس فهما دقيقا ومرنا فى نفس الوقت ، فإن حسن البنا الذى أدرك أن مهمة المسلم ومهمة المسلمين ومهمة أمة الاسلام هى تحرير البشر وتعبيدهم لله الواحد القهار بالدعوة أو بالجهاد أو بغيرها من الوسائل فإنه أدرك أيضا أن هناك الآن ظروف زمانية ومكانية تقتضى الاهتمام بقضية نهضة العالم الاسلامى وتحريره أولا من الاستعمار والتخلف والسلبية، وأنه طالما كنا كأمة فى حالة من الهزيمة والاحتلال والتخلف والسلبية فإنه يجب أن تكون مهمتنا الأولى هى الإنهاض والتحرر واليقظة تمهيدا لوضع الأمة الاسلامية على الطريق الصحيح للقيام برسالتها فى تحرير العالم وتعبيده لله الواحد القهار.

وهكذا فإن حسن البنا يحدد مهمات حركته كالتالى يقول حسن البنا« شاءت لنا الظروف أن نواجه نتائج أغاليط الماضى ونتجرع مرارتها وأن يكون علينا رأب الصدع وجبر الكسر وإنقاذ أنفسنا وأبنائنا واسترداد عزتنا ومجدنا وإحياء حضارتنا وتعاليم ديننا»[٧٥] ، ويقول «كذلك شاءت لنا ظروفنا أن نواجه كل ذلك وأن نعمل على إنقاذ الأمة من الخطر المحدق بها من كل ناحية»[٧٦] ويقول «إن الغرض الأول الذى ترمى إليه جمعيات الاخوان المسلمين هو إيقاظ الشعور الحى الذى يسوق الأمم إلى الزود عن كرامتها والجد فى استرداد مجدها وتحمل كل عنت ومشقة فى سبيل الوصول إلى الغاية»[٧٧] .

الاسلام دين وحضارة

حدد حسن البنا الهدف من دعوة الاخوان المسلمين فى أنها «استرداد عزتنا وإحياء حضارتنا وتعاليم ديننا» كما سبق أن نقلنا عنه، وهكذا فهو يرى أنها أمة ذات حضارة خاصة ينبغى إحيائها، ولاشك أن المسلمين ينتمون إلى الحضارة الاسلامية بحكم دينهم وتاريخم وجغرافيتهم، كما أن غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى ينتمون إلى الحضارة الاسلامية بحكم التاريخ والجغرافيا وهذا حسن البنا نفسه يؤكد على ذلك المعنى قائلا «والأقلية غير المسلمة من أبناء هذا الوطن تعلم تمام العلم كيف تجد الطمأنينة والأمن والعدالة والمساواة التامة فى كل تعاليمه وأحكامه، هذا الذى يقول كتابه« لا ينهاكم الله عن الذين يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين»- الممتحنة- والكلام فى هذا المعنى مفروغ منه، وهذا التاريخ الطويل العريض للصلة الطيبة الكريمة بين أبناء هذا الوطن جميعا مسلمين وغير مسلمين يكفينا مؤونة الإفاضة والإسراف، فإن من الجميل حقا أن نسجل لهؤلاء المواطنين الكرام أنهم يقدرون هذه المعانى فى كل المناسبات،ويعتبرون الاسلام معنى من معانى قوميتهم وإن لم تكن أحكامه وتعاليمه من عقيدتهم»(٧٨) .

ويحكى حسن البنا كيف أنه أثناء دراسته فى مدرسة الرشاد الدينية بالمحمودية ساهم فى جمع مبلغ من المال للإنفاق على تكريم زميله الطالب «لبيب اسكندر» شقيق طبيب الصحة الذى نقل إلى بلد آخر فتنقل أخوه معه»(٧٩) ويحكى حسن

البنا أيضا قائلا « ولا أزال أذكر أن من هذه العرائض عريضة بتوقيع مسيحى جاء فيها أن هذا المدرس المتعصب الذى يرأس جمعية متعصبة اسمها الاخوان المسلمون يفرق بين أبناء العنصرين فى الفصل فيتعمد إهانة التلاميذ من المسيحيين وإهمالهم وعدم العناية بهم ويؤثر الطلاب من المسلمين بكل اهتماماته وأسئلته وتوجيهاته وأن ذلك سيحدث فتنة كبرى إن لم تتداركها الوزارة بنقل هذا المدرس وقد أحدث تحويل هذه العريضة إلى الناظر للرد عليها دوياً هائلا بين مواطنينا المسيحيين بالاسماعيلية الذين استنكروا هذا العمل أشد الاستنكار وجاء وفد عظيم من أعيانهم وعلى رأسه راعى الكنيسة الارثوذكسية هناك إلى المدرسة معلنا استنكاره وكتب المواطن الفاضل جرجس سوريال أفندى رئيس جمعية الكنيسة، والمواطن الفاضل يعقوب أفندى فرج رئيس جمعية الإحسان القبطية، والمواطن الفاضل فهمى أفندى عطية من كبار الموظفين ومعه أعيان الطائفة وكبارها من رجال وسيدات وكتبت الكنيسة بختمها وتوقيع حضرة الأب راعيها الفاضل عرائض وخطابات استنكار أرفقها الناظر بتقريره الذى ختمه بكلمة أرجو ألا ترهقنا وزارة المعارف بمثل هذه المجهولات وأن تحقق فيها بمعرفتها بعد أن ثبت أنها جميعا أمور كيدية لا يراد من ورائها خير»(٨٠) .

وفى خطابات حسن البنا إلى أبيه يقول « الجمعية تسير بخطى موفقة وكانت عندنا بالأمس حفلة كبيرة دعونا إليها كل الطائفة القبطية وعلى رأسها المطران وأقبلوا جميعا لم يتخلف منهم أحد وكانت صفعة قوية لمنافقى المسلمين الذين ينزلقون إلى هؤلاء بالفتنة، ولقد كنت صريحا جدا فى لباقة فى بسط فكرة الاخوان بصورة حازت إعجاب الجميع والحمد لله وكل شيء على ما يرام وسلام عليكم»(٨١) .

ومازال هؤلاء المنافقون يعملون للإيقاع بين المسلمين والأقباط وإحداث الفتنة حتى اليوم، ومازالوا يحاربون الحركة الاسلامية بحجة التعصب ضد الأقباط، وهى تهمة باطلة .

دراسة الواقع ومواجهة التحديات

ومادامت الحركة الاسلامية حركة للنهضة والتحرر والاقلاع ومواجهة التحديات ، فلابد لها أولا من دراسة الواقع الذى تعمل فيها ومعرفة أسباب التخلف والهزيمة والبحث عن وسائل الاقلاع الحضارى ومواجهة التحديات، وكان هذا بالضبط ما فعله حسن البنا ، فهو شديد الاهتمام بدراسة الواقع الذى يعمل فيه فيحكى عن ذكرياته في الاسماعيلية أنه حرص على دراسة هذا الوطن الجديد من حيث أهله ومناظر وخصائصه وأن يعرف كثيرا من أبناء الاسماعيلية الدينية وظروفها الاجتماعية» (٨٢) .

ومافعله حسن البنا بخصوص الاسماعيلية فعله بخصوص مصر والعالم العربى والاسلامى بل والعالم أجمع، فدرس الواقع المصرى والعربى والاسلامى والعالمى، بل وحرص على الاتصال بالناس مباشرة فى كل طبقاتهم وهيئاتهم وأحوالهم، ويقول عنه الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر «إن حسن البنا رجل مسلم غيور على دينه يفهم الوسط الذى يعيش فيه ويعرف مواضع الداء فى جسم الأمة الاسلامية ويفقه أسرار الاسلام وقد اتصل بالناس اتصالا وثيقا على اختلاف طبقاتهم وشغل نفسه بالاصلاح الدينى والاجتماعى على الطريقة التى كان يرضاها سلف هذه الأمة »(٨٣) .

ونرى الإمام الشهيد يحلل ويدرس أحوال مصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ويقدم الحلول الملائمة لهاوقد جاءت هذه الدراسة والتحليل وطرق العلاج في رسالته تحت عنوان مشكلاتنا في ضوء النظام الاسلامي واشتملت على تحليله للنظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي في مصر كما أنه درس وحلل أوضاع العالم الاسلامي بالكامل وذلك من خلال دراسة التطورات التاريخية التي مرت بها الأمة الاسلامية من الصعود والثبات إلى الهبوط في رسالته بين الأمس واليوم وقد تضمنت تلك الرسالة موضوعات من أمثال الدولة الاسلامية الأولى، عوامل التحلل في كيان الدولة الاسلامية، دعوتنا دعوة البعث والإنقاذ.. ولم يقتصر على هذا بل تراه يحلل الأوضاع العالمية ويدرس الأحوال في أوروبا، ونطالع موضوعا بعنوان المدنية الغربية الآن في رسالة نحو النور.. وهكذا.

وفي الحقيقة فإن دراسة الواقع المصري والعربي والاسلامي والعالمي استغرق الكثير من المساحات في رسائل الامام الشهيد حسن البنا، لأنه كان يدرك أن معرفة الواقع وتحديد الأمراض وإدراك الظروف المحلية والعربية والاسلامية والعالمية شروط أساسية من شروط النهضة، ومن الصعب طبعا هنا أن نرصد وننقل كل ما قاله حسن البنا في هذا الصدد وسنكتفي بتلخيصه هو لتلك الأوضاع، وهو تلخيص يكشف أنه درس الواقع دراسة فاحصة دقيقة وعرف الأمراض التي تفتك بجسد الأمة يقول حسن البنا في رسالة دعوتنا وتحت عنوان الأعراض «وقد علمتنا التجارب وعرفتنا الحوادث أن داء هذه الأمم الشرقية متشعب المناحي كثير الأعراض قد نال من كل مظاهر حياتها، فهي مصابة في ناحيتها السياسية بالاستعمار من جانب أعدائها والحزبية والخصومة والفرقة والشتات من جانب

أبنائها وفى ناحيتها الاقتصادية بانتشار الربا بين كل طبقاتها واستيلاء الشركات الأجنبية على مواردها وخيراتها وهى مصابة من ناحيتها الفكرية بالفوضى والمروق والإلحاد يهدم عقائدها ويحطم المثل العليا فى نفوس أبنائها وفى ناحيتها الاجتماعية بالإباحية فى عاداتها وأخلاقها والتحلل من عقدة الفضائل الإنسانية التى ورثتها عن الفراعين من أسلافها وبالتقليد الغربى يسرى فى مناحى حياتها سريان لعاب الأفاعى فيسمم دماءها ويعكر صفو هنائها وبالقوانين الوضعية التى لا تزجر مجرما ولاتؤدب معتديا ولاترد ظالما ولاتغنى يوما من الأيام غناء القوانين السماوية التى وضعها خالق الخلق ومالك الملك ورب النفوس وبارئها وبفوضى فى سياسة التعليم والتربية تحول دون التوجيه الصحيح لنشئها ورجال مستقبلها وحملة أمانة النهوض بها، وفى ناحيتها النفسانية بيأس قاتل وخمول مميت وجبن فاضح وذلة حقيرة وخنوثة فاشية وشح وأنانية تكف الأيدى عن البذل وتقف حجابا دون التضحية وتخرج الأمة من صفوف المجاهدين إلى اللاعبين اللاهين»(٨٤)

ومن الطبيعى أن يواجه حسن البنا هذه الأمراض التى يسميها فى رسالة أخرى الموبقات وهى الاستعمار والصهيونية والخلافات السياسية والشخصية والمذهبية، والربا والشركات الأجنبية والتقليد الغربى والقوانين الوضعية والانحلال الخلقى.. وغيرها.

ولابد من البداية الصحيحة وهى بعث الأمل فى النفوس ورغم أن داء واحدا من هذه الأدواء يكفى لقتل أمم متظاهرة الا أن أمة الاسلام رغم انحطاطها فإن بها مناعة وجلادة وشده تحول بينها وبين الانهيار ولولا ذلك لعفت اثارها ولبادت من الوجود(٨٥) وأنه رغم هذا فإن كل ما حولنا يبشر بالأمل(٨٦) وأننا لسنا يائسين من أنفسنا وأننا نأمل خيراً كثيرا ونعتقد أنه لايحول بيننا وبين النجاح إلا

هذا اليأس فإذا قوى الأمل فى نفوسنا فسنصل إلى خير كثير إن شاء الله ، لهذا نحن لسنا يائسين ولا يتطرق اليأس إلى قلوبنا والحمد لله»(٨٧) .

ولابد من مواجهة القوانين الوضعية بالدعوة إلى تطبيق الشريعة الاسلامية، ومواجهة الانحلال الخلقى بالدعوة إلى مكارم الأخلاق الاسلامية وتربية الرجال على الفضائل والعبادات وزرع الرجولة فيهم ولابد لمواجهة التقاليد الغربية بإثبات زيفها وأن التقاليد والقيم الاسلامية هى الصحيحة شرعاً وعقلاً ولابد من التدريب الرياضى والعسكرى للقيام بأعباء النهضة والجهاد ضد الاستعمار والصهيونية، ولابد من تحرير الاقتصاد الوطنى من السيطرة الاجنبية والقضاء على الربا، ولابد من محاربة الجهل والمرض والخرافات بنشر العلم فقام الاخوان المسلمون بافتتاح المدارس ومحو الأمية والتأكيد على أهمية العقل وأنه لاقاعدة شرعية صحيحة تصطدم بحقيقة علمية صحيحة.

★★★

كان حسن البنا يرى أن الاستعمار هو أصل الداء وأبشع شيء أبتليت به الأمة الاسلامية وأنه لابد من التحرر من هذا الاستعمار ، ولايكون ذلك إلا من خلال الكفاح المسلح فالاسلام يرى الأمة الاسلامية أمينة على رسالة الله فى أرضه ولها فى العالم مرتبة الأستاذية حكم هذه الأمانة، فلا يصح لها أن تذل لأحد أو تستعبد لأحد أو تلين قناتها لغازٍ أو تخضع لغاصب معتدٍ أثيم «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا»(٨٨) .

ولن تفلح المفاوضات مع الاستعمار ، ولا طرح القضية على المحافل الدولية بل لابد من إعلان الخصومة وإلغاء المعاهدات واعتبار أنفسنا فى حالة حرب مع

الاستعمار وننظم حياتنا على هذا الأساس[٨٩] والطريق الوحيدة هى الحرية أو الشهادة والشعب مستعد لذلك فهو مستعد ليموت ويناضل ويكافح بأشد أنواع النضال والكفاح» [٩٠] .

وكان من الطبيعي والحالة هذه ، أن تمارس جماعة الاخوان المسلمين النضال المسلح ضد الانجليز، وأن تقوم باغتيال العديد من جنود وضباط الاحتلال فى الشوارع ، والحوارى، وأن ترفض اتفاقية ١٩٣٦ ، وأن تصل فى النهاية إلى إعلان الكفاح المسلح الشامل على ضفاف القناة ١٩٥١ ، وقد سجل العديد من المؤرخين أمثال محمود عبد الحليم، حسن دوح وأحمد عادل كمال عشرات العمليات الفدائية التى نظمها الاخوان المسلمون ضد الانجليز فى شوارع القاهرة والاسكندرية وغيرها ثم فى القناه.

ولم يقتصر مناهضة الاستعمار على مصر وحدها، بل حرص الاخوان المسلمون على مساندة وتأييد ودعم الحركات المناهضة للاستعمار فى أقطار العالم عموما والعالم الاسلامى خصوصا وامتلأت رسائل الامام الشهيد وكذا مقالات الاخوان بالحديث عن نضال شعوب المغرب أو فلسطين أو أندونيسيا وليبيا وسوريا.. وغيرها[٩١] .

وكانت دار الاخوان المسلمين فى مصر مأوى لكل المكافحين ضد الاستعمار أمثال علال الفاسى، أمين الحسينى ، كليم الله صديقى، شكيب أرسلان ، عبد الكريم الخطابى، محمد سعيد العرفى، وغيرهم.

★★★

وفى مواجهة التحدى الصهيونى لعبت جماعة الاخوان المسلمين دوراً هاماً فى التصدى لتلك القضية، فالإمام حسن البنا يرى أنها مؤامرة دولية من الأمريكان والروس والانجليز على السواء مع الصهيونية العالمية (٩٢) وأن القضية الفلسطينية هى قضية العرب والاسلام الأولى (٩٣).

وأن قضية فلسطين هى قضية كل مسلم(٩٤)، ويقول ريتشارد ميتشيل فى هذا الصدد « إن مشكلة فلسطين هى أكثر المشكلات الخارجية إلحاحاً وأهمية بالنسبة إلى الجماعة».

وإذا كان حسن البنا يرى أن قضية فلسطين هى قضية كل مسلم وأنها قضية العرب والمسلمين الأولى، فكان من الطبيعى أن تقوم الجماعة بجمع التبرعات للشعب الفلسطينى، وتأييد مطالبه عن طريق المؤتمرات والندوات والمهرجانات والمظاهرات والبيانات والضغط على الحكومات وغيرها من الوسائل، ولعل أكثر تلك الوسائل إيجابية هى قيام الاخوان المسلمين بالتطوع للقتال فى فلسطين إبان حرب ١٩٤٨، وقد شهد لهم الجميع بالبطولات والأعمال الفدائية الكبيرة التى قاموا بها على أرض فلسطين مما سجله الأستاذ كامل الشريف فى كتابه الاخوان المسلمون فى حرب فلسطين، ولعل كتائب الاخوان التى ذهبت وقاتلت فى فلسطين وأبلت بلاء حسنا كانت السبب الرئيسى لاغتيال الامام الشهيد حسن البنا فيما بعد حيث أن اليهود والاستعمار أدركوا خطورة الرجل بعد هذه المشاركة وضرورة التخلص منه.

***

وفى مواجهة التبعية الاقتصادية فإن حسن البنا دعا إلى تحرير النقد المصرى واستقلاله واعتماده على رصيد ثابت من مواردنا ومن ذهبنا لاعلى أذونات الخزانة البريطانية ودار السك البريطانية والبنك الأهلى البريطانى(٩٥)، كما دعا إلى القضاء على الشركات الأجنبية وتمصير الشركات وإحلال رؤوس الأموال الوطنية محل رؤوس الأموال الأجنبية وتخليص المرافق العامة- وهى أهم شيء للأمة- من يد غير أبنائها، فلا يصح بحال أن تكون الأرض والمباني والنقل والماء والنور والمواصلات الداخلية والنقل الخارجى حتى الملح والصودا فى يد شركات أجنبية»(٩٦).

ويرى حسن البنا أن هذا البلد ليس فقيرا ولكن الأجانب ينهبون ثرواته فالصناعة والتجارة والمنافع العامة والمرافق الرئيسية كلها بيد هؤلاء الأجانب»(٩٧).

كما دعا حسن البنا إلى مقاطعة البضائع الأجنبية والالتزام بأن يكون المأكل والملبس من صنع ومنتجات بلاد الاسلام عموما ومصر خصوصا بل ألزم طلاب المدارس التابعة للأخوان بالالتزام بأن يكون الزى المدرسى من الصناعة المصرية(٩٨).

ومن توصيات حسن البنا للاخوان «أن تخدم الثروة الاسلامية العامة بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية، وأن تحرص على القرش فلا يقع فى يد غير إسلامية ولا تأكل ولاتلبس إلا من صنع وطنك الإسلامى»(٩٩).

ولعل من أهم وأخطر توصيات حسن البنا هى التحول إلى الصناعة فورا لأن

هذا من روح الاسلام الذى يقول كتابه :

﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾،

ويقول : ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم﴾

ويقول : ﴿وأسلنا له عين القطر﴾

ويقول : ﴿وألنا له الحديد﴾

فكيف يكون هذا ثم نهمل ما عندنا من معادن ولا يكون لنا مسبك عظيم ولا مصنع كامل للمعادن حرام هذا كله» (١٠٠).

وهذه الدعوة إلى الصناعة فورا أمر ضرورى للنهضة وقد شفع حسن البنا هذا القول بالعمل فقامت العديد من الشركات والمصانع على يد الاخوان المسلمين ، وذلك للقضاء على الشركات الأجنبية وقطع الطريق على احتكارها، كما كانت المدارس التابعة للاخوان تدرس نظريا وعمليا الحرف والصناعات وتنظم رحلات يومية لطلابها إلى الورش والمصانع للحصول على الخبرة العملية (١٠١).

★★★

وفى مواجهة التغريب والثقافة الأجنبية اهتم حسن البنا بالرد على موجات الإلحاد والتغريب والدعوة إلى الأذواق الأجنبية ونشر الثقافة الاسلامية، وكان يرى أن الثقافة الاسلامية تدعو لتحرير العقل ورفض الخرافة فهو يقول «والاسلام يحرر العقل ويحث على النظر فى الكون ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح

النافع فى كل شىء والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، وأنه لن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة »[١٠٢].

★★★

وفى مواجهة تحدى التجزئة دعا حسن البنا إلى الوحدة وأكد أن الإسلام يجعلها فريضة ويعتبرها جزءا أساسيا فى حياة المجتمع لايتساهل فيه بحال إذ أنه يعتبر الوحدة قرين الايمان ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾، كما يعتبر الخلاف والفرقة قرين الكفر كما قال تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين**﴾ أى بعد وحدتكم متفرقين، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿**لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم وجوه بعض**﴾ فعبر بكلمة الكفر عن الفرقة والخلاف وأن يضرب بعضهم وجوه بعض»[١٠٣].

وفى مواجهة تحدى الاستبداد دعا حسن البنا إلى الحرية والثورة على الظالم لأن الحاكم فى الاسلام مسئول بين يدى الله وبين الناس وهو أجير لهم وعامل لديهم، أبو بكر الصديق يقول ﴿**أيها الناس كنت أحترف لعيالى فأكسب قوتهم فأنا الآن أحترف لكم فاقرضوا إلى من بيت مالكم**﴾ وهو بهذا قد فسر نظرية العقد الاجتماعى أفضل وأعدل تفسير، بل هو وضع أساسه فما هو إلاتعاقد بين الأمة والحاكم على رعاية المصالح العامة فإن أحسن فله أجره وإن أساء فعليه عقابه، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول ﴿**إذا رأيت أمتى تهاب**

أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منها» وقال «سيد الشهداء حمزه بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»[١٠٤].

وهكذا فقد كان حسن البنا وكانت جماعة الاخوان المسلمين، وكانت الحركة الاسلامية طليعة للأمة وليست بديلا عنها ولاتظن فى نفسها أنها شعب الله المختار أو أنها معصومة من الخطأ أو أنها فرقة دينية جديدة أو قديمة ، بل هى خميرة للنهضة ودعوة لليقظة والإقلاع ومواجهة التحديات .

★★★

الاختراق الصهيونى

فى نهاية الاربعينات من هذا القرن « العشرين» – وبالتحديد فى الفترة من ١٩٤٥ – ١٩٥٢– كانت الحركة الاسلامية فى مصر ممثلة فى الاخوان المسلمين ، ومصر الفتاة، وشباب محمد وغيرها من الرموز والتشكيلات قد أصبحت من القوة والانتشار والخبرة بدرجة تسمح لها بتفجير الثورة، كانت شعب الاخوان المسلمين قد وصلت تقريبا إلى كل قرية ومدينة فى مصر، وكان عدد المنتمين اليها قد جاوز الـ ٢ مليون ، وكان معظم الشعب المصرى يتعاطف مع برامجها وخاصة بعد أن أفلست القوى السياسية العلمانية، وخاصة الوفد، وباتت لا تستطيع إقناع الجماهير فى أى قضية وخاصة القضية الوطنية.

وكان الشعب المصرى عموما قد أصبح يمتلك الوعى والايجابية ، وكانت الإضرابات العمالية والانتفاضات الفلاحية والتظاهرات الطلابية قد أصبحت شيئا يوميا (١٠٥) .

وكان الاخوان المسلمون والحزب الوطنى ومصر الفتاة يمارسون النضال ضد الاستعمار فى شوارع القاهرة والمدن الاخرى عن طريق اغتيال جنود الاحتلال وخاصة أثناء الحرب العالمية الثانية ثم تطور هذا الأمر فيما بعد وخاصة سنتى ١٩٥١ – ١٩٥٢ إلى كفاح مسلح شامل على ضفة القناة (١٠٦) .

كما كان الاخوان المسلمون قد خاضوا المعارك دفاعا عن فلسطين وشاركوا فى حرب ١٩٤٨ (١٠٧) .

وكـان معنى هذا كله أن الشعب أصبح يمتلك الوعى والايجابية وأن المنظمات الاسلامية أصبحت تمتلك الخبرة والسلاح والتدريب من خلال المعارك العسكرية والسياسية التى خاضتها، أضف إلى هذا أن النظام المصرى كان قد وصل إلى حافة الهاوية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، وكذلك كانت بريطانيا كامبراطورية استعمارية تتجه نحو الغروب بعد الحرب العالمية الثانية، وفى نفس الوقت كانت هناك قوتان تستعدان للسيطرة على المنطقة، قوة عالمية هى الولايات المتحدة الأمريكية، وقوة اقليمية هى إسرائيل، كانت الولايات المتحدة الأمريكية تريد وراثة نفوذ الاستعمار القديم والحلول محله، كما كانت اسرائيل التى ظهرت رسميا سنة ١٩٤٨ تريد أن تكون قوة اقليمية كبرى وتستهدف فى النهاية إقامة امبراطورية يهودية فى المنطقة من النيل إلى الفرات.

وكان معنى هذا أننا أمام تحدٍ جديد، وأنه سيحدث سباق وصدام حتمى بين قوتين القوة الاسلامية التى تستهدف التحرر والنهضة والاقلاع، والقوى القديمة ممثلة فى الملك والأحزاب العلمانية والانجليز وفرق جديدة تستعد لوراثة النفوذ وتحقيق مشروعها الدولى والإقليمى.

كانت الظروف الموضوعية والذاتية مهيأة للثورة الاسلامية فى مصر، وكان من المفروض أن تبادر القوى الاسلامية بتفجير الثورة وحشد الجماهير والإطاحة بالقوى القديمة ومواجهة تحديات القوى الجديدة، ولكن أضاعت الحركة الاسلامية الفرصة(*) ولم تمسك بزمام المبادرة، وكانت النتيجة أن القوى

(*) أضاع الاخوان المسلمون أكثرمن فرصة، لدرجة أننا يمكن أن نطلق عليهم جماعة الفرص الضائعة.

الاستعمارية الجديدة هى التى امتلكت زمام المبادرة- للأسف- فتم اغتيال الامام الشهيد حسن البنا فى فبراير ١٩٤٩ ، وتم تفجير ثورة مزيفة سنة ١٩٥٢ وذلك لاجهاض الثورة الحقيقية والتمهيد للنفوذ الأمريكى والاسرائيلى فى المنطقة (١٠٨) .

كان المطلوب من الثورة المزيفة تحقيق بعض الانجازات تسمح لها بالحصول على شيء من التأييد الشعبى لكى تصادر فيما بعد حريات الشعب وبالتالى تقضى على إيجابيته ووعيه، وتسمح لها فى نفس الوقت بالقضاء على طليعة الشعب وخميرة النهضة وهى الحركة الاسلامية وتمهد لتصفية النفوذ الانجليزى والفرنسى فى المنطقة واحلال النفوذ الأمريكى محله، والتمهيد للتوسع الإسرائيلى. وهكذا قامت الثورة المزيفة بقيادة عبد الناصر، بمصادرة الوعى والإيجابية لدى الشعب وممارسة أقسى أنواع الاستبداد السياسى حتى يتم إخراج الشعب من المعادلة، كما تم قتل وتشريد وسجن كل من ينتمى إلى طليعة الأمة وخميرة النهضة فى سلسلة قاسية من الإجراءات القمعية ضد الإسلاميين عموما والاخوان المسلمين خصوصا، وقام عبد الناصر بتسليم الصناعة المصرية لعدد من المديرين المرتشين والجهلاء والفاسدين لتحطيم تلك الصناعة من الداخل ومنع أى رقابة أو مشاركة شعبية فى أى عمل سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى.

كان المطلوب الصدام مع انجلترا وفرنسا لحساب أمريكا، وقد كان، وكان المطلوب إضعاف مصر لحساب أمريكا واسرائيل، وقد كان، فقد قام عبد الناصر بفصل السودان عن مصر بحجة حق تقرير المصير، والأمر أشبه الآن مثلا بفصل الصعيد عن مصر بحجة تقرير المصير! وكان معنى فصل السودان عن مصر

حرمان مصر من السيطرة المباشرة على منابع النيل ووضعها بالتالى تحت رحمة من يسيطر على هذه المنابع! وكذلك إفقاد مصر مجالها الحيوى وعمقها الاستراتيجى الطبيعى، وقام عبد الناصر بممارسة كل أنواع الاستبداد والاذلال للشعب المصرى حتى لا يكون قادراً بعد ذلك على مواجهة التحدى الجديد أمريكا واسرائيل، وأفسد الجيش ومارس كل أنواع الأخطاء والخيانات فى حربي ١٩٥٦ - ١٩٦٧ الأمر الذى ترتب عليه تحقيق اسرائيل للوصول إلى البحر الأحمر وبالتالى أفريقيا سنة ١٩٥٦، والتوسع الرهيب فى ١٩٦٧ حيث ضمت كل فلسطين «الضفة والقطاع وباقى القدس» والجولان وسيناء.

وكان المطلوب فى المرحلة الثانية من المخطط الشيطانى، استمرار إضعاف مصر، لأن إضعاف مصر وتفكيكها جزء لا يتجزأ من التوسع الاسرائيلى، لأن مصر القوية المتماسكة تعرقل المشروع الاسرائيلى فى التوسع من النيل إلى الفرات.

وإذا كان قد تم فى المرحلة الأولى من المخطط فصل السودان وبالتالى ضياع أكثر من ٦٥٪ من مساحة مصر، وكذلك السماح لاسرائيل بالتوسع وهو ما حدث فى ١٩٥٦ و١٩٦٧، فإن المرحلة الثانية من المخطط تقتضى إضعاف التماسك الاجتماعى لمصر وهو ما يتم عن طريق الاختراق الثقافى والسياسى والاجتماعى الأمريكى والصهيونى لمصر، وبث بذور الفتنة الطائفية، والسيطرة على الاقتصاد المصرى عن طريق تصفية الصناعات الوطنية وكذا المزروعات التقليدية المصرية وربط مصر بالسوق العالمية الخاضعة للاستعمار، وقد حدث هذا كله، فالتطبيع مع اسرائيل يكشف كل يوم عن عمليات إختراق وتجسس وإفساد للبيئة والزراعة، وعمليات تهريب المخدرات والعملات المزيفة

وغيرها من الأمور التى باتت معروفة للجميع، والشروط الأمريكية للقروض وكذا شروط صندوق النقد الدولى، وعمليات البحث الاجتماعى التى تقوم بها المؤسسات الأمريكية فى مصر تكشف كل يوم، بل وللأسف تحقق كل يوم، المزيد من التبعية الاقتصادية والقضاء على استقلال السوق المصرى وكذا بث الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط، والعمل على فصل النوبة، وغيرها من الأمور المشبوهة التى أصبحت حقائق يومية للأسف الشديد، والمطلوب أمريكياً وإسرائيلياً القضاء على تماسك مصر الاجتماعى وعدم السماح لها بتطوير أى نوع من القوة العسكرية أو الصناعية وإغراقها فى الديون والسيطرة على السوق المصرية والتحكم فى غذاء الشعب لإفقاد مصر حرية القرار السياسى، لأن من لا يملك قوته لايملك إرادته السياسية، وإغراق مصر فى الفتنة الطائفيه لإضعافها أولا والتمهيد لتفكيكها ثانيا وهو مشروع اسرائيلى معروف تحدثت عنه الكثير من المصادر البحثية ويلقى تشجيعا أمريكيا وللأسف أيضا يلقى تشجيعا من بعض الخونة من المسلمين والأقباط على حد سواء.

الحركة الاسلامية فى مواجهة التحديات

التحديات التى تواجهها أمتنا أصبحت بعد الحرب العالمية الثانية وبعد قيام اسرائيل ١٩٤٨ هى أمريكا وإسرائيل، وتطورت تلك التحديات لتأخذ أشكال مواجهة عملية تفكيك مصر اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وجغرافيا تمهيدا لقيام اسرائيل الكبرى، وكان من الطبيعى أن تواجه الحركة الاسلامية هذه التحديات، ومن ثم زيادة الكفاءة فى مواجهة هذه التحديات.

أدركت الحركة الاسلامية منذ البداية أنها أمام تحديات من نوع جديد، وعندما وَقَع عبد الناصر إتفاقية الجلاء مع الانجليز وهى الاتفاقية المشبوهة التى أدت إلى فصل السودان عن مصر وإلى الانتقاص من حقوق مصر، وهى اتفاقية أقل كثيرا من كل الاتفاقيات التى عرضت على الحكومات المصرية المختلفة قبل ١٩٥٢ ورفضتها جميعا ، حيث كانت كل المفاوضات تتحطم على صخرة السودان ، وهى العبارة التى أصبحت من كثرة تكرارها قبل ١٩٥٢ وكأنها جملة تقليدية يبدأ وينتهى بها أى تقييم لمسيرة المفاوضات مع الانجليز، لأن مسألة وحدة مصر والسودان كانت بديهية ولاتقبل المناقشة أو الطرح على بساط المفاوضات، وكان من الطبيعى – وقد قبل عبد الناصر فصل السودان عن مصر – أن تعترض الحركة الاسلامية وترفض إتفاقية الجلاء ، وكان هذا موقفا صحيحا للحركة الاسلامية فى مصر وإدراكاً واعياً لطبيعة التحديات فى المرحلة المقبلة. وكان من الطبيعى أن يحدث صدام بين حركة أسلامية هى ضمير الأمة وخميرة النهضة وطليعة الجماهير، وبين ثورة مزيفة جاءت لإجهاض جنين الثورة الحقيقية والتمهيد للنفوذ الأمريكى والتوسع الاسرائيلى، وبدلا من أن تبادر الحركة الاسلامية فتمسك بزمام المبادرة ترددت مرة أخرى وأضاعت الفرصة ثانية وقامت الثورة المزيفة بالتالى والمدعومة أمريكيا واسرائيليا بامتلاك زمام المبادرة، فوجهت أقسى أنواع الضربات والقمع تجاه الحركة الاسلامية فى١٩٥٤ ، ١٩٥٧ ، ولكن الرحم المصرى الاسلامى الخصب أفرز حركة اسلامية أو قل أنه برغم غياب الإسلاميين جميعا على أعواد المشانق أو خلف جدران السجون، خرج زرع جديد من البذور تحت التربة وهى البذور التى لايمكن إجتثاثها لأنها فى أعماق التاريخ والجغرافيا والتربة المصرية، وهكذا

تجمعت مجموعة من الشباب معظمهم تحت سن الثلاثين حول المرحوم الشهيد عبد الفتاح إسماعيل.

وتشكل منهم تنظيم ١٩٦٥[١٠٨] واتخذ هذا التنظيم من الشهيد سيد قطب مرشدا فكريا، وشاء الله أن ينكشف هذا التنظيم، ويتعرض لعملية إبادة أمنية طالت عناصر التنظيم وطالت معهم كثيرين جدا من عناصر الحركة الاسلامية عموما، رغم عدم مشاركة هؤلاء فى هذا التنظيم، ولكن ظهور هذا التنظيم جعل الاسلاميين يدركون أن رحم الأمة خصب، وأن الحركة الاسلامية تضرب بجذورها فى التربة المصرية بحيث أنه من المستحيل إجتثاثها، وجعل القوى الشيطانية تشعر بالخوف والاستفزاز لأنها ظنت أنها قضت على خميرة النهضة وطليعة الأمة فإذا بالأمة تنجب وليدا جديدا، وإذا بالخميرة تعمل رغم قسوة الظروف.

وتصاعدت فى تلك الفترة عمليات القمع والتعذيب للاسلاميين وأهلهم وكل من يمت اليهم بصلة ، ووصل الأمر إلى حد الجنون فعلاً فى المطاردة والتعذيب وإصدار الأحكام، كما تعرض الاسلام لحملة تشويه واسعة فى الصحافة والاعلام الحكومى، الأمر الذى أدى بالعديد من أبناء الحركة الاسلامية داخل السجون إلى التصرف بصورة رد الفعل التلقائى ، فبدأ الحديث عن تكفير الحاكم أو تكفير المجتمع أو أحكام الجاهلية أو العزلة الشعورية أو المفاصلة. وبصرف النظر عن التكييف الفقهى لهذه القضايا ، فإنها فى النهاية تمثل تجاوزا وإغفالاً للتحديات التى تواجهها الأمة، وانزلاقا بطليعة هذه الأمة وخميرة نهضتها إلى مفهوم الفرقة الدينية، وهو أمر يعزلها عن أمتها ويعزلها عن

مواجهة تحديات الأمة التاريخية وكان من الطبيعى أن يحدث خلاف واستقطاب حول هذه القضايا التى نرى أنها رد فعل للسجن والتعذيب والازهاق النفسى فى السجون،على أى حال نشأ فى ذلك الوقت ما يسمى بتيار القطبيين،وهذا التيار بدوره انقسم الى عدة تيارات وكفر بعضه بعضا فى النهاية(١٠٩)وهكذا فإن إغفال التحديات التى تواجهها الأمة وعدم إدراك الظرف التاريخى وعدم الأخذ فى الاعتبار أننا فى حالة هزيمة حضارية وأن المنحنى الاسلامى فى حالة هبوط، وأن المطلوب إيقاف الهبوط فى هذا المنحنى ومحاولة إحداث إنقلاب فيه، وأن الأمة كلها - وليس قطاع منها - مسئولة عن إحداث هذا الانقلاب فى المنحنى والصعود مرة أخرى، وإدراك طبيعة التحدى الامريكى والاسرائيلى وغيرها من القضايا التى لو تجاوزناها، لتجاوزنا فى الحقيقة الشرط الاول للاجتهاد، وهو دراسة الواقع، ولانزلقنا فى أخطاء تقود فى النهاية الى الانزلاق إلى العزلة والتحول إلى فرقة دينية، وفى الحقيقة فإن قيادة الاخوان قد واجهت الأمر، وأصرت على موقفها المبدئى من أنها حركة نهضة وتحرر ومواجهة التحديات، وكتب الاستاذ المرشد حسن الهضيبى بحثا تحت عنوان «دعاة لا قضاة»، اضطر فيه إلى مناقشة هؤلاء باسلوبهم وصحيح أنه أثبت عدم صحة نظرية التكفير من أساسها من الناحية الفقهية واستنادا إلى النصوص، إلا أن أسلوب البحث كرس الاستقطاب(١١٠)، حيث راح الطرف الآخر يبحث فى النصوص وبعضها يحمل تأويلات مختلفة عما يثبت صحة نظره ، وكان الأجدى والأفضل لفت نظر هؤلاء إلى أننا لسنا فرقة دينية ولا مذهبا فكريا ولسنا دعاة ولاقضاة بل حركة نهضة وتحرر وطليعة للأمة لمواجهة التحديات وبقدر الإصرار على هذا المفهوم، وبقدر العمل الدائب على مواجهة التحديات تتلاشى مثل تلك الأفكار وتنشغل

الحركة ببحث أساليب التحدى والمواجهة ودراسة الواقع ومعرفة العدو واستخدام التكتيك الملائم.

على أى حال ظهر أيضا فى ذلك الوقت تيار التكفير والهجرة على يد شكرى مصطفى (١١١) وكان شكرى مصطفى قد انحاز فى الخلاف الذى دار فى ذلك الوقت حول قضايا التكفير والجاهليةوالمفاصلة والعزلة وغيرها إلى التيار القطبى ثم بدأ يتطور بصورة مستقلة خاصة بعد تخلى العديد من القطبيين عن آرائهم ورجوعهم إلى الصفوف الفكرية للجماعة، وأخذ شكرى يقرأ فى الكتب القديمة والحديثةويصل إلى نظرية متكاملة تقوم حول رفض الاجتهاد، والأخذ بالحديث مباشرة على طريقة المذهب الظاهرى لمؤسسة ابن حزم وضرورة الهجرة ونظرية التوسمات التى تقوم على دراسة الأحاديث الخاصة بآخر الزمان، ومن خلالها تصور شكرى أنه لابد أن يهاجر هو وجماعته وأنهم وحدهم المسلمون وأن النصر سيكون حليفهم فى النهاية وسيعود شكرى بنفسه ليقود جماعته نحو النصر، وتطورت الأحداث فيما بعد إلى أن تم إعدام شكرى وهو الذى بشر جماعته بأنه لن يعدم وأنه سيقودهم إلى النصر لأنه هكذا فهم أحاديث آخر الزمان التي تنطبق عليه وعلى جماعته من خلال نظرية التوسمات، وكان إعدام شكرى هزة عنيفة لمصداقيته ولجماعته، فانشقت الى عشرات الجماعات وأصبح هؤلاء يكفرون بعضهم بعضا وظهرت أسماء مثل جماعة تكفير التكفير، والتوقف والتبين وغيرها، وعلى أى حال فكل هذه الأفكار اضمحلت أو فى طريقها إلى الاضمحلال .

★★★

كان واقع التعذيب والسجون والقسوة والوحشية والهجوم الإعلامى الضارى على الإسلام وعلى الحركة الاسلامية سببا إذن فى ظهور بعض الأفكار التى تتجه بأصحابها نحو مفهوم الفرقة الدينية ، ورغم تلمسنا العذر لأصحابها نظرا لما كانوا يعانونه ورغم أننا نؤكد إخلاص هؤلاء، إلا أن ذلك كان ضيق أفق، وتجاوزا للمهمة الصحيحة للحركة الاسلامية وهى أنها طليعة للأمة وخميرة للنهضة ومواجهة التحديات ، وبقدر الإصرار والتمسك بتلك المهمة تقل الأخطاء وتكثر الايجابيات والعكس صحيح تماما.

كان الاسلاميون إذن يعانون من المطاردة والسجون والتعذيب وكان الاسلام يتعرض لحملة قاسية من الاعلام الناصرى، ولكن رغم ذلك كانت البذور تحت التربة تعمل رغم قسوة الظروف وفى غياب شبه كامل للعناصر الاسلامية القديمة، ظهر جيل جديد من الاسلاميين بفضل مباشر من الله تعالى، وكنوع من التأكيد على أن حركة النهضة الاسلامية ليست مرتبطة بهذا الشخص أو ذاك أو هذه المجموعة أو تلك وأن الاسلام فى مصر خصب وقادر على العطاء فى كل الظروف، ظهرت إذن مجموعات كثيرة من الشباب الجامعى، تحمل الفكرة الاسلامية وراحت تلتمس طريقها بنفسها وتطورت تطورا كبيراً بحيث أصبحت تغطى كل الواقع المصرى تقريبا، وأصبح أمامنا الآن جيل جديد من الاخوان المسلمين وجيل جديد من الجهاد والجماعة الاسلامية والخلاف بينهما فى رأينا لا يعدو أن يكون خلافاً فى التكتيك السياسى والأولويات، وهذا خلاف محمود طالما ظل فى هذا الإطار وطالما تمت إدارة الخلاف بالحكمة والتمسك بآداب الحوار وآداب العمل السياسى الاسلامى وطالما كان هناك نبل المقصد واخلاص النية. وفى الواقع الاسلامى متسع

للجميع، وعلى أى حال فإن هذا الجيل قد أدرك التحديات وواجهها بالفعل ومازال حتى اليوم يحمل أعباء مواجهة هذه التحديات .

فأما حركة الجهاد الاسلامى، فترجع بداياتها الأولى الى عام ١٩٥٨ على يد نبيل البرعى ، وتطورت الى خلية تنظيمية عام ١٩٦٠ ، ونشأت فى تلك الفترة العديد من الخلايا منبثقة من الخلية الأولى أو بصورة مستقلة عنها.

ونستطيع أن نحدد عدداً من المحطات الأساسية فى تطور جماعة الجهاد منها تنظيم الفنية العسكرية عام ١٩٧٣ الذى حاول القيام بانقلاب عسكرى على السادات فى ذلك الوقت ومنها تنظيم يحيى هاشم. وفى هذا الإطار يجب أن نذكر مشاركة عناصر من تلك الجماعة بقيادة علوى محمد فى معركة الثغرة بالدفرسوار سنة ١٩٧٣ الأمر الذى أدى إلى إنخراط عدد من العسكريين فى الجماعة، وهم الذين تحولوا إلى الجناح العسكرى فيما بعد بقيادة عصام الامرى، وشهدت السبعينات العديد من القضايا الخاصة بتنظيم الجهاد وانتهى الأمر إلى رافدين هم رافد محمد عبد السلام فرج ورافد سالم الرحال اللذين شاركا فى أحداث ١٩٨١.

أما الجماعة الاسلامية فقد نشأت أساسا فى جامعات الصعيد من خلال تململ بعض كوادرها الجامعية من اسلوب الاخوان المسلمين فى النضال الذى عدوه هادئا وبطيئا، ويمكننا أن نلمس بداياتها الرسمية بدءاً من عام ١٩٧٨ ، حيث أصبح اسم الجماعة الاسلامية متميزا عن اسم الاخوان المسلمين الذين كانوا يستخدمون نفس الاسم فى بياناتهم حتى عام ١٩٧٨ ، وخاصة داخل الجامعات ، ثم بدأوا يستخدمون اسم الاخوان المسلمين مباشرة فيما بعد، وفى

هذا العام ١٩٧٨ قامت عناصر الجماعة الاسلامية بالسيطرة على اتحاد طلاب جامعة أسيوط حيث قاموا بعزل أمين الاتحاد الموالى للاخوان المسلمين «أسامة سيد» وأحلوا بدلا منه ناجح ابراهيم من الجماعة الاسلامية، وبدأ نفوذ الجماعة يصل إلى خارج الجامعة فى الصعيد وكذلك إلى جامعات القاهرة والاسكندرية والوجه البحرى عموما، وكذلك إلى العديد من المدن المصرية، وتطورت الجماعة إلى أن أصبحت تمثل تيارا كبيرا بقيادة الدكتور عمر عبد الرحمن وكرم زهدى وناجح إبراهيم، وقد شاركت تلك الجماعة فى أحداث ١٩٨١[١١٢] .

وفى الواقع فإن أفكار الجماعة الاسلامية والجهاد تمثل فى هيكلها الأساسى مشروعا للنهضة والتحرر ومواجهة التحديات، وإن كانت تحمل بعض التأثيرات والأفكار الانعزالية، إلا أن ممارسة العمل السياسى والاحتكاك والنضال خلصها من الكثير من تلك الأفكار الإنعزالية وأضافها بصورة ايجابية على مجمل حركة النهضة الاسلامية، ومازال أمامها أيضا المزيد من التطور الذى تتوقعه فى هذا الاتجاه ، وهذا لايمنع من أنها تمارس بعض الأخطاء وبها بعض العيوب، إلا أنها أخطاء فى النهاية تقع فى خانة الخطأ السياسى وليس من نوع الأخطاء المروعة التى تؤدى إلى التحول إلى فرقة دينية وتجاهل الواقع والتحديات وفى إطار مواجهة التحديات مثل التحدى الصهيونى. فإن أحد أسباب اغتيال السادات التى قامت به جماعة الجهاد والجماعة الاسلامية سنه ١٩٨١ كانت على حد قول أعضائها فى التحقيقات بسبب خضوعه للأمريكان وتوقيعه إتفاقية السلام مع اسرائيل [١١٣] .

يقول خالد الاسلامبولى فى التحقيقات « أنه قتل السادات لأن السادات لم

يطبق شرع الله وتصالح مع اليهود وقبض على علماء المسلمين».

ويقول فى رسالة تركها لأهله قبل عملية الاغتيال « إننا عقدنا العزم على قتل فرعون مصر لعل الله ينقذها من الضياع فى مصادقة الصهاينة».

وقد عبرت الجماعة الاسلامية وجماعة الجهاد دائما عن موقف ثابت من قضية فلسطين يتفق مع الموقف المبدئى الذى تتخذه الحركة الاسلامية عموما من تلك القضية وهو التأكيد على أن القضية الفلسطينية هى قضية المسلمين الأولى، وأنه لاحل هناك إلا الكفاح المسلح ورفض مسيرة السلام والخنوع وتأييد الشعب الفلسطينى فى كل المناسبات، وقد نظمت الجماعة الاسلامية فى الجامعات وفى خارجها العديد من الندوات والمظاهرات والمهرجانات ووزعت العديد من البيانات تأيداً للشعب الفلسطينى أو شجبا لممارسات اسرائيل أو رفضا لمؤتمرات السلام أو فضحاً للعلاقة بين اسرائيل والغرب وأمريكا أو انتقاداً لسكوت الحكومات العربية.

وكان موضوع القضية الفلسطينية يأتى دائما على رأس اهتمامات مجلة صوت الحق، ومجلة الخلافة وغيرها من المجلات التى توزع سرا وتنطق باسم الحركة، ففى العدد الثالث من مجلة الخلافة مثلا نجد أن الكلمة الافتتاحية تحت عنوان فلسطين المسلمة جاء فيها «إنتفض الشعب الفلسطينى المسلم فى الأرض المحتلة معبراً عما فى عقيدته من حب الجهاد فى سبيل الله بعد أن سقطت جميع الأقنعة وانكشفت الستائر وظهرت السرائر واضحة جلية من إفلاس الأنظمة العربية ونفاق منظمة التحرير الفلسطينية..» وتمضى الكلمة لتقول «إن المجاهدين الفلسطينيين مضوا فى طريقهم يجاهدون فى سبيل الله

حتى يكتب الله النصر أو الشهادة » (١١٤) .

وفى مقال آخر لنفس المجلة «إن قضية فلسطين ليست قضية شعب وأرض فقط وإنما هى قضية أمة المسلمين جميعاً» كما تتكرر فى مقالات المجلة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التى تقول «بوقوع القتال بين المسلمين واليهود قبل قيام الساعة، وكذلك الآيات القرآنية التى تتحدث عن الإفساد الاسرائيلى ومواجهة المسلمين له»(١١٥) .

فى مواجهة الاختراق الأمريكى الصهيونى

لعبت الحركة الاسلامية عموما، والاخوان المسلمون خصوصا دورا هاما فى مواجهة تحديات المرحلة التى تبلورت فى ازدياد النفوذ الأمريكى فى مصر وشروط صندوق النقد الدولى، ومحاولات الاختراق الأمريكى الصهيونى لمصر وتفكيكها وزرع الفتنة الطائفية فى ربوعها وغيرها من التحديات، ومنذ أن ظهرت الأجيال الجديدة من الاخوان المسلمين فى السبعينيات وإنتشارها وتزايدها فى الثمانينيات وسيطرتها على النقابات المهنية كالأطباء والصيادلة والمهندسين.. وغيرها فإن تلك القوى تلعب دورا هاما فى التصدى لتلك التحديات. وبداية فإن الاخوان المسلمين قد وقفوا الموقف الطبيعى والمبدئى للحركة الاسلامية تجاه الصلح مع اسرائيل، فقد رفض الاخوان المسلمون هذا الصلح، ونددت مجلة الدعوة الناطقة بلسانهم بذلك الصلح وحذرت من مخاطره ويحكى الأستاذ عمر التلمسانى فى كتابه ذكريات لا مذكرات قائلا «لقد أبينا على السادات معاهدة كامب ديفيد، منذ أن بدأت نذر شؤمها فى

الآفاق، أنكرنا عليه مبادرة القدس، ولم ينكرها عليه أحد فى مصر إذ ذاك وأنكرت عليه وثيقتى كامب ديفيد ومعاهدة السلام أنكرنا كل هذا فى جرأة وشجاعة ووضوح ورمانا كتابه السياسيون بالأمية السياسية وكراهية السلام، لقد وقفنا فى وجه التطبيع وذكرت فى إحدى إفتتاحيات مجلة الدعوة أن التطبيع شر كله ، وقدمت ما يزيد على العشرين سببا لذلك» ويضيف عمر التلمسانى «إن الاسلام يرفض أن يعترف المسلم لغير المسلم باغتصابه أرضا مسلمة ، لأنه إذا ديست أرض المسلمين وجب على كل مسلم ومسلمة أن يخرجوا للجهاد حتى المرأة بغير إذن زوجها والعبد بغير رضاء سيده ».

وفى مواجهة التحدى الأمريكى يرى الأستاذ عمر التلمسانى، أن أمريكا تمثل حرباً صليبية جديدة على الاسلام، وإذا كانت الحروب الصليبية القديمة انتهت منذ تسعة قرون فإنها بدأت الآن وبطرق غير الطرق المألوفة، وأمريكا لا هدف لها إلا القضاء على الدعوة الاسلامية الداعية إلى التحرير السياسى والفكرى والاقتصادى » (١١٦).

ويحذر الاستاذ عمر التلمسانى من محاولة احتواء الإسلام وجعله إسلاما على الطريقة الامريكية – قائلا « إن أعداء الاسلام يسعون الى احتواء الدعوات الاسلامية لتجعلها إسلاماً أمريكياً أو شيوعيا» (١١٧).

ويحدد عمر التلمسانى طبيعة الحركة الاسلامية فى أنها دعوة إيقاظ وإنهاض قائلا « ستظل دعوة الاخوان المسلمين تنفخ فى بوق الحياة حتى يتحرك كل خامل ويستيقظ كل نائم ويجد كل كسول » (١١٨).

ومن ناحية أخرى فإن النقابات المهنية التابعة للاخوان المسلمين مثل

الأطباء والصيادلة والمهندسين وغيرها قامت بمجهود كبير فى التصدى للاختراق الامريكى والاسرائيلى ، وتأييد قضايا العرب والمسلمين وخاصة القضية الفلسطينية، فقد أصدرت النقابات قراراً إلى أعضائها بالامتناع عن زيارة اسرائيل وعدم التعاون مع اسرائيل بأى شكل من أشكال التطبيع وهددت من يخرج على ذلك بالشطب من عضوية النقابة التابع لها وكان لهذا القرار أثر كبير فى تقليل حجم التطبيع وتقليل آثاره السلبية، كما اهتمت تلك النقابات بإصدار البيانات، وعقد المؤتمرات وإقامة المهرجانات التى تشرح طبيعة القضية وتكشف التحالف الامريكى الاسرائيلى وكذلك إزدواج المعايير الأمريكية والغربية، وكذلك تأييد الشعب الفلسطينى وشجب ممارسات إسرائيل ، كما قدمت تلك النقابات من خلال لجنة الإغاثة الانسانية العديد من الدعم العينى والمادى للشعب الفلسطينى.

كما قامت تلك النقابات بتنظيم الدراسات والأبحاث التى تستهدف تحرير الاقتصاد المصرى والمحافظة على السوق المصرية ودعم الصناعات الوطنية فى القطاعات المختلفة وخاصة فى قطاعات الدواء والقطاعات الهندسية المعمارية والميكانيكية، وعمدت على احلال خامات محلية وأساليب محلية فى الأعمال الهندسية للتخلص من النفوذ الأمريكى والغربى.

ونجحت نقابة المهندسين فى إنشاء تجمع هندسى يجمع المهندسين من مختلف البلاد الاسلامية، وهو اتحاد المنظمات الهندسية فى العالم الاسلامى وذلك لتبادل الخبرات والسير بالعلوم الهندسية فى اتجاه يخدم الصناعة الوطنية ويقطع خيوط التبعية للغرب وأمريكا فى تلك المجالات.

ومن ناحية ثالثة لعبت صحف التحالف الاسلامى مثل الشعب، ولواء الاسلام والمختار الاسلامى وغيرها دورا كبيرا فى فضح الآثار الخطيرة للتطبيع مع اسرائيل ونبهت إلى أن اسرائيل تستخدم هذا التطبيع فى عمليات التجسس والتخريب، وتهريب المخدرات الى مصر وكذلك نشر الايدز والانحلال الخلقى فى الشعب المصرى وكذلك ضرب إقتصاده عن طريق تهريب العملات المزورة وإفساء البيئة وتدمير المنشأت السياحية الحيوية مثل الشعب المرجانية والمحميات الطبيعية ، وكذلك ما فعلته إسرائيل بخصوص تسريب بذور مريضة للقضاء على الزراعة المصرية، واهتمت تلك الصحف أيضا بإبراز ممارسات اسرائيل القمعية والاهتمام بأخبار الانتفاضة الفلسطينية ، واثبات وتعرية المواقف الأمريكية والغربية المزدوجة تجاه القضية الفلسطينية، كما نبه التحالف الاسلامى دائما من خلال اجتماعاته وندواته وصحفه على خطورة شروط صندوق النقد الدولى والضغوط الأمريكية بشأن تصفية الصناعات الوطنية، وربط السوق المصرى بالسوق العالمى الخاضع للغرب وأمريكا ، وكذلك إفساد الزراعة المصرية بالقضاء على المحاصيل الغذائية والتقليدية كالقمح والشعير والذرة والقطن والقصب واستبدالها بالسلع الكمالية كالتفاح والكنتالوب والفراولة، وهو الأمر الذى يهدد بخضوع غذاء الشعب للتحكم الأمريكى والأجنبى ويهدد بخضوع السوق الزراعية المصرية لتعليمات السوق العالمية الخاضعة للتوجيه السياسى والاقتصادى للغرب وأمريكا وحظى يوسف والى بنصيب الأسد من هجوم صحف التحالف عليه لضلوعه وتنفيذه لتلك المؤامره من خلال عمله كوزيرا للزراعة فى مصر.

كما حذرت النقابات المهنية وصحف التحالف على حد سواء من سرقة اسرائيل المياه وخطورة قضية المياة على المستقبل، ونظمت نقابة المهندسين على

سبيل المثال ثلاث دورات بحثية حول هذه القضية معتبرة أننا بصدد ما يسمى بحرى المياه.

فى مواجهة الفتنة الطائفية

عرفنا أن تفكيك مصر اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وجغرافيا هدف أمريكى واسرائيلى ثابت، لأن مصر القوية ومهما كان موقفها من إسرائيل ستظل عقبة فى طريق إقامة اسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات وهكذا فإن مصر مستهدفة اسرائيليا وأمريكيا للإضعاف الاقتصادى والسياسى والاجتماعى، وتأتى الفتنة الطائفية كسلاح خطير يستخدمه الغرب واسرائيل فى تحقيق هذا الهدف، وكان الدكتور حامد ربيع قد نشر وثيقة أوضحت أن اسرائيل ضالعة فى إحداث فتنة طائفية فى مصر بهدف إقامة ثلاث دويلات فى مصر إحداها للمسلمين فى الوجه البحرى والآخرى للأقباط فى الصعيد والثالثة فى النوبه. وتستخدم اسرائيل وأمريكا لهذا الغرض جيشا من الجواسيس والعملاء تحت ستار البحوث المشتركة، وكذلك تستخدم عددا كبيرا من الكتاب والصحفيين والأحزاب العلمانية التى تقوم بإذكاء نيران الفتنة الطائفية عن طريق تجسيم الحوادث والنفخ فيها وإظهار الأقباط بمظهر المعتدى عليه والمضطهد، لدفعهم كأقلية بإتجاه العزلة وكذلك إخراجهم عن موقفهم التقليدى فى الحفاظ على وحدة الوطن والانتماء إلى الاسلام كحضارة ووطن وهو المبدأ الذى جسده مكرم عبيد بقوله «أننى مسلم وطناً مسيحى دينا».

ولاشك أن التصدى لأخطار الفتنة الطائفية يعد من أهم التحديات التى

تواجهها الحركة الاسلامية فى هذه المرحلة، وقد قام الاخوان المسلمون وكذا النقابات والكتاب الاسلاميون وصحف التحالف بالتصدى لهذا الخطر أولا بأول، مؤكده على العلاقة التاريخية بين المسلمين والأقباط ومؤكدة على الأصابع الأمريكية والاسرائيلية وراء تلك الأحداث الطائفية وفاضحة للمخطط العلمانى وخاصة فى حزب التجمع وصحيفة الأهالى فى إذكاء نيران الفتنة الطائفية تحت ستار الدفاع عن الأقباط، وعلى سبيل المثال نجد أن النقابات المهنية مثل المهندسين والأطباء قد نظمت اللقاءات بين مسلمين وأقباط لدرء هذا الخطر والتأكيد على الوحدة الوطنية، كما كرمت العديد من الرموز القبطية وأبرزت ذلك لإثبات أنه لا طائفية هناك فى الحركة الاسلامية، وكذلك شارك العديد من المفكرين الأقباط الشرفاء فى النشاطات الفكرية التى تنظمها تلك النقابات مثل ندوة «التحيز» التى نظمتها نقابة المهندسين بالاشتراك مع المعهد العالمى للفكر الاسلامى وشارك فيها من الرموز القبطية د. رفيق حبيب، د. نبيل مرقص، وكذلك نجد صحيفة الشعب تفسح صفحاتها للمفكرين الأقباط أمثال جمال أسعد ورفيق حبيب وغيرهما، كما قام التحالف الاسلامى بترشيح عدد من الأقباط على قوائمه فى انتخابات ١٩٨٧ مثل الأستاذ جمال أسعد وكذا على قوائمه فى انتخابات المحليات لسنة ١٩٩٢. وفى برنامج النقاط العشر للتحالف الاسلامى المنشور سنة ١٩٨٧ وكذا فى البرنامج الانتخابى لانتخابات المحليات سنة ١٩٩٢ نجد التأكيد على الوحدة الوطنية وأن الاقباط جزء لا يتجزأ من الحضارة الاسلامية وشركاء كاملون فى الوطن والحضارة والثقافة، وفى البيانات الرسمية، أو إفتتاحيات الصحف التابعة للاخوان أو فى أقوال المرشد نجد التأكيد دائما على تلك المعانى وقطع دابر الفتنة الطائفية ، ففى إفتتاحية مجلة

لواء الاسلام عدد رمضان الموافق ابريل ١٩٩٠ كتب المرشد العام للاخوان المسلمين الأستاذ حامد أبو النصر قائلا « على مدى قرون تعرضت مصر لأكثر من محنة وأكثر من فتنة ووقف أبناؤها قبط ومسلمون جميعا صفا واحدا وفى خندق واحد يواجهون الأعداء، فخلال الزحف الصليبى والزحف التترى والزحف الفرنسى والحملة الانجليزية والاحتلال البريطانى كان المسلمون والأقباط يكافحون كل ذلك ويؤكدون على دورهم الحضارى الأصيل، وأنه طوال إنشغالنا بالعمل الاسلامى من خلال الاخوان المسلمين، وجدنا جماعة الاخوان من خلال فهمها الدقيق للاسلام تجمع ولاتفرق وتؤكد على الحب والود بين الأقباط والمسلمين».

وفى تعليق لمجلة لواء الاسلام على أحداث الفتنة الطائفية أشارت إلى الأصابع الصهيونية التى تريد زرع الفتنة فى مصر وأن مسلسل الأحداث يؤكد أن مصر فى ظل التطبيع مع اليهود تتعرض لأساليب جديدة ودنيئة فى الهدم والتخريب» (١١٩).

وقد أصدر الاخوان المسلمون بيانا بمناسبة أحداث أبو قرقاص فى مارس ١٩٩٠ نددوا فيه بالفتنة الطائفية واتهموا فيه الأصابع الصهيونية بأنها الفاعل الحقيقى لها، وأهابوا بأبناء الأمة أن يعضوا بالنواجذ على وحدتهم الوطنية وأن يتحد المسلمون والأقباط فى خندق واحد فى وجه أعداء الوطن» (١٢٠).

وكتب الأستاذ عادل حسين رئيس تحرير جريدة الشعب الناطقة بلسان التحالف الاسلامى مقالا دعا فيه إلى الالتقاء بين المسلمين والأقباط على

أرضية الانتماء للحضارة الاسلامية والثقافة الاسلامية وحذر من هؤلاء الذين يريدون جر الأقباط إلى خندق التغريب والتبعية ومعاداة المشروع الحضارى للأمة» (١٢١) .

وفى نفس الاطار كتب الاستاذ صلاح عبد المتعال عضو التحالف الاسلامى مقالا فى جريدة الشعب تحت عنوان «المسلمون والأقباط شعب واحد» يدعو فيه إلى الوحدة ، ويرى أن الفتنة من صنع الاستعمار والصهيونية وأن مصر الاسلامية لم تر المنازعات الطائفية الا منذ ظهور الاستعمار (١٢٢) .

الفصل الرابع

الحركة الإسلامية في مصر والقضية الفلسطينية

الكفاح الشعبى.. ثورة مصر

سليمان خاطر .. سيد نصير

أيمن حسن

فرق كبير جدا بين الموقف الشعبى المصرى من الكيان الصهيونى وبين الموقف الحكومى أو الرسمى، ذلك أن الموقف الشعبى المصرى تحكمه العقيدة والوجدان أما الموقف الحكومى فتحكمه مجموعة من العوامل والمعادلات مختلفة تماما.

وبديهى أنه مادامت الحكومات المصرية المتعاقبة- على اختلاف توجهاتها السياسية والاجتماعية- لم تخرج من رحم الشعب المصرى بطريقة شرعية، أى لم يتم إختيارها بحرية، بل فرضت فرضا على ذلك الشعب واغتصبت السلطة بطريقة أو بأخرى، أى أنها فى النهاية لم تكن تعبيرا عن هذا الشعب ولا ممثلة له فإن علينا أن نتوقع اختلافا جزذيا فى النظرية والسلوك تجاه الكيان الصهيونى.

وسوف نتتبع فى إيجاز بعض جوانب الكفاح الشعبى المصرى ضد الكيان الصهيونى مع الأخذ فى الاعتبار أن هذا موضوع كبير وثرى ولايمكن أن يحيط به جهد باحث ولادفتى كتاب.

منهج لفهم الصراع

الصراع مع الكيان الصهيونى، صراع حضارى يمتد فى الزمان والمكان .

وهو جزء من ذلك الصراع الطويل والممتد بين الحضارة الإسلامية بما تمثله من حق وعدل وتوحيد والحضارة الغربية بما تمثله من قهر ونهب ووثنية.

ذلك أن الإسلام – باعتباره الدين الخاتم، ومنهج الله تعالى للبشر لإقامة عالم بلا ظلم ولا استكبار ولاوثنية – دخل فى صراع طويل وقاس مع مختلف المنظومات الحضارية فى العالم واستطاع أن يبسط هيمنته وظلاله الوارقة عليها وأن يحسم الصراع لصالحه فى أجزاء كثيرة من العالم فى ذلك الوقت فى آسيا حتى الهند والصين وسيبيريا وفى أفريقيا وفى أجزاء من أوروبا ذاتها.

وإذا كانت الحضارات القديمة مثل الفارسية والهندية والصينية وغيرها قد خضعت للنفوذ الحضارى الإسلامى، وأصبحت شعوب تلك البلاد جزءاً لايتجزأ من المنظومة الحضارية الإسلامية دينياً وثقافياً أو ثقافياً فقط، فإن الحضارة الغربية وحدها هى التى صمدت حتى الآن واستعصت على الخضوع. وهكذا فإن الصراع بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارة الغربية شغل مساحة واسعة جدا فى التاريخ والجغرافيا منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم ففى حياة

الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ هذا الصراع من خلال اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بإرسال الرسائل إلى هرقل الروم يدعوه فيها إلى الإسلام وكذلك في غزوة تبوك، ثم إصرار الرسول صلى الله عليه وسلم على بعث أسامة بن زيد، وحتى في مرض الموت ظل الرسول صلى الله عليه وسلم يقول من وقت لآخر أنفذوا بعث أسامة، أنفذوا بعث أسامة، وهو الأمر الذى وفى به خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضى الله عنه، واستمر الصراع أثناء حكم الخلفاء الراشدين مع الدولة البيزنطية فى الشام وشمال أفريقيا ثم فى أثناء الحكم الأموى والعباسى فى الشام وشمال افريقيا وجزر البحر الأبيض المتوسط والأندلس حتى جنوب فرنسا. ثم أخذت أوروبا المبادرة وقامت بالهجوم فى الشرق من خلال الحملات الصليبة ١٠٩٧ - ١٢٩٥ وقبل الحملات الصليبية على الشرق وفى أثنائها وبعدها استمر الصراع فى الأندلس وشمال افريقيا، وتعرضت بلاد المغرب العربى عموما والجزائر خصوصا لعشرات الحملات الصليبية قبل سقوط الأندلس وبعدها من شتى دول أوروبا «البرتغال- أسبانيا - فرنسا - انجلترا وغيرها». ومع صعود الدولة العثمانية استطاعت تلك الدولة الفتية أن تمد حدود الاسلام داخل أوروبا حتى أسوار فيينا وقضت تماماً على الدولة البيزنطية وفتحت القسطنطينية ١٤٥٣م ثم

خاضت صراعا طويلا دفاعا عن الاسلام ضد أوروبا فى الشرق والغرب، ومع ضعف وتفكك الدولة العثمانية استطاعت أوروبا أن تستعيد المبادرة مرة أخرى وأن تشن على العالم الاسلامى حملات متواصلة انتهت بسقوط معظم دول العالم الاسلامى فى قبضة الاستعمار الأوروبى. ومع تصاعد حركات الكفاح الاسلامى الشعبى ضد الاستعمار، استخدم الاستعمار الأوروبى تكتيكاً جديدا فى الصراع، ألا وهو استخدام الحلم اليهودى فى إقامة دولة اسرائيل على أرض فلسطين لتحقيق هدفين فى نفس الوقت، **الأول** هو استخدام اليهود وأموالهم وأطماعهم التاريخية فى الصراع ضد العالم الاسلامى بهدف القضاء عليه أو إضعافه على الأقل، **والثانى** هو التخلص من اليهود كنفاية بشرية غير مرغوب فيها فى أوروبا وأمريكا.

وهكذا فإن الصراع مع الكيان الصهيونى ليس الا حلقة من حلقات الصراع الطويل والمتميز بين الحضارة الاسلامية والحضارة الغربية، وهو صراع بين التوحيد والوثنية، بين الحق والباطل، بين العدل والنهب، وبديهى أنه صراع لايمكن حسمه إلا بسيادة حضارة على حضارة، وسوف تسود الحضارة الاسلامية بإذن الله، لأنها حضارة الحق، والحضارة الغربية، التى هى وثنية اغريقية فى جوهرها لم تفتأ تحاول منذ أمد طويل القضاء على الحضارة الاسلامية، وما إقامة اسرائيل الاجزء من هذا الصراع الطويل، ومادام الأمر

كذلك فإن علينا أن ندرك أن الصراع سيستمر ويتشعب بهدف إنهاء الحضارة الاسلامية وعلينا بالطبع انطلاقا من ذلك أن نعمل لحسم الصراع لصالح الاسلام وإدراك أننا لسنا فى صراع مع اليهود وحدهم بل مع الحضارة الغربية برمتها، وبالتالى فإن الحديث عن المفاوضات أو الحلول الوسط، أو استخدام المنطق ومخاطبة الضمير الغربى والأمم المتحدة أو اللعب على التناقضات الدولية والتوازنات الاقليمية وغيرها ما هو إلا ضياع للوقت وتشتيت للجهد، لأنه مادام الصراع هو حلقة من حلقات صراع طويل وممتد مع الحضارة الغربية فلا أمل فى مخاطبة الضمير الغربى- لأنه بلا ضمير أصلا - ولأنهم الأعداء الأصليون أيضا، ولا أمل بالطبع فى الأمم المتحدة لأنها صناعة غربية ولا أمل إلا فى استخدام قوانا الذاتية من أجل حسم الصراع لصالحنا.

ومادام الصراع صراعا حضاريا- يمتد فى التاريخ والجغرافيا- ويستهدف وجودنا ذاته فليس هناك إذن أى هامش للاتفاق أو المفاوضات أو الحلول الوسط، فإما نحن وإما هم، إما حضارتنا وإما حضارتهم إما سيادة التوحيد أو سيادة الوثنية.

★★★

يجب علينا أن نستعد لصراع طويل وقاسٍ وألا نقع فى وهم المفاوضات أو إمكانية الحصول على بعض حقوقنا من خلال المساومة، فليس هناك طريق إلا البندقية وليس هناك بديل للصراع.

والنبوءة القرآنية ذاتها، تؤكد هذه الحقيقة ولا تدع مجالا للشك حولها باعتبار القرآن صدقا مطلقا لأنه من عند الله تعالى.

يقول الله تعالى فى سورة الاسراء ﴿**وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا، فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا، ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها، فإذا جاء وعد الآخرةليسوأوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا، عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا**﴾.

صدق الله العظيم

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «**لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى تعالى فاقتله الا الفرقد فإنه من شجر اليهود**».

رواه الشيخان البخارى ومسلم.

نلاحظ إذن أن هناك منهجان فى مواجهة الكيان الصهيونى، **المنهج الأول** هو منهج العلماء والجماهير، وهذا المنهج يرى أن الغزوة الصهيونية ما هى إلا حلقة من حلقات الصراع التاريخى بين القوى الربانية والقوى الشيطانية -

المتمثلة هذه المرة فى الاستعمار والصهيونية- ويدرك أبناء هذا المنهج أن حضارة الأمة ووجودها هو المستهدف هذه المرة تمهيدا لتصفية الكيان الحضارى لأمتنا وتوجهاتها الربانية فى تحرير العالم وبالتالى فإن الصراع يمتد فى الزمان والمكان ليأخذ أبعاداً عميقة ودرامية عبر التاريخ كله وعبر العالم بأسره، ومن هنا فإن التناقض لايمكن حله إلا عبر المسلح طويل المدى - لإنهاء الحقبة الأستعمارية بكاملها وتدمير الكيان الصهيونى تماما وبلا أدنى فرصة فى اللقاء على أى أرضية كانت.

ويؤمن أبناء هذا المنهج، أن القضية الفلسطينية هى القضية المركزية للأمة الاسلامية، وأن العقيدة الاسلامية وحرب التحرير الشعبية طويلة المدى هى الحل لهذه القضية.

أما أصحاب **المنهج الثانى**- وهو منهج الحكومات والوجهاء والأحزاب العلمانية- فانه منهج المفاوضات والحلول الوسط، وأصحاب هذا المنهج يخافون على مصالحهم الضيقة ويبحثون عن صيغة اتفاق مع الكيان الصهيونى تحقق للطرفين مصالحهما، وهم لايجدون مبررا لمواجهة إسرائيل مواجهة شاملة ويرون إمكانية التعايش معها لأنهم إما وجهاء يخافون على مصالحهم أو علمانيون لايجدون فى عقيدتهم مبرراً للمواجهة الشاملة لأنهم افراز لنفس الشيء الذى

أفرز الكيان الصهيونى «الحضارة الغربية» وبالتالى فالتناقض بين هؤلاء وبين الكيان الصهيونى تناقض ثانوى يتسع ويضيق حسب معطيات ومعادلات الصراع فى المنطقة، وطبيعى أن هذه القوى مترددة تقاتل بشكل جزئى - إذا ما قاتلت - لتحسين ظروف التفاوض ليس إلا.

★★★

والشعب المصرى فى عمومه ينتمى الى المنهج الأول ، والحكومات المصرية المتعاقبة تنتمى إلى المنهج الثانى.

الوجدان الشعبى فى مصر

الوجدان الشعبى فى مصر وجدان إسلامى تماما، فالشعب المصرى شديد التمسك بالإسلام فى كل قطاعاته الاجتماعية والمهنية والثقافية على السواء، وأنه فيما عدا النخبة المغتربة– وهى قليلة العدد جدا لدرجة لاتكاد تذكر – فإن الإسلام يرسم كل شىء فى مصر، الحياة، الموت، الفرح، الحزن، السلوك، الانتماء، العلاقات الاجتماعية، العلاقات الاقتصادية غير الحكومية.. الخ بل نكاد نقول إن الإسلام هو المعيار الشعبى الوحيد المعمول به فى مصر، وأن الوجدان الاسلامى يرتفع كثيرا فى الأوساط الشعبية فى القرى والمدن من خلال الارتباط بالمساجد والاحتفال بالمناسبات الدينية.

والثقافة الشعبية فى مصر إسلامية تماما فى الشكل والمحتوى، فالجميع يبدأ يومه بالصلاة ولايأكل طعامه حتى يقول بسم الله الرحمن الرحيم ولا ينهيه حتى يقول الحمد لله، وكذلك عادات النظافة والمعاشرة الزوجية وكل شىء صغيرا كان أو كبيرا يستمد قيمته وشكله ومضمونه من الإسلام، بل وحتى فترات اللهو والمرح تأخذ بعدا دينيا مثل انتشار الألعاب فى المناسبات

الدينية والموالد- وحتى لو كان هناك اعتراض شرعى على مثل هذه الممارسات إلا أنها فى مضمونها الأخير تعكس مدى الارتباط بين كافة نواحى النشاط الاجتماعى بما فيها اللهو واللعب بالوجدان الاسلامى، ولأن الشعب المصرى لايفهم ولايتحرك إلا من خلال الإسلام فإن كل القوى السياسية فى مصر تحاول أن تأخذ غطاء شرعيا إسلاميا سواء كانت صادقة أم كاذبة وبديهى أن يكون فيها الصادق والكاذب - ولكن هذا الخطاب الاسلامى الذى تقول به كل القوى السياسية يدل دلالة واضحة على مدى تغلغل الوجدان الاسلامى لدى المصريين.

وإذا انتقلنا إلى الثقافة الشعبية فى مصر تجاه اليهود عموما وإسرائل خصوصا نجد أن هذا الوجدان الشعبى يرى أن اليهود هم أعدى أعداء المسلمين وأن هؤلاء اليهود قد تآمروا على الاسلام دائما بل تآمروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويرى الوجدان الشعبى أيضا أن فلسطين هى أرض الإسراء وأن المسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين وأن الدفاع عن تلك الأراضى المقدسة واجب شرعى وإسلامى، وأن ظهور اسرائيل جاء نتيجة تآمر غربى صليبى مع اليهود ضد الاسلام بهدف القضاء على الحضارة الاسلامية، وأن الصراع مع اسرائيل أمر حتمى وسيستمر إلى أن تزول اسرائيل بإذن الله ، لأن زوال اسرائيل حتمية قرآنية أكدتها نصوص القرآن والسنة- راجع هذه النصوص فى الفصل السابق- وبالتالى فإن رفض السلام مع الكيان الصهيونى يستند إلى نصوص دينية وأن الجهاد ضد اسرائيل واجب شرعى للقضاء على الإفساد الاسرائيلى وتحرير كامل الأراضى المغتصبة.

ويستمع المصريون كثيرا من خلال المساجد. وخاصة فى ذكرى الإسراء والمعراج الى الآيات التى تؤكد بركة فلسطين والقدس والمسجد الأقصى :

﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾

الإسراء آية (١)

وهذه الآية الكريمة تقول إن المسجد الأقصى وما حوله أى القدس وفلسطين أرض مباركة.

وفى سورة الأنبياء :

﴿ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين﴾

الأنبياء الآية (٧١)

وفى سورة سبأ :

﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير، سيروا فيها ليالى وأياما آمنين﴾

سبأ الآية «١٨»

وفى الحديث الشريف:

﴿ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدى هذا والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى﴾

رواه البخارى ومسلم

وفى العهدة العمرية - أى العهد الذى أعطاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند فتح القدس-« أن لايسكن ايلياء «القدس» أحد من اللصوص واليهود».

إذن ففلسطين أرض مباركة، والمسجد الأقصى هو مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقدس ممنوع على اليهود سكناها وفقا للعهدة العمرية وكل هذا يتكرر كثيرا فى الدروس الدينية الشعبية وخاصة فى ذكرى الإسراء والمعراج.

وهذا بالطبع يجعل الوجدان الشعبى المصرى فى حالة الايمان بواجب الجهاد ضد اسرائيل.

وعن أخلاق اليهود يسرى فى الوجدان الشعبى فى مصر من خلال النصوص الدينية أن اليهود قساة القلوب - يغدرون بالعهد - قتلة للأنبياء جبناء .. الخ

يقول الله تعالى :

﴿ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾

سورة النساء الآية (١٥٥).

ويقول تعالى:

﴿لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون﴾

الحشر الآية (١٤)

ثم إنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا:

﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾

المائدة الآية (٨٢)

وهم يتطاولون على الله تعالى:

﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾

المائدة الآية (٦٤)

وأنهم دائما يريدون إشعال الحروب وأنهم مفسدون فى الأرض .

﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين﴾

المائدة الآية (٦٤)

وهكذا فإن الوجدان الشعبى فى مصر مفعم بالكراهية لليهود ، مفعم بحب المسجد الأقصى والقدس وفلسطين، ويرى أن اليهود هم أشد الأمم انحطاطا فى أخلاقهم وأن الجهاد ضد إسرائيل واجب شرعى وحتمية تاريخية.

الاهتمام والتضامن منذ اللحظة الأولى وحتى عام ١٩٤٨

منذ البدايات الأولى للغزوة الصهيونية الاستعمارية - أظهر الشعب المصرى اهتماما مبكرا وكبيرا، وهذا يعبر عن حقيقتين، هما شدة اهتمامه بتلك القضية ووعيه الفذ فى نفس الوقت، بحيث أدرك مخاطرها الكبيرة قبل أن تتضح تلك المخاطر تماما.

فالجمعية الشرعية ومثلا، قامت بإرسال كمية من المنسوجات إلى فلسطين لتوزيعها على المنكوبين سنة ١٩٣٠، يقول د. حامد خطاب[١٢٣] أن تلك المنسوجات أرسلت عن طريق سكة حديد مصر- فلسطين- وتلقى مجلس إدارة

الجمعية رسالة محررة فى ١٧ رجب ١٣٤٩ هـ الموافق ٨ كانون الاول «ديسمبر» ١٩٣٠ موقعا عليها من رئيس المجلس الشرعى الاسلامى الأعلى بفلسطين وهو الشيخ محمد أمين الحسينى يشكر الجمعية على تبرعها وتضامنها مع العالم الاسلامى، ويضيف د. حامد خطاب أن الشيخ الامام مؤسس الجمعية الشرعية« الشيخ محمود خطاب السبكى» كان يشير فى خطبه ودروسه إلى خطورة الصهيونية على العالم الاسلامى وضرورة التضامن ومساعدة الشعب الفلسطينى، وأن أعضاء الجمعية الشرعية كانوا يحملون الدفاتر فى الأماكن العامة للتبرع للشعب الفلسطينى كما شاركت الجمعية فى المظاهرات الصاخبة التى شهدتها القاهرة عقب الإعلان عن قيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ مع غيرها من الجمعيات والهيئات الشعبية الاسلامية.

والاخوان المسلمون اهتموا منذ اللحظة الأولى بالقضية الفلسطينية باعتبارهم أنفسهم هيئة عالمية اسلامية تهتم بقضايا المسلمين فى كل مكان– فما بالك بأن هؤلاء هم أهل فلسطين– أرض الإسراء ومكان المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين– وفى الحقيقة فإن القضية الفلسطينية كانت القضية المحورية والأولى فى تفكير الاخوان المسلمين وحركتهم.

يقول الامام الشهيد حسن البنا « وفلسطين تحتل من نفوسنا موضعا روحيا قدسيا فوق المعنى الوطنى المجرد، إذ تهب علينا منها نسمات بيت المقدس المباركة، وبركات النبيين والصديقين ومهد السيد المسيح عليه السلام»(١٢٤) .

ويقول « ولقد فهم المسلمون الأوائل ذلك وحققوه عمليا فى خلافة عمروعلى مسلمى اليوم أن يفهموا من هذه الآية:

﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاًمن المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله﴾

وأنه يجب عليهم حماية المسجد الأقصى وحراسته حتى يظل مسجدا إلى يوم القيامة ولايعود معبدا يهوديا فى يوم ما»[١٢٥] .

وفى عام ١٩٣٨ حذر حسن البنا المصريين بقوله« أنهم سيضطرون إلى أن يدفعوا عن أنفسهم فى المستقبل غائلة الخطر اليهودى الصهيونى بعد أن ترسخ قدمه على قيد خطوات من الحدود المصرية وحينئذ لاتنفع الجهود ويصدق علينا المثل القائل «أكلت يوم أكل الثور الأبيض»[١٢٦] .

وفى اجتماع لقيادات الاخوان عام ١٩٤٥ قال البنا «ونريد أن نؤَّمن حدودنا الشرقية بحل قضية فلسطين حلا يحقق وجهة النظر العربية ويحول دون تغلب اليهود على مرافق هذه البلاد، نحن نطالب بهذا لأنه تأمين لحدودنا ١٢٧ ومصلحة مباشرة لنا»[١٢٧] .

ويقول حسن البنا «إن الاخوان المسلمين يعارضون الهجرة اليهودية إلى فلسطين لأنها تنطوى على خطر سياسى واقتصادى وحقنا أن تكون فلسطين عربية»[١٢٨] .

ويقول أيضا « إن القضية الفلسطينية أعادت الجهاد إلى الواقع مرة أخرى وقد سرت روح الجهاد من الحرم المقدس إلى المسلمين والعرب فى بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها»[١٢٩] .

وفى عام ١٩٤٦ حذر حسن البنا الحكومة المصرية من خطورة المخطط

اليهودى على سيناء وطالبها بالعمل على توطين المصريين فيها بإقامة المصانع والجامعات وتقوية شوكتها على حدود فلسطين »[١٣٠] .

ويعتقد الاخوان أن الصراع بين المسلمين واليهود صراعاً له طبيعة خاصة تفرده عن سائر الصراعات الدولية. فمن ثم هم لا يجعلون من بين ورسائل الحل ذلك الحل السلمى لأن الصراع فى حقيقته، صراع بين الاسلام واليهودية منذ قيام الدولة الاسلامية الأولى »[١٣١] .

«إن التيار الإسلامى هو الذى قاد حركة الجهاد والمواجهة ضد العدو الصهيونى ومنذ بداية ظهوره على أرض فلسطين» [١٣٢] .

يقول الأستاذ كامل الشريف «أخذ الاخوان يعقدون المؤتمرات ويبينون للشعوب حقيقة هذا الخطر الذى يهدد كيانهم ومستقبلهم حتى نجحوا فى إشراك العالم الاسلامى كله فى القضية الفلسطينية، وباتت قضية فلسطين هى قضية المسلمين والعرب لا قضية الفلسطينيين فقط. وحين قامت القلاقل فى فلسطين أخذوا يمدون المجاهدين بما يقع فى أيديهم من مال وسلاح حتى كانت ثورة ١٩٣٦ حين نجح عدد من شبابهم فى التسلل اليها والاشتراك مع الثوار فى جهادهم وخاصة فى مناطق الشمال حيث عملوا مع المجاهد العربى الكبير «الشيخ عز الدين القسام» . وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية أخذ الاخوان يعملون للقضية عملا إيجابيا فأرسلوا وفوداً من دعاتهم وشبابهم يؤلبون العرب ويستحثونهم للكفاح، ويتولى نفر منهم تدريب الشباب الفلسطينى تدريبا عسكريا ولقد نجحوا فى ذلك إلى حد بعيد حتى أصبحت شعبهم ودورهم هى مراكز لقيادة وساحات التدريب، ولايزال أهل فلسطين يذكرون للداعية

الإسلامى سعيد رمضان مواقفه الكريمة وأثره البالغ فى توجيه الشباب العربى وجهة صالحة ويذكرون بالفخار والإكبار جهود الأساتذة عبد الرحمن الساعاتى وعبد المعز عبد الستار وعبد العزيز أحمد وغيرهم من كرام الدعاة والمدربين» (١٣٣) .

ولعل مقال الكاتبة الصهيونية «روث كاريف» (١٣٤) . المنشور فى صحيفة «الصنداى ميرور» فى مطلع عام ١٩٤٨ والذى نقلته جريدة المصرى فى نفس الوقت يبين مدى الجهود التى قامت بها جماعة الاخوان المسلمين من أجل القضية الفلسطينية، تقول كاتبة المقال «إن اليهود فى فلسطين هم أعنف خصوم الاخوان المسلمين، ولذلك كان اليهود الهدف الأساسى لعدوان الاخوان، وقد قام أتباعهم بهدم أملاك اليهود ونهب أموالهم، وأنه يجب على العالم التدخل للقضاء على الاخوان المسلمين والاقامت امبراطورية فاشية اسلامية تمتد من شمال افريقيا إلى الباكستان ومن تركيا الى المحيط الهندى » .

★★★

وفى الحقيقة فإن جهود الاخوان المسلمين فى مصر من أجل القضية الفلسطينية قد شملت كل مجال تقريبا بدءا من دروس الامام الشهيد وتصريحاته ومرورا بحملات التوعية للشعب من خلال المساجد والصحف والمجلات وانتهاء بمديد العون المادى والأدبى للشعب الفلسطينى، وفى هذا الصدد فإن مفتى الإخوان الشيخ سيد سابق- وهو عضو مجلس الإرشاد- قد أفتى بتأجيل فريضة الحج وتقديم المال والنفس للجهاد فى فلسطين » (١٣٥) .

وفى تلك الحرب - أى حرب ١٩٤٨- قام الاخوان بالضغط على الحكومة المصرية لدخول الحرب من ناحية، كما قاموا بالدعوة للتطوع والتبرع وتم إنشاء معسكرات التدريب كما تم إرسال المتطوعين إلى فلسطين الذى قدموا أروع الأمثلة فى الشجاعة والفدائية وحققوا العديد من الإنجازات،

ولولا خيانة الحكام العرب لكان الوضع مختلفا.

يقول اللواء فؤاد صادق قائد القوات المصرية فى حرب ١٩٤٨ «كان الاخوان المسلمون جنودا أبطالا أدوا واجبهم كأحسن ما يكون» ويقول اللواء الموادى فى شهادته «كان الاخوان المسلمون ينزعون ألغام اليهود وينسفونهم بها فى صحراء النقب»[١٣٦].

وقد جفلت سجلات حرب فلسطين ١٩٤٨ بالكثير من بطولات وشخصيات الاخوان المسلمين مثل معركة كفار ديروم ١٤ أبريل ١٩٤٨، ومعركة صور باهر، والتبة ٨٦ وغيرها من المواقع، وكذلك الدفاع عن بيت لحم والخليل وبيت المقدس وغيرها، كما لمعت أسماء مثل أحمد عبد العزيز وعبد اللطيف أبوقوره وعبد الجواد طباله ومحمود عده وغيرهم من المقاتلين والشهداء.

كما نظمت الجماعة العديد من العمليات ضد المصالح اليهودية فى مصر وخاصة ضد ممتلكات هؤلاء اليهود الذين أبدوا التأييد والدعم لاسرائيل[١٣٧].

ففى يونيو ١٩٤٨ اشتعلت النيران فى الحى اليهودى وحينما ألقت الطائرات الاسرائيلية قنبلة على أحد أحياء القاهرة الآهلة بالسكان فى يوليو ١٩٤٨ .وقع انفجار بعده بيومين فى محلين تجاريين مملوكين لليهود «شيكوريل وأوركو» وتبع ذلك حوادث مماثلة مثل جاتينيو وبنزايون وغيرها[١٣٨].

وقد اتهمت دوائر الاخوان هؤلاء اليهود المصريين بأنهم يهربون السلاح إلى يهود فلسطين عن طريق القواعد الانجليزية فى القناة[١٣٩].

وفى الحقيقة فإن الاخوان وبسبب حماسهم الكبير وإسهامهم الهائل فى دعم القضية الفلسطينية فى ذلك الوقت قد دفعوا ثمن هذا حيث ضغطت القوى الدولية على الحكومة المصرية لحل جماعة الاخوان ، بل واعتقل المجاهدون الاخوان الذين كانوا فى فلسطين وقتها وأعيدوا إلى مصر مقيدين بالاغلال المصرية، بل وتم اغتيال الإمام الشهيد حسن البنا للسبب ذاته فى عام ١٩٤٩ [١٤٠].

الكفاح الشعبى المصرى ضد الدولة اليهودية

بعد قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ نتيجة أخطاء أو خيانات القادة العرب، لم ينقطع الكفاح الشعبى المصرى ضد الكيان الصهيونى، وأخذ هذا الكفاح أساليب ووسائل جديدة إلا أن أهدافه ظلت ثابتة.

فقد استخدمت جماعة الإخوان المسلمين قطاع غزة - الذى أصبح تابعا للإدارة المصرية عقب حرب ١٩٤٨ - مركزاً الانطلاق للعمل الفدائى ضد الكيان الصهيونى يقول الدكتور عبد الله أبو عنره « كانت هناك رابطة قوية بين جماعة الإخوان فى مصر وجماعة الإخوان فى قطاع غزه قبل سقوطه فى يد اليهود عام ١٩٦٧، وكان القطاع يضم ثمانى شعب للاخوان هى المكتب الإدارى - الرمال - الشجاعية والنصيرات والبريج ودير البلح وخان يونس ورفح. وكانت الشعب كلها تتبع المكتب الإدارى.»[١٤١] .

ويضيف الدكتور عبد الله أبو عزه« وكان القطاع يستقبل الدعاة من حين لآخر وكانت ثمة صلة قوية مع الإخوان في العريش ومما قوى هذه الصلات وزاد من أهميتها أن الاستاذ كامل الشريف كان من أبرز الشخصيات الاخوانية في العريش كما كان إحدى الشخصيات المرموقة لدى القيادة العليا للاخوان في القاهرة ، ونظرا لأنه سبق له أن قاد الإخوان المسلمين في حرب فلسطين فقد كان على صلة وثيقة بعدد من رجال القطاع.(١٤٢)» ويحكي الأستاذ أبو عزه عددا من العمليات الفدائية التي نظمها إخوان مصر بالتعاون مع إخوان قطاع غزه مثل زرع الألغام ضد وسائل النقل الاسرائيلية المدنية والعسكرية،واستمرت تلك العمليات بعد ١٩٥٢ إلا أن الحكومة المصرية حاولت محاصرتها ومنعها مما أدى إلى انفجار المظاهرات ضد الحكومة المصرية في قطاع غزه(١٤٣) .

وفي أثناء حرب ١٩٥٦ طلب عدد من الإخوان المسلمين الموجودين في السجون المصرية التطوع للقتال ضد اليهود إلا أن طلبهم رفض مع أنهم تعهدوا بالعودة إلى السجون بعد انتهاء المعركة، بل أكثر من هذا تمت عملية فصلهم في مكان واحد وإطلاق الرصاص عليهم فيما بعد في ١ - ٦ -١٩٥٧ فيما يعرف بحادث طره(١٤٤) .

ومع التقييد المستمر لحركة الشعب المصرى عن طريق الديكتاتورية والقمع في الخمسينيات والستينيات ضعف الكفاح الشعبي المصرى ضد الكيان الصهيوني مؤقتا وانتهى. الأمر بهزيمة١٩٦٧ التي لعبت الخيانة والاهمال

دورهما فى حدوثها ومع انفراج الأوضاع نسبيا بعد سنة ١٩٧١ ظهر الكفاح الشعبى المصرى ضد الكيان الصهيونى من جديد، فكان مطلب الحرب على رأس مطالب الحركة الطلابية المصرية، كما نشط علماء الدين الشرفاء من أمثال الشيخ المجاهد حافظ سلامة فى عمل قوافل التوعية الدينية لقوات الجيش والتركيز على بعد الجهاد وأهميته وفضل المجاهدين، مما كان له أكبر الأثر على الأداء الرائع للجيش المصرى سنة ١٩٧٣، وفى ذلك الوقت- أى قبل حرب ١٩٧٣- كان يوجد تنظيم مسلح يقوده فلسطينى هو الدكتور صالح سريه يعمل فى مصر ويضم العديد من طلاب المدارس والكليات العسكرية وبعض المدنيين ويهدف هذا التنظيم إلى القيام بانقلاب مسلح فى مصر. باعتبارها أحد دول المواجهة،وإقامة نظام إسلامى فيها يحقق تحرير فلسطين. وقد انكشف هذا التنظيم فيما بعد سنة ١٩٧٤فيما عرف بتنظيم الفنية العسكرية وقد تمت محاكمة أعضائه وإعدام قادتهم(١٤٥) .

وفى أثناء حرب ١٩٧٣ أظهر الشعب المصرى الكثير جدا من التضامن مع الجيش بأكثر من صورة. فتوقفت جميع أنواع الجرائم تلقائيا كما تبرع جميع الأهالى تقريبا بالمال والمؤن للجيش وكذلك التبرع بالدم لدرجة أن بنوك الدم لم يعد بها مكانا خاليا للمزيد من الدم(١٤٦) .

وعندما حدثت الثغرة - فى الدفرسوار - قررت جماعة الجهاد- وهى جماعة سرية لم يكن أحد يعرف عنها شيئا حتى ذلك الوقت - الذهاب إلى منطقة الدفرسوار وقتال اليهود باعتبار ذلك واجبا شرعيا وقد اشتركت عناصر هذه الجماعة مع أفراد الجيش فى القتال فى تلك المنطقة مما أدى فيما بعد إلى إنخراط العديد من العسكريين فى صفوف الجماعة مثل عصام القمرى

وغيره[١٤٧]

وتعد معركة السويس من أهم المشاركات الشعبية المصرية فى حرب ١٩٧٣ ، وكانت القوات الاسرائيلية قد نجحت فى الوصول إلى مشارف السويس يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ ، ولو نجحت فى دخولها لكان معنى ذلك أن حبلا قد التف حول رقبة الجيش الثالث فى سيناء وأن مسدسا قد أصبح مصوبا للقاهرة عن طريق القاهرة– السويس، إلا أن شعب السويس قرر الصمود والقتال ونجح فى منع القوات الاسرائيلية من دخول المدينة– وقد قاد تلك العملية الشيخ المجاهد حافظ سلامة وكان مسجد الشهداء بالسويس هو مركز قيادة المعركة، وقد استطاع المجاهدون من شعب السويس تحقيق الكثير من البطولات على مشارف السويس ويداخلها فى أيام ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، وبرزت أسماء شهداء مثل ابراهيم محمد سليمان وابراهيم محمد يوسف وأشرف عبد الدايم وسجلت يوميات معارك السويس معارك حى الأربعين ومعركة مسجد الشهداء التى حاول اليهود فيها السيطرة على المسجد باعتباره مقر القيادة إلا أن تلاحم شعب السويس حال دون ذلك ، وقد اضطرت اسرائيل فى النهاية إلى إلغاء العملية بعد أن وجدت أن تكاليفها باهظة.[١٤٨] .

تفاصيل بعض عمليات الكفاح المسلح

الاخوان المسلمون فى حرب فلسطين الأولى

أيقن الاخوان المسلمون فى سنة ١٩٤٧ أن المخطط الصهيونى بالتواطؤ مع الانجليز قد أصبح وشيك التحقيق لإقامة اسرائيل وهكذا كان لابد من الاعداد للجهاد والمعركة.. وبدأ الاخوان المسلمون يجمعون السلاح ويقيمون معسكرات التدريب ويدعون الشعب للتطوع والتدريب على السلاح، كما نجح عدد من عناصر الاخوان فى الدخول إلى فلسطين والمشاركة فى حرب العصابات قبل بدء معركة ١٩٤٨ . وكان نشاط الاخوان فى التسلل إلى فلسطين وتنظيم حرب العصابات ذا أثر كبير لدرجة أن اليهود كانوا يعتبرون الاخوان «مجرمى حرب» وعلى ذلك لم يكن اليهود يعاملونهم معاملة أسرى الحرب بل كانوا يقتلونهم ويشوهون أجسادهم. ويحكى الأستاذ كامل الشريف الذى كان قد تسلل إلى فلسطين أنه شاهد بنفسه اليهود يمسكون بالمجاهد الكريم «مختار منصور» من اخوان القاهرة فى إحدى المعارك التى دارت حول مدينة يافا ويقذفون به إلى

احدى مصفحاتهم ثم يطلقون عليه الرصاص(١٤٨) ولم يكن حال الانجليز تجاه المجاهدين المسلمين بأحسن من حال اليهود فقد كانت سلطات الاحتلال الانجليزية فى مصر وفلسطين على حد سواء تقوم بمطاردة المجاهدين وتمنع وصولهم إلى فلسطين أو تقبض على من وصل منهم إلى فلسطين وتحاكمه.

وما إن تم إعلان قيام الدولة اليهودية فى عام ١٩٤٨ حتى كان الاخوان يبادرون إلى ادخال أفواج من المجاهدين إلى فلسطين.

وبرغم أن حكومة النقراشى رفضت طلبا للاخوان لمرابطة مجاهديهم فى الجزء الشمالى لصحراء النقب الا أن الاخوان نجحوا بالحيلة والتسلل فى اختراق الحدود والوصول إلى فلسطين. وقد وصل الفوج الأول من المجاهدين فى فبراير سنة ١٩٤٨ وبدأ هذا الفوج القتال الفعلى مع اليهود فى صحراء النقب فأخذ يهاجم المستعمرات اليهودية بعناد وصلابة رغم ضعف عدده وعتاده.

ومن المعارك الهامة التى خاضها الاخوان المسلمون فى فلسطين معركة كفار ديروم الأولى، وهى مستعمرة صهيونية تقع على طريق المواصلات الرئيسى الذى يربط مصر بفلسطين. هاجم الاخوان تلك المستعمرة فى صباح ١٤ ابريل سنه ١٩٤٨ أجتازوا الأسلاك الشائكة وطهروا الألغاء والتحموا فى معركة قاسية مع القوات الصهيونية وأوقعوا بها العديد من الخسائر وسقط العديد من شهداء الاخوان بعد أن أبلوا بلاء حسنا، مثل الشهيد عمر عبد الرؤوف والمجاهد عبد الرحمن عبد الخالق. ونجح الاخوان من خلال سلوكهم الطيب وأخلاقهم الرفيعة وشجاعتهم الفائقة أن يكتسبوا ثقة رجال القبائل الفلسطينية وقام الاخوان

بتنظيمهم وتوجيه حركتهم وقيادتهم فى المعارك ضد اليهود. واستطاع الاخوان أيضا أن يقيموا عددا من التحصينات وأن يصمدوا للعديد من موجات الهجوم اليهودى، مثل ذلك الهجوم الذى قام به اليهود على مقربة من «خربة أبومعلق» وأن يوقعوا باليهود هزيمة فادحة ويرغموهم على التقهقر بعد تدمير عدد من المصحفات نظير شهيد واحد خسره الاخوان هو المجاهد سيد حجازى وعدد من الجرحى منهم قائد الموقع فى تلك الفترة المجاهد« محمد الفلاحجى» من اخوان الدقهلية.

ومن الشخصيات المميزة فى شباب الاخوان المجاهدين الشهيد أحمد عبد العزيز الذى كان يتمتع بجرأة غير عادية وولع شديد بالمغامرة، وقد دخل أحمد عبد العزيز غزه بقواته وهاجم المستعمرات الواقعة فيها وخاض المعارك فى خان يونس وكفار ديروم التى نجح فى اقتحامها فى النهاية وغنم المجاهدون فى تلك المعركة خمسة عشرة مصفحة ضخمة مشحونة بأحدث طراز من الأسلحة والذخائر ومواد التموين.

أما المجاهد محمود عبده فقد أنهك العدو بغاراته المتواصلة على مواصلاته ومراكزه وأخذ يبعث بالدوريات المسلحة لتجوب الصحراء وتعترض طريق القوافل وترغمهم على الفرار خلفها تاركة الكثير من الأسلحة والمعدات. ولقد حاول اليهود فى ٧ مايو توصيل بعض المؤن إلى مستعمراتهم المحصورة ، وكان الطريق الذى يسلكونه يمر فوق جسر مقام على أحد الأودية العميقة فقرر الاخوان نسف هذا الجسر لحظة مرور القافلة فوقه، وقامت بالفعل قوة من بئر السبع بقيادة المجاهد «على صديق» وثبتت الألغام تحت الجسر واختبأت داخل الشعاب

والمنحنيات القريبة ولم يطل بها الانتظار إذ تقدمت قافلة للعدو وهى جاهلة تماما ما ينتظرها فيما أن توسطت الجسر حتى انفجرت الألغام الهائلة وتطايرت أجزاء الجسر فى الهواء وانقلبت المصفحات فى الوادى السحيق، وانتهز الاخوان الفرصة فقاموا بحصد أرواح المقاتلين اليهود وأسفرت المعركة عن قتل عدد كبير من جنود الأعداء وأسر عدد آخر وغنم المجاهدون عددا من المصفحات .

وفى إطار معارك الاخوان فى فلسطين قام المجاهدون من الاخوان المسلمين بالدفاع المستميت عن مدينة بيت لحم وهى مدينة مسيحية مقدسة، وكان العدد الكبير من الاخوان الذى استشهد على أسوارها دليلا على أن الاسلام دين غير طائفى وأن الحركة الاسلامية حركة غير طائفية وأن تلك الحركة- ممثلة فى الاخوان المسلمين - ترى أن مسيحى الشرق جزء لايتجزأ من الحضارة الاسلامية فى مواجهة الحضارة الغربية.

وحول مدينة بيت لحم سجلت معارك فلسطين قيام الاخوان بعملية جريئة لاقتحام مستعمرة راماث رحيل التى دخلها الاخوان يوم ٢٦ مايو وأبادوا كل من فيها من جنود الهاجاناة وبلغ عدد القتلى اليهود فى تلك المعركة حوالى المائتين.

وتكرر الأمر نفسه فى مستعمرة تل بيوت حيث هاجمها الاخوان المسلمون بقيادة المجاهد « حسن حجازى» وتم تدميرها تماما وقد سجلت الصحف المصرية أنباء هذه المعركة وأشادت بشجاعة الاخوان المسلمين[١٤٩] .

ومع دخول الجيش المصرى إلى فلسطين قامت عناصر الاخوان بالعديد من العمليات المتميزة لخدمة هذا الجيش مثل التسلل خلف خطوط العدو أو نسف

طرق مواصلاته أو غيرها من المهمات الخاصة مثل قطع خطوط مواصلات مستعمرة « بادمرد خاى» فى ١٦ مايو ١٩٤٨.

ومع كل هذه البطولات التى أوجزنا جزءا صغيرا جدا منها - ويمكن مراجعة الباقى فى كتاب كامل الشريف، الاخوان المسلمون فى حرب فلسطين- صدر قرار بحل جماعة الاخوان، ومع ذلك استمر الاخوان داخل فلسطين يؤدون واجبهم استجابة لنداء حسن البنا الذى قال فيه «أيها الاخوان لا يهمكم ما يجرى فى مصر، فإن مهمتكم هى مقاتلة اليهود ومادام فى فلسطين يهودى واحد فإن مهمتكم لم تنته».

ومن المعارك المتميزة التى قام بها الاخوان المسلمون بعد قرار الحل «معركة التبة ٨٦» ومعركة دين «دير البلح» وغيرها من المعارك.

معركة السويس - اكتوبر ١٩٧٣

استطاع الجيش المصرى وانطلاقا من صيحة الله أكبر والاعداد العسكرى والسياسى الجيد أن يحقق نصرا عظيما وأن يعبر قناة السويس ويقيم رؤوس جسور فى الضفة الشرقية للقناة، وحاولت اسرائيل الالتفاف حول هذا النصر وتفريغه من مضمونه فقامت بعملية الثغرة فى منطقة الدفرسوار ونجحت فى الوصول إلى مشارف مدينة السويس ، واستهدفت تلك القوات احتلال مدينة السويس لاستكمال حصار الجيش الثالث فى سيناء وتهديد القاهرة فى نفس الوقت - ولوحدث هذا لاقدر الله لكان نصر رمضان قد تلاشى وأصبح غير ذى

موضوع.

كانت القوات الصهيونية قد وصلت الى مشارف مدينة السويس يوم ٢٢ اكتوبر حيث حاصرت المدينة ومنعت خروج قوافل الجرحى منها وقد أحس أهل السويس بأن مدينتهم محاصرة . فتحركوا بوعى ووجدان اسلامى إلى مسجد الشهداء وهو مسجد تابع لجمعية الهداية الاسلامية التى يرأسها الشيخ المجاهد حافظ سلامة- ويتدارك الأهالى الموقف ويبرز الشيخ حافظ سلامة كقيادة طبيعية لهم وبرغم أن الأوضاع التموينية والمعيشية والعسكرية للمدينة كانت سيئة للغاية فإن الأهالى بقيادة الشيخ حافظ سلامة قد قرروا الصمود والقتال حتى النهاية، وبادروا إلى العمل، فأمر الشيخ حافظ سلامة بوضع بعض السيارات المحترقة والقديمة فى مداخل المدينة كما قام بإعداد مجموعة من الكمائن حول مداخل المدينة.

بدأت القوات الاسرائيلية فى التحرك لدخول المدينة يوم ٢٤ اكتوبر وتصدى الكمين الأول لمجموعة من الدبابات الاسرائيلية مكونة من ثلاث عشرة دبابة ويصيب الكمين الأول دبابة وتفر باقى الدبابات ليتصدى لها كمين آخر موجود فوق مقهى أبو حجازية ويصيب منها دبابة أخرى وتفر باقى الدبابات ليتصدى لها كيمن ثالث موجود فوق عمارة رونكا مما يجعل الدبابات تفر باتجاه بور توفيق حيث وقعت فى حقل ألغام هناك.

وتحاول مجموعة أخرى من الدبابات والمصفحات دخول المدينة فيتصدى لها الكمين الأول حيث يصيب دبابة ثم توباز مما يشل حركة المجموعة فتفر باتجاه قسم شرطة الأربعين واستطاع اليهود محاصرة ضباط وجنود القسم فى

الخندق ونجحوا فى دخول القسم، ولكن أهالى السويس بقيادة المجاهد ابراهيم سليمان وأشرف عبد الدايم وابراهيم محمد يوسف عزموا أن يخوضوا معركة كبيرة داخل القسم ويطهرونه من قوات الاحتلال مما اضطر القوات الاسرائيلية إلى الانسحاب عن طريق سطح القسم بطائرات الهليوكوبتر وتركوا خلفهم ٣٣ جثة يهودية(١٥٠) . وفى يوم ٢٥ أكتوبر قدم اليهود إنذارا نهائيا للمدينة بالتسليم، وقد قبل محافظ السويس الإنذار وقرر تسليم المدينة ، إلا أن الشيخ حافظ سلامة يرفض هذا الأمر وقرر استمرار المقاومة وأصدر بيانا تاريخيا عن طريق مكبر الصوت التابع لمسجد الشهداء قال فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، نداء إلى المواطنين، بعد حمد الله تبارك وتعالى والثناء عليه ، والصلاة والسلام على رسول الله، إن اليهود قد أنذروا المدينة بالاستسلام وأن المدينة قد قررت رفض الإنذار بإذن الله تعالى ومواصلة القتال الى آخر قطرة من دمائنا، وعلى كل فرد من أفراد المقاومة أن يظل فى موقعه ويدافع عنه إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا، وما النصر إلا من عند الله» .

وإزاء هذا الموقف قررت القوات الاسرائيلية السيطرة على مسجد الشهداء باعتباره مركز قيادة المقاومة الشعبية، وتحاصر الدبابات الاسرائيلية منطقة مسجد الشهداء وعملت كردون من سبع دبابات حولها ،و ثلاث مصفحات وتستطيع مصفحة واحدة منها أن تصل إلى أول شارع الشهداء وتضرب ضربات استكشافيه فأصابت واحدة منها المسجد وأصابت بعض الضربات عددا من المنازل، بل واستطاعت دبابة أن تصل إلى منطقة المسجد بينما وقفت أخرى فى أول الشارع وثالثة فى مدخل شارع سعد زغلول، ولكن شعب السويس تدافع للدفاع عن مقر قيادته ومركز مقاومته واستطاع شعب السويس أن يدمر هذه

الدبابات وأن يجبر الباقية على الفرار.

وفى يوم ٢٦ اكتوبر وهو يوم عيد الفطر، كان هناك اتجاهين الاتجاه الأول يرى إقامة صلاة العيد على أساس أن هذا إظهار للتحدى أمام اليهود، والاتجاه الثانى هو عدم الصلاة على أساس أن صلاة العيد سنة وليست فرضا وأن المدفعية والطيران الاسرائيليين يمكنهما أن يصيبا المسجد والمصلين.

وانتصر الرأى الأول – وبدأ التكبير والتحميد وتوافدت الجماهير الى المسجد لتعلن التحدى ، وكذلك جاء أفراد الجيش الثالث لاداء الصلاة وازدحم المسجد وخارج المسجد بالمصلين، وتقم الصلاة والطائرات تحوم وتقصف والمدفعية تطلق ضرباتها دون أن يصاب المسجد أو المصلين بأى أذى لأن الله كان هو الحارس.

الله اكبر لا إله إلا الله

الله اكبر ولله الحمد

الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا

الله أكبر أعز جنده وهزم الأحزاب وحده

لا إله الا الله ، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولوكره الكافرون

وفى نفس هذا اليوم – أى يوم العيد – يشتبك المجاهدون أمام مدرسة التجارة الثانوية مع الدبابات الاسرائيلية ويصيبون بعضها ويصاب سور المدرسة ويسقط شهيد .

وعند مصنع الآزرار يشتبك كمين من المجاهدين مع الدبابات الاسرائيلية

ويصيب بعضها ويسقط شهيد آخر.

وعند وابور المياه يشتبك المجاهدون مع دبابة كانت تريد اقتحام وابور الماء واحتلاله فيدمرها المجاهدون ،وكانت الحصيلة ٦ دبابات اسرائيلية مدمرة وعشرات القتلى والجرحى اليهود.

وتستمر المدينة فى الصمود وتستعصى على القوات الصهيونية، برغم حصار الجوع والعطش، وبرغم الضرب المدفعي وقصف الطائرات المستمر.

عمليات منظمة ثورة مصر

تخلص وقائع الأحداث فى منظمة ثورة مصر إلى أن عددا من الشباب الوطنى الحريص على العبادات والشعائر الاسلامية[١٥١] ، وكان عدد منهم من العسكريين السابقين أو الحاليين مثل محمود نور الدين والعقيد محيى الدين عدلى « ضابط بالقوات المسلحة المصرية» والمقدم أحمد على والرقيب أول قوات جوية« أسامة خليل» ، والشيخ حامد ابراهيم يوسف «مساعد بالقوات المسلحة» والعميد حسن هوان، والعقيد ممدوح عدلى، ومن المدنيين أحمد عصام، نظمى شاهين، حماده شرف، اسماعيل عبد المنعم اسماعيل، الدكتور حمدى موافى، سامى فيشه، جمال عبد الحفيظ.

وقد قام هذا التنظيم بعدد من العمليات الجريئة ضد العناصر الامريكية والصهيونية فى مصر، ففى ٤ - ٦- ١٩٨٥ تم إطلاق الرصاص على زيفى كيدار مسئول الأمن بالسفارة الاسرائيلية بالقاهرة، وقد نفذ هذه العملية كل من محمود نور الدين، نظمى شاهين، حماده شرف، سامى ابراهيم.

وفى ١٩ - ٣ - ١٩٨٦ تم تنفيذ عملية المعرض كاحتجاج على المشاركة الاسرائيلية فى معرض القاهرة الدولى للكتاب وقد ترتب على هذه العملية جرح أربعة اسرائيليين، وقد نفذ هذه العملية كل من محمود نور الدين، نظمى شاهين، محيى عدلى، أحمد على، سامى ابراهيم، حمادة شرف الدين، جمال عبد الحفيظ، أحمد عصام .

وفى ٢٦ مايو سنة ١٩٨٧ تم تنفيذ عملية إطلاق الرصاص على عدد من الأمريكيين العاملين فى المخابرات الامريكية مثل جون هوكى وجون فورد ودينيس ويليافر، وقد نفذ هذه العملية كل من محمود نور الدين، نظمى شاهين، سامى فيشه، حماده شرف الدين.

سليمان خاطر - حادث رأس بركة

فى يوم ٥ أكتوبر سنة ١٩٨٥- قبيل الغروب- كان الجندى سليمان خاطر فى خدمته التى بدأت الساعة الثانية ظهرا على نقطة مرتفعة عن الأرض ١٥٠ متراً، فى مكان على هيئة صحن جلس. الجندى سليمان خاطر وتحته الخليج ، ومعه السلاح الذى كان جاهزاً ومعمراً كعادة سليمان خاطر دائما، صعدت مجموعة من اليهود أكثر من «٧» إلى المكان الذى كان يحرسه سليمان خاطر، أطلق سليمان النار على اليهود، مات ٧ وجرح اثنان، كان القتلى هم شلاح عامان - بوم أمبر - بارى دين - جوريفل أبيتا- شيلا زيلبل- أو فرى توريل- شيلاك إيلانا والجرحى هما أجوديوم، موشى يوم ونجا عدد آخر حيث فروا من المكان.

وكان السلاح المستخدم فى الحادث هو البندقية الآلية رقم ١٢٢٣٤٠٨ عيار ٦٢, ٧×٣٩ .

تمت العملية قبيل الغروب .

ملامح شخصية سليمان خاطر

سليمان محمد عبد الحميد خاطر – ٢٥ سنة– مواليد سبتمبر ١٩٦٠ من بلدة أكياد مركز فاقوس ، محافظة الشرقية ، له خمسة أشقاء هو أصغرهم، من أسرة ريفية متدينة، جند فى ٤ – ١٠ – ١٩٨٢ وانضم إلى قوات الأمن المركزى بسيناء فى ١ – ٦ – ١٩٨٣ ، حصل على الثانوية العامة العام ١٩٨٣ القسم الأدبى، التحق بكلية الحقوق جامعة الزقازيق، نحيل الجسم، نظيف الملبس فى غير تكلف، طويل الجسم وسيم(١٥٢) .

« وديع – هادىء متدين– معتز بكرامته– صريح وصامت، يؤدى جميع فرائض الصلاة فى الجامع، يصوم الاثنين والخميس أسبوعيا، يصلى إماما بالناس فى الجامع، لايعرف العلاقات المنحرفة، ودائما متوضىء وعارف ربنا» (١٥٣) .

«مسلم غيور على دينه وكرامة بلده» .(١٥٤) .

«مواظب على الصلاة وليس له مشاكل مع زملائه وليست له تصرفات مريبة أو شاذة»(١٥٥) .

«كويس ومؤدب وسلوكه عادى جدا ويصلى كما نصلى جميعا» . (١٥٦)

«إننى أؤمن بالله عز وجل ولا أخشى الإعدام، وكل ما أخشاه أن يكون الحكم علىّ سبباً فى تردد أو تخاذل الجنود لأنهم يخشون حساباً جائرا على أداء الواجب» (١٥٧) .

«طول عمرنا. نعرف أن اليهود أعداء الله والرسول وأعداء المسلمين، ولقد فرحت لأن ابنى قتل اليهود»[١٥٨] .

وقد نشرت الصحف بعض الصور لسليمان خاطر ،وقد كتب على بعض البراميل فى وحدته شعارات مثل الله اكبر ولله الحمد، الله غايتنا والرسول زعيمنا والإسلام ديننا وغيرها من الشعارات الإسلامية[١٥٩] .

هذا وقد تم اغتيال سليمان خاطر فى السجن الحربى فى ظروف مريبة وادعت الأجهزة الرسمية أنه مات منتحرا، وقد حدث تعاطف شعبى واسع مع سليمان خاطر وانفجرت العديد من المظاهرات الصاخبة فى الزقازيق والقاهرة والمنصورة وغيرها من المدن المصرية .

وقد حاولت الدوائر الإعلامية المشبوهة سحب الرصيد السياسى للحادث عن طريق ادعاء أن سليمان خاطر كان مختلا عقليا وهو الأمر الذى لم يثبت على الأطلاق.

سيد نصير - إعدام كاهانا

بينما كان الحاخام مائير كاهانا[١٦٠] . يلقى خطابا فى نحو ستين رجلا من أنصاره فى صالة المؤتمرات فى الطابق الأول من فندق هالموران هاوى بحى مانهاتن بمدينة نيويورك فى مساء يوم ٦ نوفمبر ١٩٩٠ دخل الى القاعة شاب نحيف ذو لحية تظاهر بالاستماع الى محاضرة كاهانا. قال كاهانا كلامه التقليدى الذى يقوله فى كل محاضرة «وليس أمام عرب فلسطين إلا الموت أو الطرد» ، قالها بصوت عال فيه نبرة غطرسة وغرور ، بينما قال الشاب النحيف

لنفسه بصوت لم يسمعه أحد «فلسطين إسلامية رغم أنف الصهيونية».

وعندما وقف مائير كاهانا يتلقى بعض الأسئلة من الحاضرين – اتجه نحوه الشاب النحيل «سيد نصير» فى هدوء وثبات وكان مبتسما وبادره باطلاق رصاصتين أصابت إحداهما عنق الحاخام وأصابت الثانية صدره ونقل الحاخام الى المستشفى الذى أعلن وفاته بعد خمسين دقيقة من وصوله.

خرج سيد نصير من الفندق بعد أن جرح برصاص أحد الزبائن، وبينما كان يستعد لإجبار سيارة أجرة على نقله حاول رجل شرطة– متقاعد تصادف وجوده فى المكان فى ذلك الوقت– اعتراض طريقه فتبادل معه إطلاق الرصاص وأصيب كل منهما.

انتقل السيد نصير الى المستشفى ، ووضع تحت حراسة مشددة، وعندما علم بموت كاهانا برصاصات مسدسة ابتسم فى سعادة، لقد أدى شيئا من واجبه نحو فلسطين، نحو القدس، نحو أمته الاسلامية .

ملامح الشخصية والدوافع

سيد عبد العزيز نصير – مواليد بور فؤاد عام ١٩٥٥ ، تخرج فى كلية الفنون التطبيقية بجامعة حلوان عام ١٩٧٨ ، هاجر إلى الولايات المتحدة الامريكية فى ١٤ – ٧ – ١٩٨١ ، تزوج سنة ١٩٨٣ من، فتاة أمريكية مسلمة.

يقول أحد زملائه « إنه ملاك ، لا يعرف الكذب والخداع، لم يتغير فيه شيء منذ جاء إلينا ، زوجته سيدة فاضلة، إنه إنسان فريد، لا يتكلم كثيرا، لم أر

دموعه إلا عندما وصلت إلينا أنباء مذبحة المسجد الأقصى التى دبرها الارهابيون اليهود»[١٦١] .

أما الأب عبد العزيز السيد نصير فيقول « سيد كان تقيا يعرف الله تعالى وكان محبوبا من الجيران – دائم التردد على المساجد . زوجته ترتدى الحجاب وكان مشهورا بالأدب وحسن السلوك» [١٦٢] .

ويقول شقيقه محمد نصير.« أن سيد فعل هذا دفاعا عن كل المسلمين»[١٦٣] .

وقد أثبتت التحقيقات الصحفية والحوارات الشخصية المختلفة مع سيد نصير من خلال المحامين المصريين وغيرهم أنه قام بهذا العمل انتقاما لمذبحة المسجد الأقصى التى قام بها اليهود فى شهر اكتوبر ١٩٩٠ أى قبل أقل من شهر على هذا الحادث[١٦٤] .

أيمن محمد حسن وحادث نقطة البرج

أيمن محمد حسن ، من مواليد محافظة الشرقية سنة ١٩٦٧ ، مجند بقطاع وسط سيناء للأمن المركزى ، متدين ، هادىء الطباع، يقرأ الكتب الدينية ، يحفظ القرآن الكريم ، وسيم الشكل والملامح، طويل ، قوى البنية ، بطل مصارعة سابق[١٦٥] .

يقول أيمن: إنه نفذ العملية انتقاما للمذابح التى يتعرض لها الشعب الفلسطينى على يد اليهود وخاصة مذبحة المسجد الاقصى فى أكتوبر ١٩٩٠ ، وأنه فعل ذلك لإكمال مسيرة سليمان خاطر وسيد نصير، وأن يكون واحدا من هؤلاء المجاهدين فى سبيل الله باعتبار الجهاد ذروة سنام الاسلام. ويضيف أيمن

أن فكرة الانتقام ظلت تراوده وتلح عليه إلى أن نفذها فى النهاية[١٦٦] .

ويحكى أيمن فى تحقيقات النيابة العسكرية، أنه فى يوم ٢١ - ١١ - ١٩٩٠ قرر أيمن أن ينفذ العملية وبدأ بالخطوات العملية لتحقيق ذلك، وفى يوم ٢٤ - ١١ - ١٩٩٠ أخذ أيمن يفكر ولم يقبل تناول الطعام وكان يفكر فى كيفية دخول الاراضى المحتلة، يقول أيمن « عرفت فى ذلك اليوم أننى فرد خدمة على نقطة البرج من الساعة العاشرة مساء الى الثالثة صباحا وأخذت أفكر كيف أجهز السلاح والذخيرة اللازمة لتنفيذ العملية؟ وقررت أن أعبر الحدود مع أول ضوء وأن أحصل على السلاح والذخيرة الموجودة فى غرفة الاتصال ، وانتهزت فرصة غياب فرد خدمة غرفة الاتصال وقمت بدخول الغرفة وحصلت على ١٢. خزنة من الخزنة الصالحة للبندقية الآلية التى كانت معى، وقد حصلت على تلك الخزن على دفعات وكنت أقوم بإخفائها فى إحدى الصخور فى مكان الخدمة بمنطقة البرج، وعندما اطمئننت إلى عدم اكتشاف الأمر أغلقت صندوق الذخيرة وأخذت المزيد من الطلقات حتى أصبح لدى ٢٥٠ طلقة بالإضافة إلى ٢٥ طلقة هى عهدتى علاوة على خزن زميلى عيسى راغب وكان بها ٢٥ طلقة كان قد تركها بغرفة الاتصال وكانت الذخيرة من عيار ٧,٦٢ + ٣٩.

ويضيف أيمن فى تحقيقات النيابة العسكرية.

« كنت قد أفرغت مخلتى من المهمات حتى أضع فيها الذخيرة، وسبق ذلك أثناء وجودى بغرفة الاتصالات أن قمت بفتح الشباك من الداخل ووضعت الذخيرة على أفريز الشباك ثم أغلقت الشباك من الداخل ثم خرجت من الغرفة والتففت حول العنبر وأخذت معى المخلة الخاصة بى ثم قمت بوضع الذخيرة بها وتوجهت إلى مكان الخدمة بالبرج وبدأت أثناء وجودى بالبرج

تعمير الخزن بالذخيرة، وفى حوالى الساعة الثانية صباح يوم ٢٥ - ١١ - ١٩٩٠ جاء لى الجندى عيسى وقال لى « ألن تنزل لتسلم الخدمة للجندى سعيد؟ فقلت له إتركه فهو تعبان وأنا أمسك الخدمه مكانه، وكنت قد أخفيت الخزن والذخيرة حتى لا يرتاب أحد فى أمرى، وبعد ذلك رأيت فرد خدمة الاتصال ويدعى عاطف فذهبت إليه بحجة شرب الشاى معه فلما طلب منى إيقاظ الجندى سعيد استجبت له حتى يقوم سعيد بالجلوس معه ليشغله عنى ، وعملت شاى وكاكاو وقعدنا نتكلم مع بعضنا ثم تركتهم وطلعت إلى مكان خدمتى بالبرج، واستكملت تعمير باقى الخزن ثم نزلت اليهما وصليت معهما الفجر فى جماعة ثم استأذنت منهم لتغيير ملابسى بحجة أنها مبللة وبالفعل قمت بتغيير الملابس ولبست بدلا من البدلة الصوف أفرول خفيفا وبدل البيادة كوتش وشراب ملكى حتى أصبح خفيف الحركة أثناء تنفيذ موضوع ضرب اليهود. كما لبست حزام على وسطى وقايش أيضا استعرته من أحد الزملاء وذلك حتى استخدم كل من الحزام والقايش فى ربط الخزن حول وسطى. ثم عمرت البندقية رقم ٣١ بالذخيرة وتركتها على وضعها ولم أقم بسحب الأجزاء حتى لاتحدث صوتا ثم توكلت على الله ونزلت واتجهت إلى طريق الحدود الدولية وعبرت الحدود وتوغلت مسافة ٣٠٠ متر وعبرت الطريق الأسفلتى إلى الجهة الأخرى وتخيرت كمينا صالحا للضرب عبارة عن زوايا حديدية مثبتة وعليها الواح حديدية طولها ١٥ مترا كما أخذت المكان بحيث يشرف على منحدر بالطريق يضطر معه سائقو السيارات إلى تهدئة السرعة عند العبور منه، وقد اتخذت ساترا لى حتى لا يرانى القادم من اسرائيل وأخذت الوضع راقدا، ووضعت البندقية على الأرض بين الزوايا الحديدية فى منطقة تقع بين العلامة ٨١ حـ والعلاقة ٧٩ شن ، وكانت الساعة قد تجاوزت السادسة بقليل ، وجاءت سيارة اسرائيلين نصف نقل من اتجاه العلامة ٨١ حـ متجهة إلى

العلامة ٧٩ ش أى من الجنوب إلى الشمال، وما إن اقتربت العربة منى على مسافة ٥٠ مترا حتى أطلقت عليها الرصاص إلا أن العربة استمرت فى السير. وبعد فترة بسيطة حضرت عربة جيش اسرائيلية من الاتجاه العكسى أى من الشمال الى الجنوب فأطلقت عليها الرصاص فى اتجاه سائق العربة الذى أصيب وتوقفت العربة أمامى فقمت بالالتفاف حولها وأطلقت الرصاص على السائق مرة أخرى فقتل فى الحال ثم عدت الى وضعى السابق وغيرت خزن السلاح، وجاءت على الفور سيارة أوتوبيس اسرائيلية من الجنوب إلى الشمال فأخذت الوضع راقدا ونشنت على السائق وهو قادم على مسافة حوالى ٧٠ مترا فانحرف الأتوبيس ونزل السائق من باب الركوب وانبطح أرضا فقابلته بمزيد من الرصاصات. وفى تلك الأثناء جاء أوتوبيس آخر سياحى من الجنوب إلى الشمال فأخفيت السلاح وتظاهرت بالوقوف على الطريق وعندما هدأ الأوتوبيس من سرعته أطلقت الرصاص على مقدمته ثم تبادلت الرصاص مع الكمسارى حيث أن كل الكمسارية فى اسرائيل يحملون سلاحا، وأنا كنت أعرف هذا من قبل، ثم أخذت ساترا وأخذت أتبادل إطلاق النار مع الكمسارى والسائق وأخذت أحاول الانسحاب إلى داخل الحدود المصرية لأنه من الطبيعى أن يكونوا شعروا فى إسرائيل بكل ذلك ولابد أن تتحرك وحدات اسرائيلية لمطاردتى، وبالفعل وقبل وصولى إلى الحدود المصرية وجدت دورية اسرائيلية قادمة من الشمال الى الجنوب وأطلقوا النار على إلا أننى أفلت بعون الله واتخذت طريقا ملتويا «زقزاقيا» ولم تصبنى أية طلقة وعبرت الحدود المصرية لمسافة ٣٠٠ متر ووصلت إلى وادى أسفل تبة الصفراء حتى لا أكون فى مرمى نيران الجنود الاسرائيليين وجلست تحت شجرة لأستريح وقررت الاتجاه إلى طريق الكونتيلا أو طريق عثمان حتى لايعرف اليهود أننى من ضمن أفراد نقطة البرج فيقوموا بالاعتداء عليها، وتوجهت إلى طريق عثمان فوجدت عربة نصف نقل من طراز

تويوتا تحمل جراكن وطلبت من سائقها توصيلي الى الكونتيلا، فقام بتوصيلي إلى موقع لشركة عثمان أحمد عثمان وجلست بجوار الغفير وكانت بي إصابة طفيفة نتيجة مرور إحدى الرصاصات بالقرب من جبهتي وسألني الغفير عن سبب إصابتي فقلت له تفاصيل الموضوع وأنني قتلت اليهود لأنني أكرههم وطلبت منه أن يخبر أهلي أنني أستشهدت في سبيل الله، وكتبت له عنوان اهلي بالطباشير على الحائط، لعدم وجود أوراق وأقلام وعندما جاء مهندس الموقع قلت له أن يكتب خطابات باسمي إلى أهلي وقمت بإملائه صيغة الجواب فكتبها وطلبت منه أن يسلمها الى الحاج محمد حسن ثم وقعت بنفسي على الجواب، وقد تم تحرير الخطاب بمعرفة النيابة وهذا نصه «بسم الله الرحمن الرحيم- الوالد الكريم الحاج محمد حسن - ابنكم مات شهيدا في سبيل الله - وأعرفك أنني أحترمكم جدا ولا تندموا على أيمن، لأن الندم لا ينفع بل الصبر وأنا لقيت أجلي والموت حق على كل انسان، وأكن لكم كل الحب ولاتبكوا على أيمن فقد مات شهيدا.»

وبعد ذلك - والكلام مازال لأيمن- طلبت من المهندس توصيلي إلى وحدتي ، فقام بتدبير سيارة وزاملني فيها اثنان من الأمن الخاص بالشركة، وقد أعطاني أحدهما جاكييت صوف والآخر أعطاني تلفيعة حتى لا أتأثر بالبرد، وبالفعل وصلت إلى وحدتي وسلمت نفسي لقائد المنطقة.

على أي حال، فقد أسفرت تلك العملية وحسب البيانات الاسرائيلية عن مصرع خمسة اسرائيليين بالإضافة إلى أكثر من ٢٠ جريحا اسرائيليا وتدمير ست مركبات اسرائيلية ما بين اتوبيسات سياحية أو عادية أو عربات جيب(١٦٧) .

★ ★ ★

إذن فقد كان أيمن قد أعد خطة مسبقة ونفذها بذكاء على عدة مراحل ،

فهناك القرار ثم الرصد والمتابعة ثم عمل خطة للتنفيذ ثم تنفيذ العملية، والعملية برمتها وبكل مراحلها تدل على ذكاء وكفاءة من حيث اختيار الهدف والتوقيت ومكان الكمين وقرار الانسحاب فى اللحظة المناسبة وغيرها.

على أن الجدير بالتسجيل أن زملاء أيمن وكل من قابله من المصريين قد تعاطف معه. فبعضهم ساعده فى تحرير الخطاب والبعض الآخر ساعده فى الوصول إلى كتيبته، والبعض الثالث أعطاه سننرة صوفية أو تلفيعه للوقاية من البرد.

وعلينا أن نلاحظ أن التعاطف الشعبى مع أيمن كان هو نفسه مع سليمان خاطر وسيد نصير، مما يدل على أن هذه الأعمال التى قام بها هؤلاء تعكس الوجدان الشعبى المصرى.

في مواجهة نهج التصالح
مع الكيان الصهيوني

وانطلاقا من النهج الثابت للشعب المصرى الذى يرى من خلال عقيدته ووجدانه عدم إمكانية التصالح والتعايش مع الكيان الصهيونى باعتبار أن الصراع مع الكيان الصهيونى جزء من صراع تاريخى طويل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية وأنه لايمكن للصراع أن يحسم إلا من خلال الكفاح المسلح وبالتالى فإن من الخطأ الجسيم الوقوع فى حبائل التسوية والتصالح، انطلاقا من هذا النهج استمر الشعب المصرى يرفض كل المبادرات والاتفاقيات الحكومية فى مصر باتجاه التصالح مع الكيان الصهيونى.

وكان الرئيس السادات قد استغل الأزمة الاقتصادية وسوء الأحوال المعيشية للشعب المصرى فى الدعاية للسلام باعتباره طريقا للرخاء، كما أن الشعب المصرى كان يعانى- بالفعل- من سوء معاملة العرب للمصريين العاملين فى الدول العربية، وركز الإعلام الساداتى على ذلك كثيرا لتبرير قطع الصلة بالقضية الفلسطينية والاتجاه نحو السلام مع اسرائيل، ولكن الشعب المصرى الفذ ارتفع فوق كل ذلك وتمسك بمنهجه الثابت فى رفض التصالح مع

الكيان الصهيونى، رغم تردى أوضاع المعيشة، ورغم تنكر العرب لمصر وشعبها ورغم الممارسات المقززة لبعض القادة الفلسطينيين ، وأدرك الشعب المصرى أن ممارسات البعض لاتنسحب على الكل وأنه حتى لو تنكر الفلسطينيون أو العرب للقضية فلن يتنكر الشعب المصرى لها لأن منطلقاته نحوها إسلامية ووجدانية وثابتة.

وما أن قام السادات بالذهاب إلى القدس عام ١٩٧٧ وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد سنة ١٩٧٨ حتى ظهرت المعارضة الشعبية لذلك النهج. فعلى سبيل المثال قامت جماعة الإخوان المسلمين والجماعة الاسلامية وجماعة الجهاد بإصدار العديد من البيانات المنشورة وغير المنشورة فى الصحف أو الموزعة على الجامعات والمناطق السكنية التى ترفض فيها اتفاقية كامب ديفيد وتعلن تضامنها مع الشعب الفلسطينى ، كما لعبت صحف مثل المختار الاسلامى، الاعتصام والدعوة ولواء الإسلام دورا هاما فى هذا الإطار- أى فى رفض التصالح والتطبيع والتمسك بتحرير كامل التراب الفلسطينى.

يقول المرشد العام للإخوان المسلمين «إن التفريط فى شبر أو التنازل عن شبر من أرض فلسطين خيانة، والرضا بكيان دخيل يقاسمنا أرضنا هو أفدح من الخيانة والبحث عن شعارات غير شعارات الإسلام نتحرك تحتها فى مواجهة عدو يحتل أرضنا وينتهك ويسفك دماءنا أو البحث عن مسارات أودروب كمسار المؤتمر الدولى ومنطلقه أو التسكع فى دهاليز الهيئات الدولية ننتظر الفتات بعد الفرار من المعارك والإعراض عن المواجهة وتولية الأدبار وقت الزحف، وأن الخيار العسكرى هو الخيار الصحيح»(١٦٨).

ويقول أحد بيانات الجماعة الإسلامية « ألا فليسمع الجميع - قال النبى صلى الله عليه وسلم(**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله)** (١٦٩).

وقد نشطت الحركة الطلابية التابعة للاخوان والجماعة الاسلامية فى إقامة المعارض والندوات وأسابيع التضامن مع الشعب الفلسطينى كما قامت النقابات المهنية - وهى فى معظمها تابعة للاتجاه الاسلامى بإصدار العديد من البيانات التى تندد بالتصالح وتدعو إلى التضامن مع الشعب الفلسطينى. كما أصدرت النقابات المهنية قرارا بمعاقبة أى عضو ينتمى إليها يقوم بزيارة اسرائيل أو التعامل المهنى وغير المهنى معها، كما نظمت العديد من مؤتمرات التضامن مع الانتفاضة الفلسطينية فى مقر تلك النقابات مثل مؤتمرات نقابة الأطباء والمهندسين والمحامين وغيرهم.(١٧٠)

وتعد عملية اغتيال الرئيس السادات فى حادث المنصة سنة ١٩٨١ ذات صلة مباشرة بقيام السادات بتوقيع اتفاقية كامب ديفيد، حيث قرر القائمون بهذه العملية أن أحد أسباب اغتيال السادات ترجع إلى توقيعه صلحا مع العدو التاريخى للأمة الاسلامية وهو اليهود ومحاولاته تصفية القضية الفلسطينية (١٧١).

يقول خالد الاسلامبولى فى رسالة تركها لأهله « أننا عقدنا العزم على قتل فرعون مصر لعل الله ينقذها من الضياع فى مصادقة الصهاينة » (١٧٢).

وقال خالد فى تحقيقات النيابة العسكرية «أنه قتل السادات لأنه لم يطبق

شرع الله وتصالح مع اليهود وقبض على علماء المسلمين » (١٧٣).

ولعله من الجدير بالتسجيل هنا أن حركة الجهاد الاسلامى فى فلسطين التى ظهرت فى أوائل الثمانينات كانت عناصرها القيادية فكريا وتنظيميا قد ارتبطت بحركة الجهاد فى مصر وأخذت عنها فكرها السياسى والحركى وتأثرت فكريا وتنظيميا بالعديد من المصريين، بل نكاد نقول إن الهيكل الفكرى لحركة الجهاد الفلسطينى قد صاغه مصريون أساسا وهو الأمر الذى سجلته تحقيقات القضايا ٤٦ لسنة ١٩٨١، ٢٩٥ لسنة ١٩٨٤، ٤٠١ لسنة ١٩٨٧.

وعلى صعيد الرفض المسلح والمشفوع بالدم سجل الكفاح الشعبى المصرى العديد من العمليات المتميزة مثل عمليات منظمة ثورة مصر ثم حادث رأس بركه الذى نفذه الشهيد سليمان خاطر عام ١٩٨٦ وعملية إعدام كاهانا التى نفذها المصرى سيد نصير فى نيويورك سنة ١٩٩٠، وكذلك عملية الجندى المجاهد أيمن حسن الذى تسلل عبر الحدود المصرية الاسرائيلية وعمل عدة كمائن وأطلق الرصاص وقتل وجرح أكثر من ٢٠ اسرائيليا ونفذ أيمن العملية فى ١٧ ديسمبر ١٩٩٠.

الفصل الخامس

الحركة الإسلامية وقضايا الواقع المعاصر

فى مواجهة العنف والإرهاب
برنامج الشهيد حسن البنا
برنامج التحالف ١٩٨٧
برنامج حزب العمل ١٩٩٢

الحركة الإسلامية فى مواجهة العنف والإرهاب

تعد قضايا العنف والإرهاب من أهم القضايا التى شغلت الرأى العام المصرى والعالمى فى الآونة الأخيرة، خاصة أن الظاهرة بدأت تستفحل ويمتد أثرها إلى كافة جوانب المجتمع، بل وبدأت تمس مقدراته الإقتصادية الأساسية والبنيوية، من هنا كان من الطبيعى أن تشغل هذه القضايا محور اهتمام الحركة الإسلامية خاصة أن هذه القضية أثيرت بصدد العنف المتبادل بين النظام وبعض فصائل الجماعات الإسلامية كالجهاد والجماعة الاسلامية وتنظيم طلائع الفتح والشوقيين، وبعيدا عن البحث فى المتسبب فى هذه الحوادث وأن هناك ملاحظات كثيرة تؤخذ على الطرفين (النظام والجماعات) إلا أن القضية الأساسية والجديرة بالبحث والرصد هى أن مبدأ العنف والإرهاب مبدأ مرفوض وتلفظه الحركة الإسلامية متمثلة فى طليعتها النهضوية وخميرة نهضتها وهى جماعة الاخوان المسلمين التى أبدت مواقف مضيئة ومستنيرة تحسب للحركة الاسلامية- التى هى حركة بناء وتحضر- فى مواجهة ما ابتليت به الأمة من ردة حضارية قادتها إلى جعل العنف والإرهاب وسيلة للتعامل بدلا من الحوار والعقلانية، ولكى نقف على حقيقة موقف الحركة الإسلامية، فمن الأهمية بمكان أن نعرض لأهم حوادث العنف والإرهاب التى شهدها المجتمع المصرى فى الآونة الأخيرة وبيان موقف الحركة الإسلامية منها.

يوميات العنف والإرهاب

- اغتيال الدكتور/ رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب المصرى.
(٢ اكتوبر ١٩٩٠)

- اغتيال الكاتب فرج فوده (يونيو ١٩٩٢)

- ضبط تنظيم إرهابى يعمل على ضرب السياحة فى مصر وبحوزته أسلحه ومتفجرات (١٩٩٢/١٠/٣)

– الهجوم على أتوبيس سياحى قرب مدينة ديروط يودى لمصرع سائحة بريطانية وإصابة آخرين (٩٢/١٠/٢٤)

– إطلاق النار على باخرة سياحية عند نجع حمادى دون إصابات واعتقال ٧٠ متطرفا (٩٢/١٠/٣٠)

– أربعة ملثمون يطلقون الرصاص على أتوبيس سياحى بقنا وإصابة ست سائحات وسائقين . (٩٢/١١/١٤)

– هجوم على سيارة بقنبلة مولوتوف فى إمبابة (١٩٩٣/١/١٨)

– انفجار بميدان التحرير . (٩٣/١/٢٠)

– تعرض اتوبيس سياحى المانى للهجوم عند منفلوط وضبط متفجرات ومصانع سلاح (١٩٩٣/٢/٢٠)

– انفجار مروع فى ميدان التحرير يدمر مقهى (وادى النيل) ويسفر عن مصرع سائحين وإصابة عشرين . (١٩٩٣/٣/١)

– إغتيال مقدم بأمن الدولة وطفلة بأسيوط (١٩٩٣/٣/٧)

– مواجهات دامية بين الأمن المصرى والمتطرفين شملت محافظات الجيزة والقليوبية وأسوان . (١٩٩٣/٣/٢)

– إغتيال مساعد مدير الأمن بأسيوط اللواء / محمد الشيمي ومقتل مساعده وسائقه . (١٩٩٣/٤/١٣)

– أنباء عن بداية وساطة بين الحكومة والمتطرفين على يد علماء ومفكرين إسلاميين مستقلين (جماعة الاصلاح) .
(١٩٩٣/٤/١٤)

– تعيين اللواء / حسن الالفي وزيرا للداخلية خلفا للواء / عبد الحليم موسى. (١٩٩٣/٤/٢٠)

– محاولة اغتيال وزير الاعلام السيد صفوت الشريف، تسفر عن إصابة طفيفة بيده وجروح خطيرة لسائقه وحارسه. (١٩٩٣/٤/٢١)

– أحكام عسكرية بالاعدام ضد ٧ متطرفين وسجن ٢٥ فى قضية ضرب

السياحة المصرية. (١٩٩٣/٤/٢٢)

– المحكمة الادارية العليا تؤكد حق رئيس الجمهورية في إحالة جرائم الارهاب للقضاء العسكرى. (١٩٩٣/٥/٢٣)

– الحكم باعدام ٦ والأشغال الشاقة لـ ٣ وبراءة اثنين فى قضية محاولة اغتيال وزير الاعلام. (١٩٩٣/٥/٢٧)

– محاولة اغتيال وزير الداخلية اللواء / حسن الالفى أمام مقر وزارة الداخلية . (١٩٩٣/٨/١٨)

– مقتل عميد شرطة فى أسوان. (٩٣/٩/١٨)

– المحكمة العسكرية تقضى بإعدام ٣ متطرفين فى تنظيم طلائع الفتح. (١٩٩٣/١٠/١٤)

– محاولة اغتيال رئيس الوزراء الدكتور عاطف صدقى . (١٩٩٣/١١/٢٥).

★★★

بعد رصد هذا الكم الهائل من الحوادث ورغم منهج الانتقائية في الرصد – ماذا عن موقف الحركة الإسلامية إزائها؟ الواقع يشهد أن الحركة الإسلامية فى مصر متمثلة فى جماعة الاخوان المسلمين قد لعبت دورا بارزا فى مواجهة أحداث العنف والتطرف ليس فقط فى الآونة الأخيرة وإنما منذ بدأت صيحات التكفير تنطلق داخل السجون والمعتقلات، وهو الأمر الذى جسده كتاب المرشد العام الأستاذ حسن الهضيبى (دعاة لاقضاة) الذى يعد وثيقة تاريخية اسلامية تحسب فى ميزان الحركة الاسلامية.

كما أن الجماعة لم تفتأ فى الدعوة إلى الحوار ونبذ العنف والإرهاب وفتح القنوات الشرعية مع النظام وذلك عبر البيانات المختلفة التى أصدرتها أو من خلال اللقاءات والمؤتمرات والأحاديث الصحفية التى شارك فيها رموزها.

وفى هذا الصدد نتخير ثلاثة بيانات أصدرتها الجماعة عبر فترات مختلفة تبرز فيها موقفها – كحركة اسلامية مستنيرة– من بعض القضايا التى تتعلق بالعنف والإرهاب.

بيان من الإخوان المسلمين بخصوص حوادث العنف والإرهاب [فى ١٥ ديسمبر ١٩٩٣]

أننا لا نقر العنف أيا كان مصدره وأيا كانت صورته، كما لا نقبل بل ونستنكر الإرهاب بجميع أشكاله، وأن الأجنبى الذى يأتى لبلادنا– سائحا كان

أو غير سائح– هو مستأمن لا يجوز المساس بأمنه وطمأنينته وأن ما حدث من عدوان على بعض السائحين وإرهاب لهم ..بغى لا يقبل شرعا ولا عقلا ولا إنسانية.

ومن ثم أصدرنا هذا البيان المنهج الصادق لنا والعقيدة التى لا نحيد عنها أبدا، والمسلك الذى إلتزمنا به بدقة، وأثبتت كل التحقيقات التى أجريت فى القضايا التى حدثت فى الأشهر الأخيرة بل وعلى مدى عشرين سنة مضت دقة التزامنا به.

إن العنف والإرهاب خروج عن الشرعية وعن الفهم الإسلامي الصحيح، ولا يؤديان إلا إلي اشتداد التوتر والعصف بإستقرار الأمة وأمنها ولدخولها فى دوامات من الاضطرابات والبلبلة لاتكسب من ورائها شيئا، بل تعوق حركة تطورها إلى الأفضل كما تعوق مسيرة الدعوة الإسلامية.

إن دعوتنا مستمرة بإذن الله، ملتزمين فيها بقول الحق تبارك وتعالى:

«ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن».

وفى هذا الفلاح والنجاح بعون الله، وهو سبحانه يقول الحق ويهدى إلى سواء السبيل.

المرشد العام للإخوان المسلمين

بيان من الإخوان المسلمين بخصوص التفجيرات المتتالية للعبوات والقنابل فى مصر [فى ١٤/٦/١٩٩٣]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه وبعد

فإن الإخوان المسلمين الذين أكدوا ويؤكدون على الأمن والأمان للوطن ولكل مواطن، واستنكروا ويستنكرون العنف أيا كان شكله وأيا كان مصدره، وعاهدوا ويعاهدون الله على العمل الدؤوب لصالح هذا البلد وأمنه واستقراره ووحدة صفوفه .. ليستنكرون الجريمة البشعة التى وقعت فى شارع شبرا– بتفجير قنبلة موقوتة وسط الجماهير الآمنة فأودت بحياة الأبرياء، وأصابت الأبرياء، دون ذنب أو جريرة.

والإخوان المسلمون وقد هزهم الحادث المروع ليطالبون الحكومة بسرعة الكشف عن مرتكبيه، وسرعة الوصول إلى الجهة التى تعددت تفجيراتها المشابهة

وسط الآمنين الأبرياء.. ويناشدون شعب مصر الأبى أن يقف صفا واحدا فى وجه شتي أشكال ومصادر العنف.. مواصلا السعى والعمل من أجل إحلال الأمن والأمان والحرية والاستقرار لتشمل أجواؤها كل ربوع هذا البلد الطيب.

نسأل الله أن يحفظ مصر وشعبها ويجعلها وسائر بلاد العرب والمسلمين..

الآمنة المطمئنة، العزيزة القوية .

الاخوان المسلمون

بيان من الإخوان المسلمين حول محاولة اغتيال الدكتور عاطف صدقي رئيس مجلس الوزراء المصري [في ١٩٩٣/١١/٢٦]

الحمد الله والصلاة والسلام علي رسوله ومن والاه.. وبعد فإن الإخوان المسلمين تلقوا بكل أسف نبأ محاولة اغتيال الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء، وذلك بواسطة قنبلة تم تفجيرها بميدان عام ، وأودت بحياة أشخاص آخرين ، وإصابة العديد من الناس من بينهم صبية وأطفال، كما أدت إلى ترويع الآمنين، خاصة وقد وقع الحادث إلى جوار مدرستين تكتظان بالتلاميذ الصغار.

وهذا عمل إجرامى لا يمكن أن يجيزه شرع أو قانون أو عقل أو حتى مجرد الشعور بالإنسانية.

ونحن نؤكد ما سبق تقريره فى مرات سابقة من أننا نرفض هذا الإجرام.. ونديته بكل شدة.. وندعو كل الأمة للتكاتف والوقوف صفا واحدا فى مواجهته.

محمد حامد أبو النصر

المرشد العام للإخوان المسلمين

البرنامج الإسلامى

من الشبهات الغريبة المثارة حول الإسلاميين أنهم يكتفون بكلمة مثل (**الاسلام هو الحل**) أو (**بالقرآن دستورنا**) وأنهم لايقدمون البرنامج السياسى والاجتماعى والاقتصادى لحركتهم، وهذه الشبهة من كثرة ترددادها والإصرار عليها أصبحت فى حكم المسلمات التى يبدأ بها الكتاب العلمانيون كتبهم ومقالاتهم وينتهون بها أيضا، وكلما جاء ذكر الإسلاميين ذكرت عبارة أين البرنامج. وفى الحقيقة والواقع فاننى لم أجد كذبة كبرى أكبر من هذه الكذبة فى الإصرار عليها والتمسك بها رغم وجود عشرات البرامج التى قدمها الاسلاميون على مدى نضالهم الطويل.

وعلى سبيل المثال لا الحصر قدم الامام الشهيد حسن البنا برنامجا متكاملاً لحركة الاخوان فى الثلاثينات تحت عنوان« مشكلاتنا فى ضوء النظام الاسلامى » كما قدم برنامجا عملياً فى نقاط محددة تحت عنوان« بعض خطوات الاصلاح العملى فى الناحية السياسية والادارية والقضائية، الناحية الاجتماعية والعلمية، الاقتصادية».

وقدمت جماعة الاخوان سنة ١٩٥٢ برنامجها السياسى والاقتصادى والاجتماعي، وقد نشره الأستاذ محمود عبد الحليم فى الجزء الثالث من كتابه (الاخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ في الصفحات من ١١٨ -)١٢٥
وفى انتخابات ١٩٨٧ قدم التحالف الاسلامى برنامجا باسم برنامج النقاط العشر
وفى إنتخابات المحليات ١٩٩٢ قدم التحالف الاسلامى برنامجا انتخابياً بهذه المناسبة تحت عنوان برنامج مرشحى حزب العمل والتحالف الاسلامى فى القوائم والدوائر الفردية للانتخابات المحلية جمادى الأولى ١٤١٣ هـ نوفمبر ١٩٩٢.

برنامج الإمام الشهيد حسن البنا
وما جاء في مذكرات الدعوة والداعية

بعض خطوات الإصلاح العملي

يا صاحب..

بعدما أوضحنا ما يجب أن يسود الأمة فى نهضتنا الجديدة من شعور روحى، نحب أن نعرض ختاما لبعض المظاهر والآثار العملية التى يجب أن يمليها هذا الشعور، وسنذكر هنا رؤوس موضوعات فقط ونحن نعلم تمام العلم أن كل مطلب من هذه المطالب يحتاج إلى بحث فسيح واسع دقيق تتوافر فيه جهود الاخصائيين وكفايتهم، كما أننا نعلم أننا لم نستقص بعد كل حاجيات الأمة ومطالبها ومظاهر النهضة جميعا، ولسنا نعتقد أن تحقيق هذه المطالب من الهنات الهينات بحيث يتم فى عشية أو ضحاها، كما أننانعلم أن كثيرا منها أمامه من العقبات المتشعبة ما يحتاج إلى طول الأناة وعظيم الحكمة وماضى العزيمة، كل ذلك نعلمه ونقدره، ونعلم إلى جانبه أنه إذا صدق العزم وضح

السبيل، وأن الامة القوية الإرادة إذا اخذت فى سبيل الخير فهى لابد واصلة إلى ما تريد إن شاء الله تعالى، فلتتوجهوا والله معكم. أما رؤوس مناحى الإصلاح المرتكز على الروح الإسلامى الصحيح فهى:

أولاً : فى الناحية السياسية والقضائية والإدارية:

١- القضاء على الحزبية وتوجيه قوى الأمة السياسية فى وجهة واحدة وصف واحد.

٢- إصلاح القانون حتى يتفق مع التشريع الاسلامى فى كل فروعه.

٣- تقوية الجيش والإكثار من فرق الشباب وإلهاب حماستها على أسس من الجهاد الاسلامى.

٤- تقوية الروابط بين الأقطار الاسلامية جميعاً، وبخاصة العربية منها تمهيدا للتفكير الجدى العملى فى شأن الخلافة الضائعة.

٥- بث الروح الاسلامى فى دواوين الحكومة بحيث يشعر الموظفون جميعا بأنهم مطالبون بتعاليم الاسلام.

٦- مراقبة سلوك الموظفين الشخصى وعدم الفصل بين الناحية الشخصية والناحية العملية.

٧- تقديم مواعيد العمل فى الدواوين صيفا وشتاء حتى يعين ذلك على الفرائض ويقضى على السهر الكثير.

٨- القضاء على الرشوة والمحسوبية والاعتماد على الكفاية والمسوغات القانونية

فقط.

٩- أن توزن كل أعمال الحكومة بميزان الأحكام والتعاليم الإسلامية، فتكون نظم الحفلات والدعوات والاجتماعات الرسمية والسجون والمستشفيات بحيث لا تصطدم بتعاليم الإسلام، وتكون الدوريات فى الأعمال على تقسيم لا يتضارب مع أوقات الصلاة.

١٠- استخدام الأزهريين فى الوظائف العسكرية والإدارية وتدريبهم.

ثانيا : فى الناحية الاجتماعية والعلمية:

١- تعويد الشعب احترام الآداب العامة، ووضع إرشادات معززة بحماية القانون فى ذلك الشأن، وتشديد العقوبات على الجرائم الأدبية.

٢- علاج قضية المرأة علاجا يجمع بين الرقى بها والمحافظة عليها وفق تعاليم الاسلام، حتى لا تترك هذه القضية التى هى أهم قضايا الاجتماع تحت رحمة الأقلام المغرضة والآراء الشاذة من المفرطين والمفَرِّطين.

٣- القضاء على البغاء بنوعيه السرى والعلنى. واعتبار الزنا مهما كانت ظروفه جريمة منكرة يجلد فاعلها.

٤- القضاء على القمار بكل أنواعه من ألعاب ويانصيب ومسابقات وأندية.

٥- محاربة الخمر كما تحارب المخدرات، وتحريمها وتخليص الأمة من شرورها.

٦- مقاومة التبرج والخلاعة وارشاد السيدات الى ما يجب أن يكون، والتشديد فى ذلك بخاصة على المدرسات والتلميذات والطبيبات والطالبات ومن

فى حكمهن.

٧- إعادة النظر فى مناهج تعليم البنات ووجوب التفريق بينها وبين مناهج تعليم الصبيان فى كثير من مراحل التعليم.

٨- منع الاختلاط بين الطلبة والطالبات، واعتبار خلوة أى رجل بامرأة لا تحل له جريمة يؤاخذان بها.

٩- تشجيع الزواج والنسل بكل الوسائل المؤدية الى ذلك، ووضع تشريع يحمى الاسرة ويحض عليها ويحل مشكلة الزواج.

١٠- إغلاق الصالات والمراقص الخليعة وتحريم الرقص وما الى ذلك.

١١- مراقبة دور التمثيل وأفلام السينما والتشديد فى اختيار الروايات والأشرطة.

١٢- تهذيب الاغانى واختيارها ومراقبتها والتشديد فى ذلك.

١٣- حسن اختيار ما يذاع على الأمة من المحاضرات والاغانى والموضوعات واستخدام محطة الإذاعة فى تربية وطنية خلقية فاضلة.

١٤- مصادرة الروايات المثيرة والكتب المشككة المفسدة والصحف التى تعمل على إشاعة الفجور وتستغل الشهوات استغلالا فاحشا.

١٥- تنظيم المصايف تنظيما يقضى على الفوضى والإباحية التى تذهب بالغرض الأساسى من الاصطياف.

١٦- تحديد مواعيد افتتاح وإغلاق المقاهى العامة، ومراقبة ما يشتغل به روادها، وإرشادهم الى ما ينفعهم وعدم السماح لها بهذا الوقت الطويل كله.

١٧- استخدام هذه المقاهى فى تعليم الأميين القراءة والكتابة، ويساعد على ذلك هذا الشباب المتوثب من رجال التعليم الإلزامى والطلبة.

١٨- مقاومة العادات الضارة اقتصاديا أو خلقيا أو غير ذلك، وتحويل تيار الجماهير عنها الى غيرها من العادات النافعة، أو تهذيب نفسها تهذيبا يتفق مع المصلحة وذلك كعادات الأفراح والمآتم والموالد والزار والمواسم والأعياد وما إليها، وتكون الحكومة قدوة صالحة فى ذلك.

١٩- اعتبار دعوة الحسبة، ومؤاخذة من يثبت على مخالفة شيء من تعاليم الاسلام أو الاعتداء عليه كالإفطار فى رمضان وترك الصلاة عمداً أو سب الدين وأمثال هذه الشؤون.

٢٠- ضم المدارس الإلزامية فى القرى إلى المساجد، وشمولهما معاً بالإصلاح التام من حيث الموظفين والنظافة وتمام الرعاية، حتى يتدرب الصغار على الصلاة ويتدرب الكبار على العلم.

٢١- تقرير التعليم الدينى مادة أساسية فى كل المدارس على اختلاف أنواعها كل بحسبه وفى الجامعة أيضاً.

٢٢- تشجيع تحفيظ القرآن فى المكاتب العامة الحرة، وجعل حفظه شرطاً فى نيل الإجازات العلمية التى تتصل بالناحية الدينية واللغوية، مع تقرير حفظ بعضه فى كل مدرسة.

٢٣- وضع سياسة ثابتة للتعليم، تنهض به وترفع مستواه، وتوحد أنواعه المتحدة الأغراض والمقاصد، وتقرب بين الثقافات المختلفة فى الأمة، وتجعل المرحلة

الاولى من مراحله خاصة بتربية الروح الوطنى الفاضل والخلق القويم.

٢٤- العناية باللغة العربية فى كل مراحل التعليم، وإفرادها فى المراحل الاولى عن غيرها من اللغات الأجنبية.

٢٥- العناية بالتاريخ الاسلامى والتاريخ الوطنى والتربية الوطنية وتاريخ حضارة الاسلام.

٢٦- التفكير فى الوسائل المناسبة لتوحيد الأزياء فى الأمة تدريجيا.

٢٧- القضاء على الروح الأجنبية فى البيوت من حيث اللغة والعادات والأزياء والمربيات والممرضات الخ، وتصحيح ذلك كله وبخاصة فى بيوت الطبقات الراقية.

٢٨- توجيه الصحافة توجيها صالحا وتشجيع المؤلفين والكاتبين على طرق الموضوعات الاسلامية الشرقية.

٢٩- العناية بشؤون الصحة العامة من نشر الدعاية الصحية بمختلف الطرق والإكثار من المستشفيات والأطباء والعيادات المتنقلة وتسهيل سبل العلاج.

٣٠ - العناية بشأن القرية من حيث نظامها ونظافتها وتنقية مياهها ووسائل الثقافة والراحة والتهذيب فيها.

ثالثا: فى الناحية الاقتصادية:

١- تنظيم الزكاة دخلا ومنصرفا بحسب تعاليم الشريعة السمحة، والاستعانة بها فى المشروعات الخيرية التى لابد منها كملاجىء العجزة والفقراء واليتامى وتقوية الجيش.

٢- تحريم الربا وتنظيم المصارف تنظيما يؤدى الى هذه الغاية، وتكون الحكومة قدوة فى ذلك بإلغاء الفوائد فى مشروعاتها الخاصة بها كبنك التسليف والسلف الصناعية وغيرها.

٣- تشجيع المشروعات الاقتصادية والإكثار منها، وتشغيل العاطلين من المواطنين فيها واستخلاص ما فى أيدى الأجانب منها للناحية الوطنية البحتة.

٤- حماية الجمهور من عسف الشركات المحتكرة وإلزامها حدودها والحصول على كل منفعة ممكنة للجمهور.

٥- تحسين حال الموظفين الصغار برفع مرتباتهم واستبقاء علاواتهم ومكافآتهم وتقليل مرتبات الموظفين الكبار.

٦- حصر الوظائف وخصوصا الكثيرة منها، والاقتصار على الضرورى، وتوزيع العمل على الموظفين توزيعا عادلا والتدقيق فى ذلك.

٧- تشجيع الإرشاد الزراعى والصناعى، والاهتمام بترقية الفلاح والصانع من الناحية الإنتاجية.

٨- العناية بشئون العمال الفنية والاجتماعية، ورفع مستواهم فى مختلف النواحى الحيوية.

٩- استغلال الموارد الطبيعية كالأرض البور والمناجم المهملة وغيرها.

١٠- تقديم المشروعات الضرورية على الكماليات فى الإنشاء والتنفيذ.

★★★

وبعد فهذه رسالة الاخوان المسلمين ، نتقدم بها، وإنا لنضع أنفسنا ومواهبنا

وكل ما نملك تحت تصرف أية هيئة أو حكومة تريد أن تخطو بأمة إسلامية نحو الرقى والتقدم.

نجيب النداء ونكون الفداء، ونرجو أن نكون قد أدينا بذلك أمانتنا وقلنا كلمتنا والدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وحسبنا الله، وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى..

حسن البنا

برنامج التحالف عام ١٩٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

البرنامج الانتخابى على قائمة حزب العمل
﴿وبالنجم هم يهتدون﴾
من الإيمان والأخلاق والفضائل.. سيبدأ حل المشكلة الاقتصادية

برنامجنا فى سطور

فى الحريات

نطلب إلغاء حالة الطوارىء والقوانين المقيدة للحريات وضمان نزاهة الإنتخابات

الشريعة

نظام متكامل للحكم ولكل نشاط اجتماعى

الأقباط مواطنون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين

إشاعة الفضيلة

لابد أن تكون القيادات قدوة فى طاعة الله

ولابد من إغلاق منافذ الكسب الحرام وعقاب صارم للمنحرفين

حلول شاملة وأصيلة لمشاكل الاسكان والعلاج والتعليم.

أجهزة الإعلام

نطلب إلتزامها بالصدق

ونطلب فتحها أمام كل الآراء

الثقافة

لابد من تجديد فكرى وفنى يرد الأمة إلى أصولها الثقافية العربية والإسلامية

عدم الإنحياز ضرورة للنهضة الإسلامية والصهيونية عدونا المباشر

نرفض العلاقات الخاصة مع أمريكا سياسيا وعسكريا واقتصاديا .

الأمن المصرى يتطلب تكاملا عربيا وتعاونا مع الدول الاسلامية

الحاجات المعيشية

لابد من مقاومة الغلاء وزيادة الأجور مع إرتفاع الأسعار ولابد من الابقاء على دعم السلع الأساسية.

★ ★ ★

تعيش مصرنا العزيزة مرحلة من أشد المراحل فى تاريخها كله. ولو أردنا أن نسمى هذه المرحلة باسم شامل لمظاهرها كافة لسميناها مرحلة انحسار القيم وانهزامها. فأسباب معاناة الأمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية تعود فى التحليل النهائى لها إلى غيبة القيم الصالحة البناءة عن توجيه سلوك الأفراد والجماعات عن معاهد تعليم النشىء– وعن مؤسسات التنمية الاجتماعية كالأندية والجمعيات وغيرها والى انعدام القدوة التى لا ينتقل الخير والفضل والخلق القويم من جيل الى جيل إلا بها. وإذا كانت البيئة الاجتماعية المصرية مازالت بفضل الله وحده متمسكة بتأثير بقايا الأجيال التى تجعل المصلحة العامة فوق النفع الشخصى، وتعطى لموجهات السلوك المستمدة من تقاليدنا الصالحة وزنها، وتجعل إيمانها الدينى مصدرا رئيسيا لإقرار سلوك أو إنكاره، فإن ذلك لا يستمر إلا بعودة

الأزمات الخانقة والأحداث الجسيمة لتخرج منها أكثر قوة وأشد صلابة.

وكان أمل المتطلعين للاصلاح كبيرا فى أن تستجيب الحكومات التى توالت على الحكم منذ الانتخابات الماضية (١٩٨٤) إلى هذه المشاعر الصادقة، وإلى تلك الرؤية العميقة المبنية على تأمل صحيح فى واقع الحياة المصرية وماضيها ومستقبلها.

ولكن شيئا من ذلك لم يحدث، فشرع الله لم يطبق، وشاع الكسب الحرام دون رادع. ومع شيوع الفساد زاد نفوذ المفسدين فى الأرض وأصحاب المصالح المشبوهة، وانحدرت قيمة العمل وتخلف أداء الواجب واحترام القانون. وقد أخفقت الحكومات المتعاقبة فى اتباع سياسة عامة متكاملة للاصلاح بسبب تراجعها أمام المجموعات القوية من أصحاب المصالح، كما تزايد النفوذ الاجنبى فى تقرير سياستنا وفى الدوائر الحكومية، وبين رجال الاعمال المصريين نتيجة الاعتماد المتزايد على القروض والمعونات الأجنبية التى أدت إلى ربط عجلة الاقتصاد القومى بالمصادر المقرضة وتدخل المنظمات الدولية فى توجيه أمورنا مستفيدة من تراكم أعباء خدمة الديون الخارجية، وتعثرنا فى سدادها.

لقد أدت سياسات الحكم وما صحبها من مظالم الى تفجرات متتالية، ولجأت السلطة الى مواجهة ذلك بالاساليب القمعية، فلم تعالج الاسباب الحقيقية للتذمر واستمر الاستبداد واستمر ارتكاب جرائم التعذيب البدنى والنفسى التى تشكل عدوانا صارخا على مبادىء ديننا، كما أنها تشكل وصمة عار فى سمعة مصر لمنافاتها لكرامة الانسان المصرى وآدميته.

واستمر سريان الأحكام العرفية المسماه بحالة الطوارىء منذ اغتيال الرئيس السابق السادات، وستتم الانتخابات الحالية فى ظل الشبح المخيف الذى تمثله حالة الطوارىء هذه، والذى يجرد المواطن من الحقوق والحريات التى كفلها له الدستور، وبقيت ترسانة القوانين السالبة والمقيدة للحريات، وأضيف اليها النظام الجديد للانتخابات بالقوائم الحزبية المطلقة والنسبية المشروطة التى تقضى على مزايا التعدد الحزبى الذى حل محل تنظيم الحزب الواحد. وقد تم حل مجلس الشعب السابق توقعا لصدور حكم المحكمة الدستورية العليا بعدم دستورية القانون الذى انتخب على اساسه ولكن صدر قانون جديد لم تحرص الحكومة التى أصدرته على أن يأتى خاليا من العيوب.

وإذا كان اصلاح الحال يتطلب مناخا ديمقراطيا، فإن الديمقراطية لا تمنح ولكن يستحقها من يسعى اليها ويجاهد فى سبيلها.

ولذلك فإن المرشحين على قائمة حزب العمل اجتمعوا على ضرورة أن يحموا الحرية وأن يتصدوا لكل من يحاول تزوير الانتخابات، وهم يلتزمون بالعمل متضامنين من خلال مجلس الشعب من أجل تطبيق برنامج متكامل يحقق لهذه الأمة خيرا كبيرا بإذن الله..

ونحن نطلب ثقة الناخبين وفق هذا الالتزام، ونعاهد الله تعالى، ونعاهد شعبنا المصرى الأبى، على الدعوة إليه والاستمساك به..

القسم الاول

اصلاح نظام الحكم بالديمقراطية الصحيحه

إن أساس الاصلاح فى مصر اليوم هو تحقيق الحكم الديمقراطى السليم الكامل، وذلك يكون فى تقديرنا- باتخاذ الوسائل الآتية

١ - اعادة النظر فى الدستور

أ- مراجعة الدستور عن طريق جمعية تأسيسية تنتهى من مهمتها خلال مدة محددة لتحقيق الاتساق بين أحكامه وبين تغيير النظام السياسى للبلاد من نظام شمولى على تنظيم سياسى واحد الى نظام ديمقراطى قائم على تعدد الاحزاب.

ب - انتخاب رئيس الجمهورية ونائبه انتخابا مباشرا من بين أكثر من مرشح لمدة خمس سنوات، وجواز عادة انتخابهما لمدة واحدة ثابتة ويجب أن يوقفا نشاطهما الحزبى أثناء توليهما منصبيهما، ويكون رئيس الجمهورية حكما بين السلطات.

ج- تتولى السلطة التنفيذية حكومة تحظى بثقة أغلبية الشعب وتعتبر مسئولة أمامه.

وإذا سحب المجلس ثقته من الحكومة تعين استقالة الوزارة واذا سحب الثقة من أحد الوزراء يتعين عليه الاستقالة.

د- تقرير الحق الكامل لمجلس الشعب فى تعديل الموازنة العامة دون تعليق ذلك على موافقة الحكومة.

هـ - الغاء المادة ٧٤ من الدستور وإزالة كل أثار قرارات سبتمبر ١٩٨١ الصادرة استنادا اليها.

و - اختيار رؤساء المدن والاحياء والقرى عن طريق الانتخاب الحر المباشر.

٢- الغاء القوانين والممارسات المنافية للديمقراطية

أ- رفع حالة الطوارىء عن جميع المعتقلين وتقديم المتهمين منهم الى المحاكمة بلا تأخير أمام القضاء العادى.

ب- الغاء القوانين سيئة السمعة السالبة والمقيدة للحريات العامة والشخصية والمناقضة للدستور وحقوق الانسان، وما تسلل إلى القوانين العادية من نصوص مماثلة كالنص الوارد بقانون العقوبات لتقييد حرية العلماء فى نقد تصرفات الادارة وقرارات السلطة العامة داخل دور العبادة.

ج- تقرير الحق فى تكوين الاحزاب السياسية دون الحاجة الى الحصول على اذن بإنشائها اكتفاء بإخطار وزارة الداخلية عن قيامها بما يسمح لكافة الاتجاهات السياسية بالتعبير عن نفسها من أية جهة سوى ما يحكم به القضاء اذا انحرفت عن الطريق المشروع.

د- إلغاء صور الخلط بين مؤسسات وأجهزة الدولة وبين تنظيمات الحزب الحاكم بما يضمن أن تكون الدولة للجميع ولا يكون هناك تمييز بين المواطنين بسبب العقيدة السياسية.

٣- سلامة الانتخابات العامة

أ- توفير الضمانات التى تكفل حيدة الانتخابات العامة وحريتها بجعل جداول الناخبين مطابقة لسجل الاحوال المدنية بحيث يقيد به اسم كل من يبلغ ١٨ عاماً دون أن يكون به سبب يؤدى الى وقف مباشرة حقوقه السياسية أو حرمانه منها، وإجراء الاقتراع بموجب البطاقة الشخصية أو العائلية دون الحاجة لاستخراج بطاقة إنتخابية خاصة.

ويشترط توقيع الناخب بامضائه أو بصمته عند الادلاء بصوته للتأكد من حضوره بشخصه، ويتولى الاشراف على العملية الانتخابية بأكملها هيئة قضائية مستقلة يشكلها مجلس القضاء الأعلى مع جعل عقوبة تزوير الانتخابات جناية لا تسقط بالتقادم.

ب – إلغاء نظام الانتخابات بالقوائم الحزبية على أساس الأغلبية المطلقة فى المجالس المحلية ونظام الانتخابات بالقوائم الحزبية مع التمثيل النسبى المشروط لمجلس الشعب.

جـ- أن يتم تمثيل العمال والفلاحين عن طريق مرشحين تعترف بصفتهم النقابات العمالية والتعاونيات الزراعية حيث أصبح يندرج تحت هذه المسميات من لايعتبرون منهم.

د – جعل اختصاصات الفصل فى الطعون الانتخابية لأعضاء مجلس الشعب للسلطة القضائية نهائيا.

٤ – استقلال القضاء

أ – استكمال دعم القضاء بجعل كافة أموره من اختصاص مجلس القضاء الاعلى الذى يرأسه رئيس محكمة النقض وتشترط وموافقته على كل ما يتعلق بشئونه وعدم الاكتفاء بأخذ رأيه وإلغاء جميع المحاكم الاستثنائية، وإزالة الازدواج الموجود بين النيابة العامة وبين المدعى العام الاشتراكى بالغاء هذا المنصب.

ب – حظر ندب رجال القضاء والنيابة للقيام بأعمال السلطة التنفيذية حفاظا على استقلال السلطة القضائية.

جـ- احالة اختصاص إبداء الرأى والفتوى فى الادارات القانونية بالوزارات والمصالح الحكومية والهيئات العامة الى قسم الفتوى والتشريع بمجلس الدولة والحاق اقسام التحقيقات بهذه الادارات بالنيابة الادارية.

د- تقرير حق الطعن بالطريق المباشر بعدم دستورية القوانين أمام المحكمة الدستورية العليا وعدم قصر هذا الحق على الطعون المقدمة بمناسبة الدعوى المطروحة امام المحاكم الاخرى.

ز- جعل السجون تابعة لوزارة العدل لوضع حد لجرائم التعذيب التى تتم داخلها والغاء الحبس الاحتياطى المطلق.

القسم الثانى

تطبيق الشريعة الاسلامية

١- إن تطبيق الشريعة الاسلامية واجب دينى وضرورة وطنية، فلا يجوز أن يكون ذلك مجالا للموافقة أو المعارضة بل يتعين على كل مسلم الاستجابة إلى أمر الله تعالى بتحكيم شريعته، ولذلك فنحن ندعو للبدء فورا فى تطبيق الشريعة الاسلامية اتساقا مع احكام الدستور، ومع تسليمنا بأن الأمر يتطلب مرور فترة زمنية من أجل اكمال التطبيق على النحو المرجو، فإن ما نطلب الاسراع فيه هو الإقرار بالمبدأ فعلا لا قولا، مع البدء فى التنفيذ.

٢- ويجب أن ينصب التعديل فى المرحلة الأولى على التشريعات المخالفة صريحة وشاملة لأحكام الشريعة أو المعطلة لنصوصها الصريحة فتلغى فورا أو تحل محلها نصوص مأخوذة من الشريعة الاسلامية أو متفقة فى احكامها معها.

٣- التشريع المستمد من الشريعة الاسلامية لايمكن إلا أن يمضى على سنة الاجتهاد الاسلامى الحميد ، وذلك هو الطريق الذى يمكن الأمة من تطوير نظامها القانونى تطويرا متفقا مع الشريعة الاسلامية يحقق مصالحها المتجددة ويستجيب لحاجاتها المتطورة.

٤- العمل الكبير المطلوب فى هذا الاتجاه ليس مهمة المشرع وحده، بل هو مهمة متكاملة يحمل جانبا منها المشرع ويحمل جوانب أخرى الفقهاء واساتذة القانون والعلماء المتخصصون فى الاقتصاد والمشتغلون بالتجارة والصناعة وغيرهم، وهؤلاء مطالبون بتقديم جهد علمى دقيق فى بصر حاد بظروف العصر وحاجات أهله.

٥- المفهوم المتكامل للشريعة يتجاوز بطبيعة الحال مسألة الحدود ، بل يتجاوز القوانين المدنية والجنائية، فسياسة الاعلان مثلا أو التعليم لاتقل خطرا، وكذلك فإن ما يتعلق بالنظام الاقتصادى وبالاوضاع الدستورية هو من الأصول الاولى. ولذا فإن كل ما نطرحه فى برنامجنا هذا يعتبر تطبيقا لنظرتنا الشاملة فيما يتعلق بموضوع الشريعة.

٦- الأخوة الاقباط وأهل الكتاب عامة مواطنون فى الدولة الاسلامية المستهدفة، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين. وإذا كان الاسلام دين الغالبية العظمى من المصريين، فإن ما انشأه من حضارة وتاريخ هو ملك لكل من شارك فى العمران فى ظل الدولة الاسلامية. وكل من يعيش على أرض مصر هو وارث لذات التقاليد والاعراف والفنون وأمين عليها وهذا هو الاساس فى روح الأخوة المصرية التى أظلت على مر القرون أبناء الدينين الكبيرين فى مصر، وهذا الاساس للعمل المتكامل لبناء مستقبلها، وهذا هو الاساس الذى يتغلب به المصريون جميعا على الدسائس والفتن التى تستهدف وحدهم وأمنهم واستقرار وطنهم .

القسم الثالث

اشاعة الفضيلة

واغلاق ابواب الفساد

١- يجب أن تحرص الحكومة وكافة المسئولين بها على أن يكونوا قدوة حسنة الاستمساك بتعاليم الاسلام وبالفضائل الدينية فى كل التصرفات الشخصية حتى يتوافر المظهر الكريم لدولة عريقة تحكمها الشريعة الغراء.

٢- لا اخلاق بغير دين وكل امكانات التثقيف والتربية ينبغى أن تتضافر معا فى تنشئة الاجيال الجديدة وفى تنمية القيم النبيلة ويقع على الاسرة عبء كبير، ولكن يجب أن تتعاون فى اداء الرسالة المدرسة واجهزة الاعلام والتثقيف من سينما وتلفاز ومسرح وموسيقى.. الخ، فكل هذه الامكانات ينبغى ان تسخر لنشر القدوة الطيبة وللحض على مكارم الاخلاق وللنهى عن كل ما حرم الله.

٣- يجب أن تتضافر الجهود الرسمية والشعبية على دعم دور العبادة وحمايتها وينبغى أن تعود المساجد الى اداء رسالتها الجامعة ويرتبط هذا بإطلاق حرية الدعاه واعادة الحياة الى هيئة كبار العلماء بالازهر الشريف على أن يكون انتخاب شيخ الازهر بينهم ويقتصر القرار الجمهورى الذى يصدر بتعيينه على تسمية من العلماء للمشيخة.

٤- اغلاق المصانع التى تملكها الدولة لتصنيع الخمور وتحريم المراهنات والعاب القمار وعدم الترخيص بوجود دور اللهو الحرام باسم السياحة أو تحت أية ذريعة أخرى.

٥ - سد المنافذ التى يتسرب منها المال الحرام الى الافراد فيفسد الذمم ويؤثر على علاقاتهم وروابطهم اخذاً فى الاعتبار أن الاجانب والصهاينة الذين لا يريدون لنا الخير بارعون فى استخدام هذه الاساليب.

٦- يرتبط بذلك اعادة النظر فى قانون الكسب غير المشروع وتحريم قبول الهدايا وكافة المنافع المعنوية والمادية لمن يتولى وظيفة عامة فى الدولة أو القطاع العام فيما عدا الاشياء الزهيدة التى توزع على الكافة.

٧- منع الواسطة لانجاز المعاملات والغاء جميع الاستثناءات فى كافة القوانين ووجوب تسبيب رفض أو قبول العطاءات وعدم اسنادها بالامر المباشر.

٨- رفع السرية عن تقارير الاجهزة الرقابية فى الدولة وبصفة خاصة الجهاز المركزى للمحاسبات وهيئة الرقابة الادارية وابعاد كل من يثبت عليه الانتفاع أو الاستغلال أو الانحراف من مراكز المسئولية ووضع الضوابط لضمان نزاهة الوظائف العامة

القسم الرابع

الثقافة والاعلام

الحياة الثقافية المصرية تعانى من ركود ونضوب لعلهما لم يسبق لهما مثيل منذ فجر النهضة الوطنية المصرية ولا يقتصر ذلك على المضمون الذى يقدم للناس فى وسائل نشر الثقافة ووسائل الاعلام المختلفة ، بل يتعداه الى شكل هذه الوسائل وأنواعها فهى تدل على تخلف بعيد عن تقنيات العصر الثقافية والاعلامية.

إن البلاد فى أمس الحاجة الى حركة احياء ثقافى وتجديد فكرى ترد الأمة الى أصولها الثقافية العربية والاسلامية، وترد عنها مظاهر التغريب والفرنجة الوافدة من كل بقاع العالم تقريبا.

كما أن الاعلام المصرى الرسمى بحاجة الى تقويم جاد وموضوعى يهدف الى اعادة الثقة باعتباره المعبر عن الكلمة الرسمية للدولة المصرية .

وفى سبيل ذلك فاننا نرى على سبيل المثال – لا الحصر – ضرورة ما يأتى ١– التزام الدولة بالعمل على نشر الوعى الثقافى بين المواطنين وتوفير السبل والامكانات اللازمة لذلك.

٢– تشجيع النشاط الثقافى الخاص فرديا كان أم جماعيا بصورة كافية، وازالة جميع المعوقات الادارية والقانونية التى تمنع انطلاق النشاط الثقافى فى مختلف المجالات وعلى الأخص فى مجال ترسيخ القيم الدينية الصحيحة ونشرها وتدعيم الالتزام بها سلوكا وعقيدة بين مختلف قطاعات الشعب.

٣– رفع جميع القيود المقررة فى القوانين واللوائح والقرارات الادارية الخاصة بالنشر والانتاج الثقافى والتوزيع فيما عدا القيود الخاصة بحماية القيم الدينية والحفاظ على الأخلاق.

٤ – الغاء القيود المفروضة على تصدير الكتاب المصرى إلى جميع انحاء العالم.

٥ – وضع القواعد والأسس الكفيلة بالتزام أجهزة الاعلام الرسمية الصدق المطلق فى التعامل مع الخبر الذى تقدمه أو التعليق الذى تبثه فى جميع الموضوعات وتحت كل الظروف ومحاسبة المسئولين الذين يثبت خروجهم عن هذه القاعدة.

٦– تحويل الاعلام الرسمى المصرى الى اعلام قومى يتعرف الشعب من خلاله على الخريطة الواقعية للمجتمع المصرى والدولى بجميع عناصرها الثابتة والمتغيرة بدلا من الوضع الحالى له الذى لا يزيد فيه عن كونه جهازا حكوميا يتغنى بأمجاد الحكومة.

ويتضمن الاصلاح المنشود فى هذا الاتجاه تأكيد استقلالية هيئة الاذاعة والتليفزيون لضمان حق الاحزاب المتكافىء فى التعبير عن رأيها من خلال الاذاعة والتليفزيون.

٧– وبالنسبة للصحافة ينبغى الغاء ملكية الصحف القومية للدولة واشراف مجلس الشورى عليها والغاء المجلس الاعلى للصحافة، وتحويل الصحف المسماة بالقومية الى شركات مساهمة يكتتب فى اسهمها المواطنون

بحيث تكون الاولوية للعاملين فيها ولايمتلك أى فرد أكثـــر من عـــدد معين من الاسهم.

٨- تقرير حرية اصدار الصحف والغاء قانون سلطة الصحافة واللائحة التنفيذية له وتعديل قانون المطبوعات بما يوفر حرية التعبير وحق الشعب فى الاطلاع على آراء كتابه ومفكريه.

٩- العمل على احياء حركة نشر التراث وتيسيره للمثقفين بأسعار زهيدة فى طبعات تجمع بين التحقيق العلمى وجودة الاخراج الفنى.

١٠- العمل على نقل التقنية العصرية المتقدمة فى مجالات الطباعة والنشر والمسرح والسينما والاذاعة المسموعة والمرئية، والعمل على تطوير صناعة محلية مصرية متقدمة فى هذه المجالات جميعها.

القسم الخامس

معالجة المشاكل المعيشية

تعانى جماهير الشعب من مشاكل عديدة تؤثر فى حياتها اليومية ومستوى معيشتها، وينعكس اثرها على عملهم وانتاجهم، وتتجلى بصفة خاصة فى الغلاء المتصاعد وعدم التناسب بين مستوى الاسعار والأجور، وفى ازدحام وسائل النقل العام، ومشاكل المرور والمواصلات، وفى تلوث البيئة والاغذية والعلاج الطبى، وفى التعليم، وقضايا الشباب. وفى مواجهة كل ذلك نطالب بحلول أصيلة وعلمية ونرفض توجيهات وكالة التنمية الأمريكية وصندوق النقد الدولى التى تقضى على استقلال الدولة وتؤدى إلى تفاقم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية.

١- حدة الغلاء وعدم التناسب بين الاجور والاسعار

لإيقاف هذا التيار المتصاعد للغلاء ولتحقيق العدل الاجتماعى لابد من :-

(أ) القضاء على التضخم النقدى كسبب رئيسى للغلاء ويقتضى هذا وقف الاعتماد على الاصدار النقدى (أى طبع أوراق نقدية جديدة) لسد ما قد يوجد فى موازنة الدولة من عجز.

(ب) ضغط الانفاق العام الحكومى بمنع الانفاق على ابهة الحكم ومظاهره وتخفيض نفقات المهرجانات والاستقبالات ، ومراجعة نفقات السيارات، والاستراحات، والابنية الحكومية، وخفض نفقات التمثيل الخارجى، ووضع الضوابط لسفر الوفود الرسمية، والتخلص من المنشآت العامة الاقتصادية الخاسرة والاجهزة الرسمية عديمة الجدوى كالمجالس القومية المتخصصة، ومواجهة حرائق وحدات الانتاج التى تلحق بالاقتصاد القومى افدح الاضرار، وعمليات تأخير تفريغ البواخر بميناء الاسكندرية تفاديا لدفع غرامات التاخير، وعدم التوسع فى نفقات العلاج بالخارج خاصة بالنسبة لما هو متوافر فى مصر، وتخفيض نفقات الاعلانات والعلاقات العامة فى الوزارات والهيئات والشركات العامة.

(ج) انشاء ادارة متخصصة للأسعار تتولى متابعتها، ودراسة الظروف التى تطرأ عليها، وما يقتضى تسعيره من سلع ومنع الوسطاء بين المنتجين والمستهلكين بما يتسبب فى تضخم الاسعار ويخلق مجالات للتحكم والتلاعب والكسب الحرام.

(د) اصلاح النظام الضريبى فى مصر بزيادة التركيز على الضرائب المباشرة التى تفرض على الدخول الكبيرة التى لا تنفق على الانتاج حتى لايؤدى انفاقها الكبير على الاستهلاك الى زيادة الأسعار، وفرض ضريبة على مظاهر الانفاق الترفى المعبر عن هذه الدخول الخفية المصدر، مع زيادة الضرائب المباشرة، وتخفيض غير المباشرة بالنسبة لمحدودى الدخل تحقيقا للعدل الاجتماعى.

(هـ) رفع الحد الادنى للأجور ومستوى الأجور فى الدولة والقطاع العام، والأخذ بنظام يقضى بالزيادة التلقائية لفئات الأجور والمعاشات بما يتمشى مع زيادة التضخم والارتفاع تحت اشراف مجلس قومى – وليس حكوميا بحتا – للأجور والاسعار يختص برسم ومتابعة تنفيذ سياسات الأجور والأسعار ويراعى أن تمثل فيه النقابات العمالية.

(و) اعادة النظر بصورة جذرية فى مرتبات العاملين بالحكومة والقطاع العام لرفعها بما يؤدى الى تضييق الفروق الشاسعة غير المقبولة للأجور والمرتبات عن الأعمال المتماثلة التى تؤدى فيها وفى كل من القطاع الخاص والاستثمارى والمشروعات المشتركة.

(ز) الابقاء على الدعم للسلع الاساسية مع الغائه بالنسبة للسلع التى لاضرورة لاستعمالها وتقريره فى المراحل النهائية للانتاج حتى لا يتسرب لغير مستحقيه خلال المراحل السابقة.

٢– الاسكان والعلاج الطبى والتعليم

أ – ايقاف انشاء أى بناء جديد للادارات الحكومية عدا معاهد التعليم ودور العلاج حتى تركز الحكومة طاقات التشييد بأكملها لبناء المسكان المطلوبة للوفاء بحاجات الشباب والأسر التى تقيم فى الخيام وفى المقابر.

ب – الزام المنشآت الصناعية ببناء المساكن المطلوبة اللازمة لعمالها، وتشجيع القطاع الخاص على استثمار أمواله فى مجال الاسكان الاقتصادى والمتوسط من خلال خفض لتكلفة البناء عن طريق الدعم الحكومى.

ج– قصر المزايا المقررة للجمعيات التعاونية للاسكان على المخصص منها للاسكان الاقتصادى والمتوسط وتلتزم الحكومة عن طريق شركاتها العامة والحكم المحلى بتوفير بقية ما يلزم فى اسكان اقتصادى على أن يتم توزيع الوحدات السكنية وفق قواعد صارمة ومعلنة.

د – توفير أراضى البناء بأسعار رمزية وأجال طويلة ووضع نظام للتوسع الاسكانى فى الريف وتحديد كردونات القرى مع مراعاة المحافظة على الرقعة الزراعية ومد تطبيق قوانين تنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر إلى الوحدات السكنية فى القرى.

هـ – وفى مجالات الصحة لابد من اعطاء الاولوية لنظم الوقاية ويشمل ذلك إتخاذ كافة الاحتياطات لوقاية البيئة من كل عوامل التلوث واحكام الوقاية الصحية على السلع الغذائية وخاصة المستورد منها.

و– الارتفاع بكفاءة المستشفيات العامة والمتخصصة مع التمسك بمبدأ مجانية العلاج بالمستشفيات الحكومية والوحدات الصحية الريفية.

ز– مضاعفة الجهود للقضاء على الامراض المتوطنة كالبلهارسيا والانكلستوما والأخذ بأحدث اساليب مقاومة الاوبئة الوافدة ومنع انتشارها فى بلادنا.

ح– دعم تصنيع الأدوية محليا ومتابعة أحدث البحوث العلمية فى شأنها وتوفيرها بأقل الأسعار باعتبارها خدمة عامة وليس عملية يقصد منها الربح..

ط – وفى مجال التعليم نطلب إحداث تطويرات جذرية في المناهج التعليمية لكى تتلائم من ناحية مع متطلبات الثورة العلمية والتقنية المعاصرة ولكى تتلائم من ناحية اخرى مع المتطلبات المتنوعة للبيئات المحلية فالتعليم يجب أن يكون اداة للتكامل مع البيئة المحلية فى القرية أو الحى ليخرج التلميذ أكثر ولاء وفائدة لأهله ووطنه.

ى – يجب اعادة الاعتبار للتعليم والتأهيل الفنى فالتوازن بين التعليم الفنى والتعليم العام أساس للمجتمع الطبيعى ويحقق الزيادة المنشودة فى كل أنواع الانتاج من السلع والخدمات.

ك– يجب أن تكون العربية لغة التعليم فى كل مراحله ويجب أن يكون التعليم عملية متواصلة طول العمر ويجب أن يرتبط هذا بحملة قومية لمحو الأمية ويجب أن يكون التعليم خدمة متاحة بالمجان ويجب أن يخدم الأهداف التربوية التى يقصدها المجتمع الاسلامى.

القسم السادس

التنمية الاقتصادية

١ – التنمية بالاعتماد على الذات

أ – أى حديث عن النهضة الاسلامية يكون عقوا مالم يشمل مشروعنا اقتصادا مستقلا ناميا يغنينا عن سؤال اعدائنا، وتأسيسا على ذلك يكون برنامجنا للاصلاح الاقتصادى وفق مبدأ الاعتماد على الذات فى الانتاج فى المجالات كافة حسب الاولويات الاسلامية وهى:

الضروريات ثم الحاجيات ويتطلب من الحكومة فى هذا الصدد عدم اعطاء الموافقة لمشروعات تخرج من نطاق تلك الاولويات كما يتطلب ذلك التركيز على مشروعات الانتاج الغذائى وأدوات الدفاع والمساكن والملابس الشعبية ومستلزمات الانتاج المختلفة ومشروعات الطرق والنقل.. ومثلها من المشروعات الضرورية لحاجات الانسان الضرورية.

ب – هذا التوجه للاعتماد على الذات يتطلب بالضرورة تكامل الاقتصادات العربية ويجب أن تسعى إلى ذلك خاصة فى مجال الغذاء وإنتاج الحبوب .

ج– الاقتصاد فى الاستهلاك في كافة صوره، وربطه بالانتاج ويجب على الحكومة اتخاذ جميع الاساليب والاجراءات اللازمة لمنع الاسراف والتبذير والانفاق الترفى والمظهرى واستهلاك المحاكاة والتقليد.

د – تيسير سبل الاستثمار في المجالات المشروعة حسب أولويات الانتاج وضروريات الاستهلاك ومن أجل ضمان التشغيل الكامل للقوى العاملة المتاحة ويجب على الحكومة فى هذا الصدد تحرير استثمار رأس المال الوطنى والعربى من القيود المفروضة عليه ومن الوسائل التى نقترحها فى هذا الصدد ما يلى:

– جعل المواطن يستشعر أن الاستثمار واجب يفرضه الدين.

– ابتكار وسائل استثمار جديدة ومتنوعة لتتفق مع ظروف مختلف فئات المجتمع.

– دعم حوافز الاستثمار المطبقة حاليا مثل الاعفاءات الضريبية والجمركية.

٢ – التخطيط والقطاع العام

أ– تحقيق الاهداف السابقة يتطلب تدخلا منظما من الدولة يحدد الاهداف والأولويات والسياسات ويتطلب أن تكون هناك نظرة للاجل الطويل (٢٠ سنة مثلا) توضع فى ظلها خطط متوسطة الاجل (٣ – ٥ سنوات) لتحقيق الهدف النهائى فى تشكيل اقتصاد قوى مستقل فى كل مراحل التنمية وينبغى أن تكون كل سنة من سنوات التنمية خطوة فى هذا الاتجاه بإذن الله .

ب – ينبغى أن نحذر فى كل ذلك من تدخل الاجانب فى سياساتنا أو فى السيطرة على مواقع التوجيه الانتاجى والاقتصادى.

ج – امتلاك الافراد للمشروعات حق مشروع ولكن ليس حقا مطلقا إذ أن اصحاب المال مستخلفون فيه ملتزمون بتوجيه لما ينفعهم وينفع الناس وفضلا عن المفروض والتوجيهات الاسلامية التى يلزم بها أصحاب المال كأفراد فإن الدولة مطالبة بتهيئة المناخ الاقتصادى الذى يساعد هؤلاء على تأدية فروضهم الشرعية وفى مقدمة هذا

انشاء جهاز مصرفى لا ربوى وانشاء جهاز لتمكين الافراد من أداء زكاة أموالهم ولضمان توجيهها فى مصارفها لخير المجتمع كله.

ذ- والدولة مسئولة كذلك عن تحقيق التوازنات الكلية فى الاقتصاد القومى ، وخاصة فى تعاملاتنا مع العالم الخارجى بحيث لا نكون مضطرين الى الاقتراض من الدول والهيئات التى تعادى آمالنا فى النهضة الاسلامية والوطنية.

هـ - وفى المواجهة مع عالم اليوم واحتكاراته الدولية الكبرى ، ينبغى أن يتساند القطاع الخاص مع القطاع العام من أجل احداث تنمية مستقلة وعادلة تعتمد على الموارد والامكانات المحلية. يجب أن يتكامل دور القطاعين فى الاستجابة لحاجات المجتمع من المنتجات الضرورية وفى حماية الاقتصاد الوطنى من اختراق الاجانب لمشروعاته.

و - فى ضوء هذا كله ينبغى دعم القطاع العام المصرى وتطويره باعتباره عصب الاقتصاد الصناعى على الاسس التالية:

تحديد المجالات التى تتلاءم مع طبيعته بحيث يتخلى عما عداها للقطاع التعاونى أو المختلط أو الخاص وينبغى كذلك رفع القيود البيروقراطية عن كاهله، ومحاسبة القائمين على المشروعات وفقا للنتائج المحققة، مع ايجاد حلول عملية للشركات الخاسرة تحفظ المال العام وحقوق العاملين.

ز - لابد من تصويب مفهوم الانفتاح الاقتصادى بحيث يكون بابا لتدعيم الاستقلال وليس لفرض التبعية كذلك ليكون طريقا لزيادة القدرة الانتاجية وليس انفتاحا استهلاكيا لاستيراد السلع الاستفزازية.. ولابد أن يكون الانفتاح على دول العالم المختلفة ، وليس علاقة مع جانب دون جانب آخر.

القسم السابع

الأمن القومى والعلاقات الخارجية

إن ارتباطنا بالوطن المصرى وحبنا له لاينسينا أننا أصحاب رسالة اسمى وأبعد من حدود هذا الوطن ، وفى ظل عالم اليوم حيث لا تعيش الا الكتل الكبرى، تزداد دوافعنا للارتباط بعمقنا التاريخى والاستراتيجى ، بأهل امتنا العربية والاسلامية الذين فرض عليهم الاستعمار كل صنوف الفرقة، ان مصر جزء من الوطن العربى وأنها مرتبطة به ، وهى قلب العالم الاسلامى النابض ، وهى درعها الواقى ، ويعنى كل ذلك ما يلى:-

١- الجيش المصرى اداة نحرص على دعمها وتقويتها لتكون درعنا فى مواجهة أعدائنا، ولكن هذا الدور لا يكون

ناجحا الا اذا اعتمد على تكامل اقتصادى وعسكرى مع الدول العربية والاسلامية، والا اذا ابتعدنا عن نفوذ الدول الكبرى فى قراراتنا السياسية وفى توفير مستلزمات الدفاع بأنواعها كافة.

٢- لابد من توحيد الجهود والتنسيق مع كل الدول المستضعفة آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ضد القوى المستكبرة والمهيمنة على النظام الدولى .

ويرتبط هذا بالالتزام بماتفرضه سياسة عدم الانحياز من اقامة علاقات متوازنة بين الشرق والغرب.

اننا نطالب الاتحاد السوفيتى بوقف العدوان على افغانستان وانسحاب القوات السوفيتية من آراضيها، وندين فى الوقت نفسه العدوان الامريكى المتكرر على البلدان والمصالح العربية.

٣ - تحقيق الاستقلال فى مواجهة قطبى النظام الدولى (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى) يمثل عملية بالغة الصعوبة وتتطلب جهادا وصبرا ، ولكننا دون هذا الاستقلال السياسى والعسكرى يستحيل أن نحقق مخطط النهضة الاسلامية .. واستقلالنا يبدأ بتعميق إيماننا بعقيدة لا إله إلا الله.. فمن هذا الايمان وبفضله تبدأ مسيرة الاستقلال فى ابعاده كلها.

٤- الحذر من العلاقات الخاصة بامريكا فى ضوء اتفاقها الاستراتيجى مع اسرائيل ، وموقفها القائم على الانحياز السافر لاسرائيل حتى لا تلحق الضرر بأمننا القوى ، وذلك بالامتناع عن اعطائهم أية تسهيلات ، ومن باب اولى أية قواعد عسكرية لقواتها أو السماح لها بالقيام بمناورات مشتركة على أراضينا أو تمكينها من الحصول على معلومات أو بيانات تحت ستار البحوث العلمية أو أية حجة أخرى.

٥- عدم قبول المعونات الاجنبية المشروطة مع الاعتماد على الذات أولا ثم على المصادر العربية الاسلامية بعد ذلك.

٦- وسط الصراعات الدولية المختلفة ، يمثل صراعنا مع العدو الصهيونى الميدان الاخطر. أننا نطالب بتجميد إتفاقية كامب ديفيد لانتهاكات اسرائيل المتكررة لها حيث ان التزامات الطرفين متقابلة. ويرتبط هذا بالمقاطعة الشاملة للوجود الإسرائيلى فى مصر اقتصاديا وثقافيا لدحر ما تستهدفه من سيطرة على المنطقة.

٧- نصرة الجهاد الباسل لاخواننا الفلسطينيين الذين يواجهون مخططات أعدها الأعداء لإبادتهم ، وندعم حقهم فى اقامة دولتهم المستقلة على أرضهم، ونساند كذلك اخواننا فى لبنان الذين تهدف المخططات نفسها الى تشتيتهم فرقا وأشياعاً.

الاسلام هو الحل «حزب العمل»

برنامج مرشحي حزب العمل فى القوائم والدوائر الفردية للانتخابات المحلية

جمادى الأولى ١٤١٣ هـ - نوفمبر ١٩٩٢

إن يد الشياطين الأمريكان والصهاينة تمسك بمقادير هذا البلد.. وقد وجد شياطين الخارج أعوانا من شياطين الداخل ينفذون تعليماتهم، ويخربون بيوتنا بأيديهم، فبذروا وبددوا.

إن الفساد شاع وانتشر فحل علينا غضب الله. إن المفسدين لاينمون المال الذى ينهبون. إنهم لا يحيون الأرض بالزراعة ولا يستصلحون، ولكنهم يهلكون أخصب أرض خلقها الله ويجرفونها ويدمرون المحاصيل.. إنهم لا ينشئون صناعة ولكنهم يعطلون القائم ويستعدون لبيع المشروعات للأجانب والصهاينة.. لقد سلطوا علينا فأخذوا يحولون كل ما تصل إليه أيديهم إلى دولارات يهربون بها.. وما هربوه فعلا يبلغ ضعف الناتج الاجمالى الذى تخرجه أرض مصر كلها وسواعد المصريين جميعا.

أتندهشون بعد ذلك إذا انتشر الجوع والفقر والمرض مع الغلاء؟ أتعجبون إذا تحول الشباب إلى يد بطالة؟ إن أسباب الكوارث ظاهرة أيها المواطنون ووجه العجب والدهشة انكم تتقاعسون ولاتقتلعون هذه الأسباب من الجذور.

ما عذرنا أمام الله؟ هل سنقول لرب العزة يوم الحساب إننا أطعنا حكامنا فأضاعونا؟ ولكن لماذا نطيع هؤلاء فى معاصيهم ونرضى بالدنية فى ديننا؟ «أتخشونهم؟ فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين».

أيها الناس جاهدوا فى الله حق جهاده واعلموا أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.. غيروا عباد الله ما بأنفسكم من جبن وتخاذل، وكونوا مؤمنين أقوياء.. إرفعوا رؤوسكم وقبضات يدكم فى وجه الطغاة، وساعتها سنحقق النصر عليهم وعداً من الله.

★★★

* لو عقدنا العزم وولينا من يقيمون دولة الإسلام لتغير الحال.

إن المجتمع المؤمن – الملتزم بالشريعة– لن يكون حكامه من السراق، ولكن سيكون حكامه ومحكوموه ممن يخشون الله فى تدبيرهم وسعيهم، وفى قلوبهم وظاهر أعمالهم، فيتحرك أصحاب الأموال والعقول والسواعد فى نهضة شاملة.

أبناؤها متكافلون كالجسد الواحد.

ساعتها لن يكون هناك عاطل ذليل ولن يكون هناك مترفون يفسقون، لن يكون لدينا شاب لا يجد السكن ولاطفل لايجد التعليم والعلاج، ولن يوجد كهل يفتقد الرعاية.. سنأكل ونلبس من كد سواعدنا، ولن نمد يدنا لسؤال أعدائنا .. سنكون بأمر الله خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

وأمة الخير هذه ستمتد إلى كل من حولنا فتتوحد كلمة العرب والمسلمين، أشداء على الأعداد رحماء فيما بيننا. ستقام بإذن الله دولة شامخة تبدأ من مصر والسودان ثم تتسع وتتسع فى تكامل سياسى واقتصادى وعسكرى يبعث الحضارة الإسلامية بقيمها وثقافتها الرفيعة وفنونها.

و.. هذا ما نعنيه حين نقول إن الإسلام هو الحل.

اقترابا من هذا الهدف، شاركنا يوما فى انتخابات «مجلس الشعب» بأمل أن نحقق الاصلاح بأقل الآم ممكنة، ولكن المفسدين استكبروا وسدوا كل السبل بتزوير الانتخابات وبفرض الطوارىء والإرهاب. ولكن مهما كان مكرهم وطغيانهم فإننا ستواصل السعى.

إن إعلاء كلمة الأمة (عبر انتخابات حرة) له ثمن غال لابد من دفعه، إن المستكبرين لن يتخلوا عن مواقعهم ومنافعهم طواعية، ولكن ستجبرهم على ذلك وحدة هذه الأمة واصرارها على الحق.

وقد رأى حزب العمل أن انتخابات المحليات يمكن أن تكون بداية لكل ذلك.

صحيح أن قانون الانتخابات بالقوائم المطلقة باطل وظالم، ولكن يبقى أن الدوائر الانتخابية محدودة بحدود القرية والمدينة، وأن التجمعات الأسرية والسياسية لمشرات المرشحين فى كل دائرة تستطيع أن تحمى صناديق الانتخاب من التلاعب عند التصويت وعند الفرز.

إن انتخابات المحليات يمكن أن يكون المدرسة التى نتعلم فيها تحرير الانتخابات العامة، رغم أنف المزورين الطغاة، وحين ننجح فى هذه التجربة بإذن الله، وتتأكد ثقة الجماهير فى نفسها ، سننطلق إلى المرحلة الأعلى من أجل تحرير الانتخابات القادمة لمجلس الشعب وانتخابات رئاسة الجمهورية.

وفضلا عن ذلك، فإن المجالس بوسعها أن تحقق الكثير لجمهور المواطنين.. وإذا كان الحكم المركزى فاسدا أو عاجزا فإن بوسع المؤمنين المخلصين أن يبدأوا الاصلاح من القاعدة ولاينتظرون حتى يتحقق التغيير عند قمة النظام.. وقد دعانا الرسول (صلوات الله عليه) إلى القيام بهذا الواجب فقال «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

من هنا كان قرار حزب العمل بخوض انتخابات المجالس المحلية ، ليشارك بمرشحيه جماهير الشعب فى

مواجهة التبعات وتحمل المسئوليات .

القيم التى يلتزم بها مرشحو حزب العمل

يعاهد مرشحونا فى هذه الانتخابات الله والشعب على الالتزام فى تنفيذ برنامجنا الانتخابى للمحليات عند فوزهم بإذنه تعالى بالقيم التالية:

أولا : الايمان العميق بأن الله هو القادر المهيمن، الحافظ الوهاب، المعز المذل، الفعال لما يريد، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء ما نفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشىء ما ضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك.

ان هذا الايمان يبعث فى نفوس مرشحينا الثقة بالنفس دون صلف أو تجبر، وينزع من قلوبهم الخوف والتردد، ويعصم المرء من الخضوع لطواغيت الأرض مهما علوا أو طغوا، ويدفع إلى السمو فوق الذات مما يجعل المتصدى للخدمة العامة ايجابيا، قوى الارادة، لا يميل مع الهوى، ويذوب فى المجموع تحقيقا للصالح العام.

ثانيا : التمسك بما تقضى به الشريعة الاسلامية كما وردت فى القرآن المجيد وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام عملا بالحديث الشريف «لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا: كتاب الله وسنتى» .. وهو ما يقضى به الدستور المصرى المعمول به.

ثالثا : العمل بما جاء فى الكتاب من وجوب التقيد بالقاعدة العامة من الالتزام بالشورى ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾.. مما يقتضى أن يحرصوا على صلتهم بناخبيهم ليتشاوروا فى كل أمر جديد، وأن يستمعوا إليهم فى كل ما يعن لهم من متاعب أو مشكلات.

رابعاً: اعتبار العمل عبادة، وبالتالى لابد من اتقانه امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم: **﴿ان الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه﴾**.

خامسا : تجنب الوساطة والمجاملة والمحسوبية التى أصبحت داء دفينا يتغلغل فى الادارة الحكومية على المستويين المركزى والمحلى، بينما يأمرنا المولى جل جلاله بالعدل بين الناس حيث يقول فى محكم تنزيله : **﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم على ألا تعدلوا. اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾**.

سادسا: الحرص على العفة والنزاهة، والابتعاد عن الكسب الحرام.. ذلك أن هدفنا الأسمى الذى نسعى

لتحقيقه هو اقامة مجتمع الفضيلة على أنقاض المجتمع القائم على الفساد والانحراف والإثراء على حساب الشعب... وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ ولو أن أهـل القـرى أمنـوا وآتقـوا لفتحـنا عليهـم بركـات من السـماء والأرض ولكـن كذبوا فأخذناهـم بما كانوا يكسبون﴾.

إن تنمية هذه القيم فى نفوس مرشحينا، وفى نفوس الأمة كلها هو أساس أى اصلاح. وهذه التنمية تتطلب الحرص على العبادات وصيانة أماكن العبادة.

وفى هذا الصدد فإن المواطنين (تحت إشراف الحكم المحلى) مطالبون بتأمين المساجد والكنائس من أية اعتداءات مشبوهة. إن الإيمان الصادق لدى جمهور المواطنين كفيل بتحقيق هذا، ولكن نظرا لوجود أيد متآمرة، يمكن أن تتولى الرعاية والتأمين فى الأحياء والقرى مجموعات مشتركة من الشباب المسلم والمسيحى، لنثبت أن حرية العبادة لاتحتاج فى مصر إلى تدخل الشرطة والأسلحة الكثيفة.

ماذا سنفعل لو أعاننا الله ونجحنا؟

١- تعديل القانون ومبادىء أساسية

إن المجالس والأجهزة المحلية تنهض بالوحدات التى تختص بها اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا، وهى مسئولة عن تحسين الادارة للخدمات والمرافق اللازمة لحماية المواطنين المقيمين بها، ولتيسير سبل الحياة الهانئة لهم ولأسرهم.. ونجاح المجالس والأجهزة المحلية فى اداء رسالتها يتطلب تعديل قانون الادارة المحلية بما يغير من تقسيماتها الجغرافية لتضم مساحات جديدة تسمح بالتوسع، وكذلك يجب أن يأتى الحكام المحليون بالانتخاب وليس بالتعيين. ويجب أن يعاد النظر فى علاقة الأجهزة المحلية بالحكومة المركزية حتى لاتتعطل مصالح المواطنين بالرجوع إلى القاهرة فى الصغيرة والكبيرة من الأمور.

ويجب أن يعاد النظر فى اقتسام الموارد حتى لا تستأثر الحكومة المركزية بنصيب الأسد لتنفقه فى الكماليات والمظهريات تاركة الاقاليم والريف عاجزة عن توفير الضروريات لأهلها والمقيمين فيها، فالوضع الحالى جعل من الريف والأقاليم مناطق طرد لأهلها الذين يرحلون إلى العاصمة والمدن الكبرى التى ناءت بحملهم، فأصبحت تئن من مشاكلهم، وأفسدت على قاطنيها حياتهم.. فى حين أن تحقيق تكافؤ الفرص بينها وتوزيع الموارد العامة بينها بالعدل والانصاف يحل مشاكل الطرفين على السواء.

على أنه إذا كان مرشحونا من أعضاء المجالس المحلية سوف يطالبون بتحقيق هذه الاصلاحات النظامية ويضغطون فى سبيل اقرارها، إلا أن ذلك لن يصرفهم - عند نجاحهم بإذن الله - عن اداء رسالتهم فى ظل القوانين القائمة إلى أن يتم تعديلها.

مشاكلها فى حدود الامكانيات المتاحة.

٢- اقامة مجتمع الفضيلة

لكى تتم اقامة مجتمع التقوى والفضيلة ستعمل الادارة المحلية فى عهدها الجديد المنتظر على الغاء تراخيص بيع الخمور، وستعبىء المواطنين لمطاردة أوكار المخدرات، ولن تسمح بألعاب القمار، وستمنع عرض أفلام الفيديو التى تشجع على الرذيلة والجريمة والانحراف.

ويساعد فى اقامة مجتمع الفضيلة تنشيط الاعلام المحلى (صحفا واذاعة) ونشر المكتبات فى المدارس ودور العبادة، وعرض افلام تسجيلية، وسيتم كذلك تشجيع الابداع الفنى والادبى لشباب الأقاليم.. وكل هذا فى اطار حرية التعبير، ولتثقيف المواطنين بأمور دينهم ودنياهم، وبتاريخ أمتهم، حفزا للقيم ومكارم الاخلاق.

ويرتبط بذلك عودة المسجد إلى دوره المتكامل فى حياة الناس ، ويدخل فى هذا توسيع دور المناسبات ونشرها (فى المساجد والأماكن العامة الأخرى) لضبط أساليب الاجتماع والاحتفال من حيث النفقات ومن حيث القيم.

٣- اللجان الشعبية لحل المنازعات وللدفاع عن حقوق الانسان

ورغبة فى تحقيق الوئام والصفاء بين أعضاء المجتمع المحلى، وسرعة انهاء الخلافات التى تنشب بينهم حتى لاتتفاقم وتؤدى إلى اشتبكات تشجع المجالس المحلية تشكيل لجان شعبية للتحكم فيما يحدث من منازعات، وسرعة حل الخلافات بموافقة أطرافها.

وهذا الاسلوب الشعبى الذى عرفته مصر فى تاريخها القديم من شأنه أن يخفف من ضغط القضايا الكثيرة التى تطرح على القضاء ويتعطل الفصل فيها ردحا طويلا من الزمن، ويحول دون وقوع حوادث الاقتتال بسبب هذه الخلافات التى يمكن أن يبادر بحسمها الاسلوب الشعبى حفاظا على أمن المجتمع.

* وتزيد الحاجة إلى هذا الاسلوب خلال السنوات القادمة مع تزايد المنازعات المحتملة فى الريف، ومع الحرص على إرساء تقاليد عادلة للتعامل بين الملاك والمستأجرين فى الأراضى الزراعية.

ويدخل فى هذا الاطار إدخال تقاليد التعاون بين حكماء الاحياء والقرى وبين رجال الشرطة حتى تتحقق مهام حفظ الأمن فى اطار الحرص على حقوق الانسان برعاية من مجالس الحكم المحلى. وتقع على المحامين مسئولية خاصة فى هذا الشأن .

٤- الزكاة فى خدمة المحليات وفق المصارف الشرعية

فرض الإسلام الزكاة على القادرين واعتبر أداءها ركنا من أركان الدين.. ولو أحسن جمعها وتوجيهها فى مصارفها الشرعية لأمكنها أن تحل الكثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى تعانى منها المجتمعات المحلية.

* ويمكن للوحدات المحلية أن تضع القواعد وتحدد الأولويات لانفاق حصيلة الزكاة والصدقات والكفارات حتى يمكن تلبية الاحتياجات اقامة للمشروعات واعانة للمحتاجين. ومعروف أن المسلمين يقبلون من تلقاء أنفسهم وعن طيب خاطر اداء الفريضة المقررة، تحقيقا للتكافل الاجتماعى.

وتزداد الحاجة لتعميق التكافل أمام عجز الحكومة عن مقاومة الغلاء وأمام اتساع البطالة، والتى تمتدقريبا إلى العاملين فى القطاع العام.

٥- إعادة القرية المنتجة والاهتمام بالصناعات الصغيرة

ان الحاجة أصبحت ماسة للاعتماد على الذات فى اعادة الصفة الانتاجية للقرية المصرية التى كانت تزود المدينة بمنتجات الألبان والبيض والدواجن، وتصدر إلى الخارج القطن الطويل التيلة، ثم تحولت إلى مجتمع استهلاكى يعتمد فى توفير غذائه على المدينة، وهجره شبابه للبحث عن العمل فى الخارج وأصبحنا نستورد بالديون القمح والفول لتدبير غذائنا اليومى!!

* ويمكن أن تعاون المحليات فى اصلاح حال القرية عن طريق:

- تزويد أهل القرى بالمعدات والآلات الزراعية الصغيرة المصنوعة محليا حتى تكون اسعارها فى متناول المزارعين، وبآلات التفريخ والحضانات الصغيرة الحجم.

- تشجيع الفلاحين على انشاء الجمعيات لتسويق منتجاتهم بعيدا عن التسويق الحكومى أو استغلال الوسطاء.. ومن شأن هذا أن يحصل الفلاحون على العائد المجزى من زراعتهم، وكذلك يحصل المستهلك على المنتجات الغذائية بسعر مستقر وعادل.

- توجيه الاهتمام بالثروة الحيوانية والسمكية حسب الوحدات المحلية المختلفة على أن تمتلك شركات من سكان الوحدة ما يقام من المشروعات التى تعمل فى هذه الميادين.

- دعم الصناعات الحرفية والبيئية التى تستوعب أعداداً كبيرة من الحرفيين والفنيين، وتعمل على مدها بالمال والخدمات حتى تقف على قدميها ثم تتركها لأصحابها.

- تشجيع المشروعات الصغيرة وتطوير التكنولوجيا المحلية البسيطة لنشر الانتاج الحيوانى (شاملا تربية الدواجن

وصيد الاسماك) على أوسع نطاق وبأقل تكلفة.

– حفز الصناعات الحرفية والبيئية ودعمها بالمال والخدمات، فهذه المشروعات الصغيرة (فى الريف والمدينة) التى تستخدم التكنولوجيا البسيطة والخامات المحلية، تسد جزءا كبيرا من حاجات الاستهلاك وتستوعب أعداداً كبيرة من اليد العاملة.

٦– الرياضة للجميع

* الرياضة حق للجميع وواجب، وإن كان التركيز واجبا على الأطفال والفتيان والشباب. والمحليات بوسعها أن تنهض بهذه المهمة على أوسع نطاق.

فيجب توجيه العناية إلى تطوير المراكز القائمة والنوادى والساحات الشعبية مع المطالبة بنسبة معينة من الأموال الحكومية المخصصة للشباب والرياضة توزع على المحليات وفق عدد سكانها. يجب أن نعتمد أساسا على التبرعات المحلية وعلى سواعد الشباب فى اعداد الملاعب وصيانتها.

* ويجب أن تستخدم فى تعميم الرياضة كل الأفنية والفراغات المتاحة، بل يجب أن ينظم استخدام الاراضى الفضاء والطرق لهذا الغرض، بحيث تكون مكانا للتدريب والمباريات بأسلوب لايتعارض مع آداب الطريق ووظائفه الأخرى.

٧– صحة المواطنين وتيسير العلاج:

* لما كان من المسلم به أن «الوقاية خير من العلاج»فإن الأمر يبدأ بالنظافة وجهود الاسرة والشباب على المستوى المحلى أساس فى تحقيق النظافة للأفراد والطرق والمنازل ومختلف الأبنية. ومؤسسات التوعية (وعلى رأسها دور العبادة) مسئولة عن ذلك. وكذلك فإن المنافسة مطلوبة بين كل الجمعيات والروابط، وبين كل الاحياء والمؤسسات لتحقيق أعلى درجة من النظافة.

* ولأجهزة الحكم المحلى دور الدعم والتنسيق لهذه الجهود من أجل النظافة ومنع التلوث، فعليها أن تستعين بالجامعات ومراكز البحث للتوصل إلى حلول بسيطة وغير مكلفة للصرف الصحى، ولضمان نظافة مياه الشرب. ويضاف إلى هذا الاهتمام بالتشجير وزيادة المساحة الخضراء فى المدن وابعاد المصانع والورش عن المناطق السكنية.

* ويجب على أجهزة الحكم المحلى توفير عربات كسح مخلفات الصرف الصحى من المساكن بالقرى والجهات التى لا توجد بها شبكات للصرف ونقلها للتخلص منها بعيدا عن العمران دون انتظار مد هذه الشبكات كما كان عليه الحال من قبل.

يجب إعداد أماكن بالقرى والأحياء لتجميع قمامة المنازل للتخلص منها بحرقها فى مواعيد محددة بصفة دورية.

ويجب انشاء وحدة طبية لكل مجموعة قرى متجاورة، ونقطة اسعاف لكل تجمع سكانى يبعد عن هذه الوحدات لتقديم الخدمات الطبية السريعة والقيام بالتطعيم ضد هذه الأوبئة ومقاومة الأمراض المتوطنة كالبلهارسيا والانكلستوما والتوعية المستمرة بكافة الوسائل للحث على مراعاة النظافة العامة وعدم تلويث المجارى المائية.

توفير ارتباط تليفوني دائم بين القرى وبين اقرب مركز لطلب سيارة اسعاف أو مطافىء فى الطوارىء لسرعة الانقاذ.

الارتفاع بكفاءة المستشفيات العامة وتزويدها بالأجهزة والأدوية والخدمة الطبية مع مراعاة التناسب بين عدد الاسرة وعدد السكان فى دائرة كل منها، ويمكن تدعيما للموارد المالية اللازمة أن يدفع عائل كل أسرة اشتراكا سنويا ميسوراً كتأمين صحى يتيح له العلاج المجانى بها تفاديا لنفقات العلاج الطبى الخاص المكلفة.

٨- التربية والتعليم والمدرسون ومحو وصمة الأمية

وللمحليات دورها الأساسى فى دعم التربية والتعليم فى المدارس والمعاهد الواقعة فى دائرتها بمراعاة المعاونة فى الاستيعاب الفورى الكامل لجميع الاطفال الذين يبلغون مرحلة التعليم الاجبارى لسد منابع الأمية، بتقريب المدارس إلى محال اقامة التلاميذ وذلك عن طريق تدبير الأماكن اللازمة، إما فى الأماكن العامة غير المستخدمة نهاراً أو بتوفير ما يلزم من مواردها العامة أو من حصيلة الزكاة والتبرعات.

وينبغى عليها أن تعمل على إنصاف المدرسين وتحسين أوضاعهم وتحقيق رغباتهم فى الالتحاق بالمدارس القريبة من محال اقامتهم، فإن المعلم هو جوهر العملية التعليمية .. ويراعى أن تكون اعاراتهم إلى الدول الشقيقة وفق النتائج التى يحققونها كثمرة جهدهم، وأن تحرص الادارة المحلية على جمع شمل أسرة المعلمين حتى تتوفر الراحة النفسية لهم فى أداء رسالتهم.

ويجب أن تلغى كافة المصروفات والرسوم الدراسية التى تحصل من تلاميذ مرحلة التعليم الاساسى لأنها مرحلة إلزامية وتقضى الاتفاقيات الدولية بأن يكون التعليم فيها بالمجان حتى لاتشكل عبئا على أولياء أمورهم وتكون عقبة فى استمرارهم فى الدراسة.

وينبغى الحرص على أن تتنوع الدراسة – خاصة بعد المرحلة الاساسية – بما يتفق مع الظروف الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية لكل وحدة من الوحدات المحلية، وأن تلحق المدارس الصناعية بالمصانع التى تعمل فى تخصصها لتستفيد الخبرات الموجودة فيها والتدرب على الآلات الموجودة.

وإذا كان من العار أن تبقى مصر تعانى من نسبة كبيرة من الأمية ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين، فإن المجالس المحلية الجديدة سوف تأخذ على عاتقها أن تتولى الاشراف على القضاء على الأمية إن شاء الله خلال السنوات الأربع لدورتها، عن طريق لاستيعاب بالشباب المؤهل الموجود بالقرى والطلاب اثناء اجازاتهم مقابل مكافأت تدفع من التبرعات ومن حصة الوحدة الادارية فى الاعتمادات المقررة لعقد محو الامية.

وتجرى مسابقات بين الوحدات المختلفة داخل كل محافظة حول معدلات النجاح فى محو الامية.

٩- الاسكان للشباب والمحتاجين بضوابط عادلة وصارمة

ينبغى تشجيع كل المبادرات والامكانات للمساهمة فى حل مشكلة الاسكان فى إطار تخطيط علمى ملزم للمدن، وبتشجيع لاستخدام الموارد المحلية. وتمكينا للأسر الشابة من الحصول على المساكن بطريقة ميسرة بمراعاة ظروفهم، وانقاذا للمواطنين الذين تنهار مساكنهم وقضاء على وصمة سكنى الجبانات والمقابر، يتعين أن تعود المحليات إلى نظام التأجير بدلا من التمليك لما تقيمه من وحدات سكنية على أن تظل الأرض والبناء مملوكين لها.. وعليها أن تطالب بتخصيص ما يدرج من الميزانية العامة لبناء القرى السياحية على الشواطىء للاسكان الشعبى، بحيث يترك اقامة هذه المنتجعات الترفيهية لشركات المقاولات من القطاع الخاص.

كما توضع القواعد القاطعة لتوزيع ما يقام من مساكن بحيث تعطى الأولوية المطلقة للاسر الشابة الجديدة ولإيواء أصحاب المنازل المنهارة وساكنى المقابر، ولايسمح بحال من الأحوال بالاستثناءات أو المجاملات من أى نوع كان، أو بالمتاجرة فى هذه الوحدات السكنية أو التنازل عنها للغير، سدا للطريق على المتلاعبين بأموال الشعب.

وتقوم المحليات بتنظيم عملية مسح شاملة للمساكن القائمة فى المناطق التى تعانى من ارتفاع المياه الجوفية والتى تضم المنازل التى تقادم عليها الزمن أو وقعت فيها حوادث انهيارات، للاطمئنان على سلامة المبانى الموجودة بها حماية للأرواح، مع تدبير خطة لاستيعاب العائلات المقيمة فى المساكن المعرضة للسقوط فى العمارات السكنية الجديدة.

١٠ - دعم وسائل النقل والمواصلات والاهتمام بشبكة الطرق الفرعية

وتيسيرا على أهل القرى والعزب فى وصول أبنائهم إلى مدارسهم والسفر لقضاء مصالحهم ونقل محاصيلهم، لا يكفى العناية بالطرق الرئيسية الكبرى ويهمل شأن شبكة الطرق الزراعية التى تربط بين القرى.. ومن هنا سوف تعنى المجالس المحلية فى عهدها الجديد بإذن الله بإصلاح هذه الشبكة حرصا على الوقت وتيسير الاتصال.

كما تعمل على ايجاد مواقف محددة لطلب سيارات بالأجرة للسفر، مزودة بجهاز تليفونى فى كل منطقة تضم مجموعة من القرى، واجراء التنسيق مع وزارة المواصلات لتيسير انتقال موزعى البريد والاتصال البرقى.

وداخل المدن، ينبغى تخصيص ممرات فى الشوارع الرئيسية لاستخدام الدراجات واعداد الأرصفة للمشاة، وينبغى تخصيص أماكن أو سيارات خاصة للسيدات فى المواصلات العامة.

١١- تيسير معاملات المواطنين لتكون الادارة المحلية عونا للمواطنين

وسوف تعمل المجالس المحلية الجديدة بإذنه تعالى على تبسيط الاجراءات الادارية اللازمة لقضاء معاملات الناس للحصول على التراخيص والتعاقدات اللازمة، على أن تحدد سلفا وبطريقة معلنة المستندات والأوراق الواجب تقديمها مع الطلبات، وأن تتقرر مدة معينة لإنجاز المعاملة حتى لايضطر المواطن للتردد على الادارة المختصة العديد من المرات أو ينقضى وقت طويل قبل البت فى طلبه.

واحتراما للمتعاملين والمترددين على المكاتب الادارية ومراكز الخدمات، سوف يتم بإذنه تعالى انشاء المظلات وتوفير المقاعد اللازمة للانتظار والأماكن الواجب توفيرها لتحرير الطلبات، حتى لاتمتهن كرامة المواطن ولا يعانى أصحاب المعاملات من الانتظار دون مراعاة ظروفهم الصحية والعمرية.

ويقتضى الامر فى العاصمة والمدن الكبرى أن يكون كل حى من الأحياء مستكمل الخدمات والمحلات وفروع المكاتب والادارة حتى لايضطر قاطنو كل منها للانتقال إلى الأحياء الأخرى، كما يراعى أن يكون العاملون فى محالها ومكاتبها من نفس الحى بقدر الامكان حرصا على الوقت وتكاليف الانتقال وعدم ازدحام وسائل المواصلات.

في ختام هذا البرنامج نؤكد على قضيتين أساسيتين:

الأولى : تتعلق بالمرأة والثانية تتعلق بالأقباط.

وفي القضيتين نؤكد أن كل ما جاء في هذا البرنامج لاتحققه بنجاح إلا المشاركة النشطة من كل المواطنين، كل حسب قدرته وظروفه.

* إن الاسلام يطلب من المرأة المسلمة أن تكون إيجابية في كل ما يتعلق بدينها وأمتها ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله . أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾.

إن المسئوليات الاساسية للمرأة في مجتمعها الصغير(الأسرة) لا تحرمها من المشاركة في مسئوليات المجتمع الكبير، في حدود الآداب الشرعية. وكثير من المهام الواردة في هذا البرنامج تتعثر على نحو حاد إذا تقاعست المرأة: في مجالات التعليم مثلا أو الصحة أو القرية المنتجة والصناعات المنزلية .. الخ .

* أما بالنسبة للإخوة الاقباط فإن حديثنا عن تطبيق الشريعة الاسلامية يعني من الناحية العلمية والتطبيقية ما سبق ذكره في هذا البرنامج.. فأي حرج يرونه في تطبيق أي بند من بنوده؟

إننا ننصح دوما مواطنينا الأقباط بألايسمعوا لأصحاب الدسائس والفتن. إننا نقول دوما إن الشريعة إذا كانت دينا لأغلبية المصريين، فإنها قيم حضارية، وهي طريق الاصلاح الوطني الأصيل لكل المصريين.

إن الإخوة الأقباط مطالبون بالمشاركة في بناء الوطن الواحد من خلال برنامجنا للمحليات . طالبناكم بالأمس بالترشيح على قوائم حزبنا، ونطالبكم اليوم بانتخاب مرشحينا.

أيها المواطنون .. أيها الناخبون:

إذا قرأتم هذا البرنامج بعناية، فستلحظون أن بوسعنا أن نفعل الكثير .. رغم كل الفساد والضياع والهزال في القمة، بوسعنا أن نخفف المعاناة عن أنفسنا، وبوسعنا أن نتقرب إلى الله بكثير من العمل الصالح.

إن الطريق واضح، ولكن السير فيه صعب. إن تنفيذ البرنامج أصعب جدا من الحديث عنه. الأمر يتطلب رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه. ومرشحونا من هؤلاء الرجال وأنتم تعرفون صدقهم.

إننا نكرر هنا ما قلناه في البداية: ما عذركم أمام الله إن تقاعستم؟

أيها الناخبون : انتخبوا مرشحي التيار الإسلامي(من حزب العمل وخارج حزب العمل) وأسقطوا الحزب الوطني الكريه.

أيها الناخبون: اليوم نسقطهم في المحليات، وغـــدا بإذن الله نقصيهـــم عن الحكم.

إذا كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، فقفوا بشجاعة إلى جانب ما تعتقدون أنه الحق. وإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.

هوامش

(١) و (٢) و (٣) و(٤) ، حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، دار التوزيع والنشر الاسلامية ص ص ٣٣ - ٣٤

(٥) مجلة النذير ، عدد ١٥ صفر ١٣٦٠ هـ - ١٩٤٠.

(٦) و (٧) ، حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية، صـ ١٥٩.

(٨) و (٩) و(١٠) ، محمود عبد الحليم ، الاخوان المسلمون ، أحداث صنعت التاريخ، دار الدعوة ، ص ص ٣٩٣ - ٣٩٧.

(١١)و (١٢)و (١٣)زكريا سليمان بيومى، الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية فى الحياة السياسية المصرية ، مكتبة وهبة.

(١٤) حسن البنا، مجموعة الرسائل، رسالة دعوتنا ، دار التوزيع والنشر الاسلامية، ص١٧

(١٥) إلى (٢١)، حسن البنا ، مذكرات الدعوة، م.س، ص ٧٩، ٢٠٠، ٢٦٥.

(٢٢) و(٢٣) حسن البنا ، مجموعة الرسائل ، صـ١٣-صـ٢٩.

(٢٤) حسن البنا، مذكرات الدعوة الداعية ، صـ٦١.

(٢٥) إلى (٣٢)، حسن البنا مذكرات الدعوة الداعية، ص ٧٣ - ص ١٠٨.

(٣٣) إلى (٣٦) مجموعة الرسائل ، ص ١٩٣ وص ٣٦٦.

(٣٧) إلي (٤٠)، محمود عبد الحليم، الاخوان المسلمون، م.س، من المقدمة، حـ٣.

(٤١) مجلة النذير، عدد ٦ رجب ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩م.

(٤٢) إلى (٥٠) حسن البنا، مجموعة الرسائل، م.س،ص ٣٥٧،٣٥٩، ٤١٨.

(٥١) و(٥٢) حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية، م.س،ص١٢٣ ، ص٧٦.

(٦٠) إلى (٦٣) زكريا سليمان، الاخوان المسلمون، م.س، ص ٢٣٢- ص ٢٣٥.

(٦٤) حسن البنا، مجموعة الرسائل، م.س، ص ١٤٩.

(٦٥) زكريا سليمان، الاخوان المسلمون، م.س،ص٢٥٩.

(٦٦) انظر مجلات الدعوة، الاخوان المسلمين وغيرها، ١٩٤٨ - ١٩٥١.

(٦٧) دعت الحركة الوطنيه للتحرر الديمقراطى (حدوتو) فى جريدة الملايين فى ١٩٥١/٦/٢٤ إلى التركيز على مقاومة الاستعمار بالأساس وأن ما عداه من الاقطاع والطبقات الرجعية ليس مهما.

(٦٨) إلى (٧٠) ، حسن البنا، مذكرات الدعوة ، م.س، ص٢٨٨.

(٧١) إلى (٧٦)، حسن البنا ، مجموعة الوسائل، م.س، ص٦٩، ٣٠٥، ٣٠٣.

(٧٧) و(٧٨)، حسن البنا، مذكرات الدعوة ، م.س ، ص ١٦، ص١٠٢.

(٧٩) خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه، دار الفكر الاسلامى، ص ١٣٦.

(٨٠) و(٨١) حسن البنا ، مذكرات الدعوة ، م.س ، صـ٧١، صـ٢٨٩.

(٨٢) إلى (٨٨) حسن البنا، مجموعة الرسائل ، م.س ، صـ٢٨، صـ٣١٠.

(٨٩) زكريا سليمان، الاخوان المسلمون، م.س، ص٢٠٢

(٩٠) حسن البنا، مجموعة الرسائل ، م.س ، ص٢٩٨.

(٩١) حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية، م.س، صـ٢٧٧.

(٩٢) إلى (٩٥)، حسن البنا، مجموعة الرسائل، م.س،ص ٣٣٨ - ٣٤٦.

(٩٦) حسن البنا، مذكرات الدعوة، م.س، صـ١٠٦.

(٩٧)و(٩٨)، حسن البنا، مجموعة الرسائل ،م.س ، ص٣٤٨ ص٣٦٧.

(٩٩) حسن البنا، مذكرات الدعوة، م.س ، ص١٠٦.

(١٠٠) إلى (١٠٢)، حسن البنا، مجموعة الرسائل، م.س ، ص٣١٨ – ص٣٢٥.

(١٠٣) د/ محمد مورو ، دور الحركة الاسلامية فى تصفية الاقطاع ، دار البحوث العلمية.

(١٠٤) طارق البشرى، الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ – ١٩٥٢، دار الشروق.

(١٠٥) حسن دوح ، كفاح الشباب الجامعى على القناة دار القلم.

(١٠٦) كامل الشريف – الاخوان المسلمون فى حرب فلسطين.

(١٠٧) انظر على سبيل المثال، جلال كشك، ثورة يوليو الامريكية وحسنين هيكل، ملفات السويس، وحسن التهامى فى مذكراته ومحمد الطويل فى عبد الناصر ولعبة الامم.

(١٠٨) أحمد عبد الحميد. الاخوان وعبد الناصر القصة الكاملة لتنظيم ١٩٦٥ – الزهراء للاعلام العربى.

(١٠٩) صالح الوردانى – الحركة الاسلامية فى مصر– دار البداية

(١١٠) إلى (١١٣) د. محمد مورو – تنظيم الجهاد جذوره وأسراره – العربية الدولية للنشر والاعلام

(١١٤) د. محمد مورو جوانب من كفاح الشعب المسلم فى مصر ضد الكيان الصهيونى – المختار الاسلامى.

(١١٥) صالح الوردانى– الحركة الاسلامية والقضية الفلسطينية – الدار الشرقية.

(١١٦) إلى (١١٨) عمر التلمسانى – ذكريات لا مذكرات – دار النشر والتوزيع الاسلامية صـ ١٩٢ ،ص ٢٥٨ ، ص ٢٦٠

(١١٩) و (١٢٠) لواء الاسلام ، عدد رمضان – ابريل ١٩٩٠.

(١٢١) و(١٢٢) جريدة الشعب عددى ١٨ ، ٢٥ أبريل ١٩٩٠

(١٢٣) د/ عبد العظيم حامد خطاب، لمحات من تاريخ الامام الشيخ محمود خطاب السبكى، دار الاعتصام، ١٩٨٥.

(١٢٤) د/ عبد الفتاح عويس، تصور الاخوان المسلمين للقضية الفلسطينية.

(١٢٥) إلى (١٣٠) انظر مجلة الاخوان المسلمون ومجلة النذير فى الفترة من ١٩٣٨ – ١٩٤٨.

(١٣١) إلى (١٣٦) انظر صالح الوردانى ، الحركة الاسلامية ،م. س وكذلك كامل الشريف، لاخوان المسلمون،م.س.

(١٣٧) إلى (١٤٠) انظر زكريا سليمان ، م.س جريدة المصرى ١٩٤٨/٧/٢٩.

(١٤١) إلى (١٤٣) د. عبد الله ابو عنره، مع الحركات الاسلامية فى البلاد العربية دار القلم، الكويت .

(١٤٤) د/ محمد مورو، التحدى الاستعمارى الصهيونى، وجهة نظر إسلامية، دار الفتى المسلم، ١٩٨٤.

(١٤٥) إلى (١٥٠) د/ محمد مورو ، تنظيم الجهاد ، الايدولوجية والجذور، الشركة العربية الدولية للنشر.

(١٥١) إلى (١٥٩) وانظر فى هذا الخصوص، مصطفى بكرى، ثورة الابن كتاب الحرية وكذلك تحقيقات النيابة العسكرية وجريدة الأهالى عدد ١٩٨٥/١٠/١٦ والشعب ١٩٨٥/١٢/١٧.

(١٦٠) إلى (١٦٤) انظر أخبار اليوم ، ١٩٩٠/١١/١٠ والوفد ١٩٩٠/١١/٩ وكذلك محمد مورو ، اعدام كاهانا، الجذور الاسلامية لسيد نصير، دار الروضة، ١٩٩١.

(١٦٥) إلى (١٦٧) د/ محمد مورو، رصاصة فى قلب صهيون، دار المختار الاسلامى، ١٩٩١. وانظر كذلك دفاعات ايمن حسن أمام المحكمة العسكرية بالسويس.

(١٦٨) و(١٦٩) لواء الاسلام، مايو ١٩٨٧.

(١٧٠) انظر قرارات الجمعيات العمومية لنقابات الأطباء والصيادلة والمهندسين.

(١٧١) إلى (١٧٣) د/ محمد مورو، تنظيم الجهاد مرجع سابق.

المحتويات

الفصل الاول:

الفصل الثاني:

الفصل الثالث :

الفصل الرابع:

الفصل الخامس :

رقم الايداع

٢٢٧٩ / ٩٤

الدار المصرية للنشر والتوزيع

Al dar al-masria publishing & information

مطابع الأهرام التجارية القاهرة ـ مصر

الحركة الإسلامية هى خميرة الأمة وطليعتها حتى تصبح حركة كل الأمة.. والتأكيد على ذلك يعطيها مساحة واسعة من التأييد الشعبى ويحصنها من الحصار والمؤامرات والمزايدة عليها من الداخل او من الخارج.

والحركة الإسلامية تعى أزلية الصراع بين الحضارتين الإسلامية والغربية، وتدرك أن حملات صليبية عديدة استهدفت الجسد الإسلامى.. فبرحيل العدوان عسكريا سلم السلطة إلى عملائه الخونة فتم بناء المؤسسات والأحزاب العلمانية والتغريبية والصحف والمدارس الفكرية والمذاهب السياسية من يمن ويسار واشتراكى وراسمالى وشيوعى وليبرالى .. وكلها مسميات تعكس حالة الاستلاب الثقافى وتقوم بمهمة الطابور الخامس الذى يتهدد البنية الإسلامية.

نحن الآن فى خطر ماحق ناتج عن هزيمتنا الحضارية وتعرضنا إلى كافة أنواع الإبادة، وهذا التحدى يتطلب حاجتنا إلى فقه الإقلاع حتى نوقف الانحدار ونحدث الانقلاب باتجاه الصعود الحضارى، وهذا الأمر يتطلب منا حشد كل الطاقات لمناهضة الاستعمار بكافة صوره واشكاله.

الناشر .

الدار المصرية للنشر والتوزيع
al dar al-masria publishing & distribution house ltd.